مكتبة
الدكتور مروان العطية

نزهات الحادي في القصر

في مطارحات بني العصر

درويش محمد بن أحمد الطالوي الأرتقي الدمشقي
٩٥٠هـ - ١٠١٤هـ

تحقيق
الدكتور محمد مرسي الخولي

الجزء الثاني

عالم الكتب
بيروت
١٠

الطبعة الاولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

مكتبة
الدكتور مروان العطيّة

تحليلات دمى القصر

في

مطارحات بني العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة
الدكتور مروان العطيّة

الجزء الثاني

يتضمن:

أ- زيارته لمصر والتقاؤه بعلمائها والأخذ عنهم.
ب- العودة إلى تركيا والعمل في الديوان وما قاله من قصائد في السلطان ورجال الدولة.
جـ- العودة إلى موطنه دمشق واشتراكه في الحياة العامة ومدافعته ظلم الولاة والحكام عن الشعب.

مكتبة
الدكتور مروان العطيّة

زيارته لمصر والتقاؤه بعلمائها

★

يصف مشاعره حين نزل القاهرة

ولما انخت بربوع القاهرة المعزية، أنضاء مطايا الهمم المهزية، بعد أن أخذ السير من جن نشاطها[1]، مطنبا خيام الإقامة بفناء فسطاطها، رأيت بها ما يملأ العين قُرة، ويسلي عن الأوطان كل غريب، بادرت لوفاء نذر وجب علي كفرضِ عَين، من زيارة قُطّانِ سفح المقطم وسكان القرافتين، والتشبث بطراز ذيل ذلك العارض، مرقد العارف بالله سيدي عمر بن الفارض، لا برحت تحايا الإله تُغَاهد مثواه:

ولا زال خفاق النسيم مرقرقاً عليـــه وأنواء السماء تصوب

ولم أزل أطوف حول ربوع هاتيك الديار، وأسرح طرفي بين تلك المعالم والآثار، حتى وقفت بساحة القصرين، مكفكفاً فيها غروب المدامع من العين، قضاء لحقّ عُمَارة اليمنّي ذلك الفقيه الأريب[2]، حيث وقف

---

(١) الأنضاء جمع نضو وهو الدابة الهزيلة المتعبة، والهمم جمع همة وهي العزم القوي والمهرية: إبل تسبق الخيل منسوبة لقبيلة مهرة بن حيدان، وجن نشاطها: أي أوله وشدته وعنفوانه.

(٢) هو عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المؤحجي اليمني، أبو محمد، نجم الدين، مؤرخ ثقة، =

آمراً بالبكاء فيها، ومقسماً بقوله على كلّ أديب:

بالله قف ساحةَ القصرين وابكِ معي عليها لا على صفيْنِ والجملِ

ملمحا فيه لأمرٍ خطبُهُ فادح، ووقوع مثله في الإسلام قادح، فما برحتُ واقفاً بها أبكي لذاك ملياً، نازحاً أسْجال الدمع فيها من العين رُكيًّا[1]، إلى أن نضبتْ مياهُ شُؤوني، خاطبتُها بقول أبي طالب المأموني[2]:

يا ربع لو كنت دَمْعاً فيك منسكِباً[3] قضيتُ نحبي ولم أقضِ الّذي وَجَبا
لو أفضتُ دموعي حَسْبَ[4] واجبها رفضتُ من كلّ عضوٍ مَدْمعا سَرَبَا

= وشاعر فقيه أديب، قدم إلى مصر برسالة من القاسم بن هشام أمير مكة إلى الفائز الفاطمي سنة ٥٥٠ هـ فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا في إكرامه فأقام عندهم ومدحهم حتى زالت دولتهم وملك السلطان صلاح الدين مصر، فرثاهم عمارة واتفق مع بعض المصريين على قتل صلاح الدين، فعلم بهم وقبض عليهم وصلبهم بالقاهرة ومن جملتهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ.

انظر وفيات الأعيان ٣٧٦/١، ومفرج الكروب ٢١٢/١، وفيه البيت الوارد هنا ضمن قصيدة طويلة في رثاء الفاطميين أولها.

رميت يا دهر كف المجد بالشلل

(١) الأسجال جمع سجل وهو الدلو العظيمة مملوءة أو فيها ماء قل أو كثر، والركى جمع ركية وهي البئر.

(٢) هو عبد السلام بن الحسين المأموني، أبو طالب، أديب شاعر، يتصل نسبه بالمأمون العباسي، ولد وتعلم ببغداد، وسافر إلى الري فامتدح الصاحب بن عباد، وأقام عنده مدة في أرفع منزلة فحسده ندماء الصاحب وأخذوا يسعون فيه إليه بالأباطيل، فأحس بهم أبو طالب فاستأذن من الصاحب في السفر فأذن له، وفي مجارى التقى ببعض أولاد الخلفاء فأخذ يمني نفسه باستعادة الخلافة، ولكنه مات قبل أن يحقق حلمه ولما يبلغ الأربعين، وذلك سنة ٣٨٣ هـ.

فوات الوفيات ٢٧٣/١، يتيمة الدهر ٨٤/٤ - ١١٢.

(٣) في ب: لو كنت ربعاً فيك منكباً.

(٤) فضت: أسلت.

ابن غانم المقدسي

ثم أُبْتُ بعدما ارعويتُ إلى صحنِ جامعها الأزهر، وقد أقمر ليلُ مُناي وأزهر، فلقيتُ به من سادة أعلام الأئمة وقادة علماء الأمة، الجامعين بين المعقول والمنقول، والقارعين ذرى التحقيق في الفروع والأصول، من أفاضل العلماء الراسخين وأئمة الدين، ومشايخ الفقهاء المجتهدين، وأكابر المحدّثين، ممن تُشَدُّ الرِّحالُ إليهم، والأخذ منهم، وتنضى نجب الآمال لرؤيتهم، والرواية عنهم، كالمحقق العلامة شيخ الإسلام، والمدقق الفهامة قدوة الأنام، وكشاف أسرار حقائق التنزيل، مصباح أنوار دقائق التأويل، شمس العلوم والمعارف، بدر الفهوم واللطائف، قرة عيون أصحاب أبي حنيفة، والراقي من مدارج التحقيق أعالي الرتب المنيفة، من بحسناته، يغفر ذنب الزمان المسيء شيخ الكل في الكل علي بن غانم المقدسي[1]، أمتع الله أفاضل الطلاب بوجوده، وأفاض عليه سجال كرم وجوده، حضرت مجالس درسه بالجامع الأزهر، وقد أنار من سنا علومه وأزهر، مع الملازمة الكلية أيام دروسه لها بالمدرسة السليمانية، ودار إقامته بالقاعة الأشرفية، وقد كتب لي بمشيخته

---

(١) هو علي بن محمد بن علي بن خليل، ابن غانم المقدسي الحنفي، نور الدين، يتصل نسبه بسعد ابن عبادة نقيب الخزرج، ولد بمصر سنة ٩٢٣ هـ، وأخذ عن علماء عصره وتفوق في كل علم وكانت إليه الرحلة من الآفاق وانتفع به الجم الغفير من أهل زمانه.

ولي المناصب الجليلة فكان إليه الافتاء وإمامة الأشرفية ومدرستها ومدارس أخرى كثيرة، حج مرتين ورحل إلى القدس ثلاث مرات.

وألف التآليف النافعة في الفقه وغيره مثل شرح الكنز الذي سماه: الرمز، وشرح الأشباه والنظائر.

توفي سنة أربع بعد الألف، ودفن بين القصرين بتربة المجاورين قبلي مدفن السراج الهندي. انظر البدر الطالع ٤٩١/١، خلاصة الأثر ١٨٠/٣، ريحانة الألبا ٥٢/٢.

ثبتاً بخط يده، وأجاز لي أن أروي عنه ما جاز له وعنه روايته، عن مشايخ عصره، وأساطين علماء مصره، منعماً متفضلاً، دام جنابه لوارد العلوم منهلا، وسأورد إن شاء الله تعالى عن كثب صورة ما كتب، سيما على الرسالة المسماة بالأرتقية بما أثبته العلماء وقالوا، في نسب أمراء آل طالو.

شمس الدين النحراوي

وممن لقيت من أولئِك الأعلام، وأخذت عنه من مشايخ الإسلام، قطب دائرة أفق التحقيق، مركز إحاطة سماء التدقيق إمام الأئمة وشيخ العلوم، الجامع بين المنطوق والمفهوم، مُعْلي منار أصول الشرائع، بفصول بدائعه الروائع، الراقي من مدارج الأصلين، معارج أعالي الذروتين، سراج المذهب، وطراز خُلّته المُذَهّب، قُرة عين الإمام الأعظم أبي حنيفة وحاجبيه، من انتهت رياسة الحنفية بالقاهرة إليه، المكاشَفُ بحقائق أسرار الكتاب، المطلع على مزايا دقائق الخطاب، بقوة حَدْسه الصائب وصفاء سريرته، حيث أضيف نور بصره الثاقب، لأنوار بصيرته، ألا وهو العالم العامل الرباني الذي لا يدانيه فيها قَطّ مُدَاني، فضلاً عن المُسَاوِي، الأستاذ شمس الملة والدين محمد النَّحراوي، لا برحتْ بقاع الأزهر بمصابيح تقريراته منيرة الأرجاء، وأروقته بزواهر نجوم تحريراته مستنيرة الأنحاء، ما وخَدَتْ مطايا الهمم للأخذ منه، وارتوت من روايا الكرم بالرواية عنه، تشرفت بحضور دروسه السنية بالجامع الأزهر والمدرسة السنانية، صقيبة داره ولصيقة جواره[1]، مقتبساً من أنوار غرر

---

(١) الصقيبة: المواجهة والمقاربة، يقال: جار مصاقب إذا كان تجاهك، وفي ب: لصقية بدل لصيقة.

فرائِده، مقلداً أجياد الطلب درر فرائده، برهةً من الدهر ونُهْزة[1] من العمر إلى أن قُوضّت أطناب الاقامةِ من الفسطاط، وأعددت للسير من الخيل الرباط، ووجهت وجهي تلقاءَ مدين ديار الأحباب، أعني دمشق مغنى الأحبة ومغاني الأتراب:

مواطنُ أفراحي ومَرْبى مـآربي وقِبلـةُ أوطـاري ومَأمنُ خِيفتي

استجزت[2] منه فيما له من رواية ودراية، ومشيخة هي لهذا المرام أشرفُ غاية، فأجاز لي بكل ذلك متفضلاً منعماً مشهداً بذلك عليه أجلة أصحابه ومعلماً، بعد أن أمر بعض الأفاضل من خواص حاشيته، أن يكتب ثبتاً بذلك موشحاً بدر نظام مشيخته، وسأورد صورة ذلك كما ثبت لك هنا غير أرقام أولئِك الأشهاد، والله ولي السداد.

شمس الدين الرملي

وممن لقيت من أساطين العلماء وأعلام المشايخ ونحارير الفقهاء، أولي القدر الشامخ، والمجد الباذخ، علامة المحققين على الإطلاق، فهامة المدققين بالاتفاق، بقية السلف الصالحين، أستاذ الخلف من أئمة الدين، شيخ مشايخ الإسلام، محيي سنن سيد الأنام، رافع لواء مذهب الإمام محمد بن إدريس، والراقي في أصحابه على التاج من الرئيس، مظهر الفرق من وجوه الخلاف بالقول الراجح الصحيح، مُعْلقُ الحق من قديم القول وجديده بقوة الترجيح، عمدة أرباب الخلاف، قُدوة أصحاب الاختلاف، العالم بدلائل الأصوليِّين شيخ وإمام الحرمين، من كادت

---

(١) النهزة: الفرصة، وفي ب: ونزهة.

(٢) في ب: استخرجت.

الأيام عنه تكتب ما يلي، إمام الأئمة وسراج الأمة، شمس الملة والدين محمد الرملي[1]، أعز الله الإسلام بطول بقائه، ومتع الأنام بطول نعمائه، تشرفت بحضور مجالس دروسه العامرة، واكتسبت من أنوار فوائده الغامرة، بمنزله مَعْلم العلوم ومربع الفضائل، ومترع الهمم ومحط رحال الأفاضل، وكذا بالمسجد الجامع الأزهر، حيث أضاء بمصباح علمه الأزهر، حضرت فيه وقد خُتم عليه قراءة شرحه على المنهاج، وقد فتح لطلابه من مقفلات أبوابه كل رتاج، فمما وقع في بعض تقريراته، من بدائع روائع تحريراته لفظ الفرصاد[2]، بعد أن روى بعذب ألفاظه كلَّ قلبٍ صَاد، على أنه التوتُ الأبيض، فأوردتُ عليه أثناء التقرير، قول جرير:

قد أترك القرن مصفَرّاً أنامله كأن أثوابه مُجَّتْ بفِرْصَادِ[3]

فأطرق ملياً واستدرك، وقال لعله من المشترك، إلى غير ذلك من فوائِد جمة، ومسائِل مهمة، وسأرسم صورة أرقامه، واثبت رشحة أقلامه، على الرسالة الأرتقية، والنسبة الطالوية، حيث وشحها بلآلىء كلمه، ورشحها لمواطىء قلمه، أبقاه الله للدين ركنا، وللإسلام معقلاً وحصناً.

---

(١) محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي، نسبة إلى الرملة إحدى قرى المنوفية، فقيه الديار المصرية في عصره ومرجعها في الفتوى، كان يقال له الشافعي الصغير، وقد ولى إفتاء الشافعية، وصنف شروحاً وحواشي كثيرة منها «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج»، وفتاوى شمس الدين الرملي، وغيرها، ولد بالقاهرة سنة ٩١٩ هـ، وتوفى بها عام ١٠٠٤ هـ.
انظر خلاصة الأثر ٣٤٢/٣، الأعلام ٢٣٥/٦.

(٢) الفرصاد: التوت الأبيض، وصبغ أحمر، ونوى العنب.

(٣) ديوانه.

محمد بن سراج الحانوتي

وممن تشرّفت بطلعة لقائه، من مشاهير مشايخ الأزهر وعلمائه، وجماهير أئمته وفقهائه، ممن جمع العلم وصالح العمل في قَرَن، وأخلص لربه عز وجل في سره والعَلَن، علّامة علماء عصره، فَهّامة فضلاء مصره، بل شيخ القاهرة المعزية، ومن له في العلوم سِيّما الفقه أعظم مزية، قرة عيون أصحاب أبي حنيفة النعمان، والمشار إليه في التحقيق بالبنان، حَلّالُ المشكلات في الفروع والأصول، كشاف معضلاتِ المعقول والمنقول، بسحر بيانه الهاروتي، شمس الأئمة محمد بن سراج الحانوتي[1]، متع الله الأفاضل بطول بقائِه، وصرف السوء عن حوبائِه[2]، حضرت دروسه الفقهية، واقتبست من أنواره المضية، وذلك بالجامع الأزهر بالجانب الغربي من رواقه، لا زال منيراً بأنوار إشراقه، مع الملازمة والمثابرة مدة إقامتي بالقاهرة، أدام الله رفعته وحرس مهجته آمين.

شحادة الحلبي

ومن أجل ما لقيت بالدِيار المصرية، ممن سكن القاهرة المعزية، وحيد عصره، وعميد مصره، شيخ جامعها الأزهر ومشكاة مصباحه الأنور،

---

(١) محمد بن عمر (سراج الدين) الحانوتي، المصري، الحنفي، شمس الدين، الفقيه الأديب، ولد بالقاهرة في ١٩ صفر سنة ٩٢٨ هـ وتوفي عام ١٠١٠ هـ، وكان والده شيخ الإسلام سراج الدين عمر الحانوتي إماماً في الفقه الحنفي وله كتاب الفتاوى المشهورة فيه، ودرج ابنه على منواله في التأليف ومن آثاره فيه: «إجابة السائلين بفتوى المتأخرين» في مجلدين، وكتاب «مناقب الشعراء».

انظر خلاصة الأثر ٧/٤، وريحانة الألبا ٥٩/٢، ومعجم المؤلفين ٧٨/١١.

(٢) الحوباء: النفس.

من خُصّ بدقائق العلوم وحُبي، الشيخ العلامة شحادة الحلبي[1]، ضمتني معه عدة مجالس، ملقياً فيها من أبحاثه النفائس، وما تَغَار منها آذان الأفاضل، وتحار أذهان الأماثل،فكم أدار عليّ منها بسُلاف لفظه الرقيق، ما يقوم مقام سُلاف الرحيق، فكان مما عليه أداره، ما يحتمل التشبيه والاستعارة طارحاً ذلك مطرح الاستفهام، والقصد إثارة البحث بطريق الإبهام، فلم نزل نتجاذب أطراف الكلام، وفضل الري في ذلك بالأوام، تارة بالنقض وأخرى بالإبرام، إلى أن ظهر الحق وبان المرام، فوجدته في تلك الأبحاث ليث علم لا يجارى، وغيث فضل لا يبارى، وقد كانت الأسماع تشنف من قبل بأخباره، فتشوفت الأبصار لرؤيته بعد قرب مزاره.

حتى اجتمعْنا فلا واللهِ ما سمعتْ أذْني بأحسنَ مما قد رأى بَصَري

كثّر الله فوائده وأجزل من الفضل عوائده، ما زَهَر الأزهرُ بمصابيح ذكائه، وأشرقت ساحاته بنور ذُكائه، فمن قطرات يراعته ورشحات براعته، ما وشح به أعطاف الرسالة الطالوية، بزواهر فِقَرٍ تُخجل الدّراري المضيّة، وستبدو لك محاسن طلعتها عند اجتلاء[2] صورتها.

بدر الدين القرافي

وممن لقيت بتلك الديار من محققي علمائها الراسخين، ومدققي

---

(١) شحادة بن ابراهيم الحلبي الشافعي، نزيل القاهرة، وكان علامة في الأصول والفروع الفقهية ووحيد عصره في المنقول والمعقول، أخذ عنه كثير من فضلاء عصره منهم ابراهيم المأموني والشهاب القليوبي والمؤلف، توفى عام ١٠١٠ هـ.
انظر خلاصة الأثر ٢/٣٢٠.

(٢) في ب: جلاء.

فقهائها أئمة الدين، المحقق العلامة والمدقق الفهامة، بدر العلوم الشارق، وبحرها العذب الرائِق، رئيس السادة المالكية وشيخ القاهرة المعزية مهذّب مذهب إمام دار الهجرة الأصبح مالك، ومن أصبح لأزِمّةِ الخلاف دون أصحابه مالك، والذي غدا مشربه من العلوم سائغ صافي، ورداؤه من الفضائل سابغٌ ضافي، سيدنا العلامة بدر الدين القرافي[1]، لا برح جيد الزمان حالياً بعقود مقاخره، ولسان العصر والأوان تالياً لذكر مآثره، فلما تشرفت مسعداً بلقياه، وأشرقت عليّ كالشموس أنوار محياه:

رأيت به بدراً أضاء بطلعةٍ لبهجتِها[2] كلُّ البدورِ استَسَرَّتِ

فيا له من فقيه مالكيٍّ المذهب جليله، لا يضاهيه فيه من أصحاب مالك غير خليله[3]، فهو الجواد الذي لو جاراه أشهب العلوم[4] لكبا عن

---

(١) محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس، المالكي، المصري، ولي قضاء المالكية فيها، له كتب منها: توشيح الديباج وحلية الابتهاج وهو ذيل على الديباج المذهب/ لابن فرحون، وشرح الموطأ في الحديث، وله نظم ونثر، توفي عام ١٠٠٨ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٢٥٨/٤.

(٢) في ب: لطلعتها.

(٣) يعني به الشيخ خليل بن اسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي، الفقيه المالكي المشهور صاحب كتاب المختصر في الفقه المالكي وقد ترجم إلى الفرنسية، تعلم في القاهرة وولي الإفتاء على مذهب مالك، وله مؤلفات عديدة في الفقه والتراجم، توفي عام ٧٧٦ هـ.

انظر: الدرر الكامنة ٨٦/٢، وحسن المحاضرة ٢٦٢/١، الأعلام ٣٦٤/٢.

(٤) يعني به عالماً آخر من كبار علماء المالكية وهو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي، أبو عمرو: فقيه الديار المصرية في عصره وصاحب مالك، قال عنه الإمام الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب...، وقد ولد أشهب عام ١٤٥ هـ، وتوفي بمصر عام ٢٠٤ هـ.

انظر تهذيب التهذيب ٣٥٩/١، وفيات الأعيان ٧٨/١.

مجاراته، أو باراه بهرام النجوم[1] نبا عن مباراته، هذا إلى عاطر سجايا كَفَاغِمَة الرياض[2] من النواضر، وباهر مزايا تحار فيها الأعين والنواظر:

فكأنما زهرُ الرِّيَا ... مِن تَفَتّفتْ عنه الكِمَامْ
أو ثغرُ باسمةِ الأقا ... حِ من الحَيَا فيه ابْتِسام
أو شَرْخُ مُقْتبل الشَّبَا ... بِ سَقَى معاهدَه الغَمَامْ
وشَدَت بألحان الغَرِيـ ... ـضِ ومعبد[3] فيه الحَمَامْ
قد كان لي في الظِّلِّ من ... أفْياءِ سرحته مُقَام
وَلَّى وأعقبَ حسرةً ... وفراقُ من تهوى الحِمَام
فعليه بعد فراقه ... منِّي التحيةُ والسَّلَام

فهو الذي أقام سوق الأدب بشوارع مصره، بما أحياه من سُنَن شرائِعه، وحطّ عن بنيه ما تَحْمِل من أثقال إصره، بما أبداه من سَنَن بدائعه، أبقاه الله لبنى الآداب، أروى منهل وأخصب جناب، فكم جلا من عرائِس أفكاره الغُرّ، وأوانس أبكاره الزُّهْر، في مطارف وَشْي بديع، يخجل ديباجُه وشْي الربيع، ويُزري سماعه بسقاط كأنه جنا النحل مَمْزُوجاً بماء الوقائع[4]، أو سقيط الطلّ من حُسّانةِ الجيدين وفتّانة العينين، تُخَال في مَها الصَّريم أمَّ طلا وأختَ الرِّيم، من نثرٍ كأنّه سنن الفريد، وهي من نحر حُسّانة الجيد، ونظم تغار منه درر الأسلاك، وتغور

---

(١) بهرام النجوم: المريخ.
(٢) فاغمة الرياض: رائحته.
(٣) سبقت ترجمتها، وفي ب: القريض وهي تحريف.
(٤) ماء الوقائع: ما تمسكه الروضة من الماء.

لحسنه دراريّ الأفلاك، فمنه ما وشّح به أعطاف رسالة النسب الطالويّ، وحلّى منه أجياد الحسب الأرتقي البهي، وسأوردك من كلٍّ صفوٍ نميرَه، وأنهلُك من مطاف غديره، فما وشائع حلل الربيع، ومطارف وشيه البديع، سوى ما حكته لنا في الطروس وشائع أرقامه، أو حاكته من حِبَر الكلام فيه صنائع أقلامه، لا برح الأدب غَضًّا بروائه، ممتعاً بدوام بقائه، آمين.

[السادة البكرية]

وممن لقيتُ من علماء هاتيك الديار، وسادة أفاضلها وفقهاء تلك الأقطار، وقادة أماثلها، من الجامعين لأنواع العلوم والمعارف، والحائزين من شرفيها التليد والطارف، الثلاثة أئمة، أعلام الدين وهداة الأمة، شموس أفلاك التحقيق، بدور منازل التدقيق، من أصبحت لهم في العلوم الحقيقية الرتبة الشامخة، والمعارف الإلهية القدم الراسخة، فروع أغصان الدوحة البكريّة المثمرة بأنواع العلوم، وأفنان الشجرة الصديقيّة، المزهرة بأزاهر المنثور والمنظوم، فهي الثلاثة التي أشرقت الدنيا ببهجتها، وطفقت ألسن الأنام تثني عليها بصدق لهجتها، تفقّه كلٌّ وتصوّف، فأصبح كالروض المُفَوّف، بعد ما افترع من ذروة الفصاحة أشرفها وأعلاها، وارتقى من هضبة البلاغة أرفعها وأسناها، متشحاً رداء العلم وحلة الفضائل، ساحباً ذيلها على هام الأواخر والأوائل، هذا إلى طاهر نسب كعمود الصباح، وظاهر حسب كضوء المصباح:

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى نُوراً ومن فَلَق الصباح عمودا

ونضارة أدب خمائل الشّحر من نفحاته تفوح، وغضارة حَسَبِ مَخَايلُ السِّحر من صفحاته تَلُوح:

أدبٌ يروقـــــــك نُضْرةً فكأنه شَرْخ الصِّبا
أو زهرُ روضٍ بالحِمـــــى قـــد فَتَّحتـــه يـــدُ الصَّبـــا
من تَلْـقَ منهم تَقُلْ لاَقَيتُ سَيِّدهُم مثلُ النجوم التي يُهْدَى بها السَّاري

هم إنسانُ عينِ الزمان، وبهم يفخر العَصرُ والأوان، كما قال عـليٌّ[1] المقال:

يـا أسرةَ الصِّدْقِ والصِّديق إنكُمُ في كـلِّ عصرٍ لعين المجد إنسان

زين العابدين البكري

أقاموا بمصر الفضائِل دعائم فسطاطها، وحلُّوا منها مجلة شهب النعائم[2] دون مناطها، فالعلوم اللدنية تؤخذ من أفواههم، والمعارف الإلهية تقتبس من أنوارهم، سيما طراز حلة فخرهم[3]، وضياء نور فجرهم[3]، لسان الحقائق، ومرشد الخلائق، قطب زمانه ونادرة عصره وأوانه، سيد العارفين وسند الواصلين، سيدنا الشيخ زين العابدين[4]،

---

(١) في ب: على المقال.
(٢) النعائم: منزلة من منازل القمر، صورتها كالنعامة.
(٣) العبارة ساقطة من ب.
(٤) هو زين العابدين بن محمد بن علي البكري، الصديقي، الشافعي، عالم في العربية والتفسير واللغة والبلاغة، من تآليفه: رسالة في الأترج، وله شعر، توفى عام ١٠١٣ هـ.
انظر في ترجمته خلاصة الأثر ٢/١٩٦ - ١٩٩، وريحانة الألبا ٢/٢٢٢.

حضرت مجالسه الشريفة أيام وعظه، وقد أدار فيها سلاف المعاني في كاسات لفظه، فأسكر القوم بعد صحوه، وأثبته في عين محوه، وخصوصاً لياليه المقمرة بسناء معارفه، المشرقة من صفاء مظارفه، أبقاه الله تعالى ذَرَّاف[1] المعارف، ومد ظله الوارف، على قوابل فيضه من المسعدين، إلى يوم الدين.

أبو السرور البكري

وثاني اثنين أفنان شجرة الصديقَ، وأغصان دوحة مجدها العتيق:

ثاني اثنين من أتت في أبيه آيةُ المَدْح في كلام الباري
هي قولُ الإله فيه تعالى ثانِيَ اثنين إذْ هُمَا في الغَارِ

فهو ريحانةُ روضها الأنيق، ونُوارة غصنها الوريق، شيخ المعارف والعلوم، وإمام المنطوق والمفهوم، الجامع بين علوم الشرائع والآداب، والسالك من نهجتها مسالك الصواب، محيي رِباع الفضائِل ومعالم التنزيل، مُجدِّد رسوم العلوم ومعاهد التأويل، من بِفَرْقِ رُوَائه طهرت الأصول، وزَكَت الفروع، وبفرق آرائه ظهرت الأصول وبدت الفروع، طلعت شُموس علومه في سماء القاهرة، فاختفت نجوم فضائلها والأشعة قاهرة:

هو الشمسُ علماً والجميع كواكبُ إذا ظهرتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

أخرس بفصاحته بلغاءَ العرب بأنْحائها، بعدما هدرت شَقَائِقُها في

---

(١) الذراف: السريع، والسيال، وفي ب: دارف.

سُرَّة بَطْحائها، وبدَّد بمنطقه الأواخر والأوائل، وأسحَبَ به ذيلَ العيِّ سحبان وائِل، ألا وهو العالم الذي لم تسمح بمثله الأزمان والعصور، ولم يأت بنظيره تتابع الأعصار والدهور، مَنْ حَظُّهُ من العلوم موفور، وسعيه فيها مشكور، علامةُ عصره، وفهَّامة مِصره، شمسُ فلك الكمال، بدر أفق الجمال، محمد أبو السرور[1]، لا برح الفُسطاط مُخَيِّم فضائله وعلومه، والروض تُزهي بزهر منثوره ومنظومه، فكم ضَمَّني وإياه عدة مجالس، وأسمعني فيها من أبحاثه النفائس، سيما مباحث تتعلق بدقائق التفسير، فقد أبان فيها عن كامل فضل وعلم غزير، وأما مؤاخذته للإمام الفخر فقد جَرَّ بها علي عُلماءِ مصره ذيل الفخر، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وهو الَّذِي أنزل السَّكِينة﴾[2] الآية فهي آية، لرتبة إعجازه في التفسير وأي آية، دعاني يوماً لمغنى كمغاني الشِّعب طيباً، ومعاني الشمس فخراً ونسيباً، مشرفٌ من سمائه على بِركة الفيل، وقد أشرقتْ من آفاقه كواكب النيل:

بأمواهٍ تَصِلُّ بها حصاها صليل الحَلْي في أيدي الغَوَاني

فلم نزلْ نتفيَّأُ ظلال ذلك المقيل إلى أن جرى على لُجين الماء ذهبُ

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد، أبو السرور، زين العابدين ابن أبي المكارم البكري، مفتي السلطنة في مصر، كان آية في علم التصوف ولذا سمي تاج العارفين، وأول من أطلق عليه اسم مفتي السلطنة في الديار المصرية.

من تآليفه: تفسير القرآن من أربع مجلدات، وتفسير سورة الانعام في مجلدين، وتفسير سورة الفتح.

انظر خلاصة الأثر ١٥٢/٤، الأعلام ٢٦٠/٧.

(٢) سورة الفتح الآية.

الأصيلَ، في هواء راق[1] كأيام الهوى، وماءٍ رَقَ[2] كدمعة السرور بعد النَّوى، كما وصف بعضُ شعراءِ الصَّاحِبِ[3] دارَه، وقد جلس فيه كبدرٍ ونحنُ له دارة[4]:

هواءٌ كأيّـــام الهوى فرط رقة وقد فقد العُشَّاق[5] فيها العَواذلا
ومـاءٌ على الرضراض يجري كأنه صفائـح تبْرقـد سُبِكْن سَلَاسلا
كـأنّ بهـا من جرية الماء جنَّةٌ وقـد ألبستهن الريـاح سلَاسلا

فما زال مفيداً لنا سحابة يومه، إلى أن استيقظ راقد الليل من نومه، ثم رحنا عبق المسك بالأردان، نتهادى ما بين صاح ونشوان، وقد تشنفت الأسماع بلآلىء فوائده، وتحلت الأجياد من جواهر فرائده، دامت معاليه، وطابت أيامه ولياليه.

أبو المواهب البكري

وثالثُ نَيِّرِي فلك الفضل والكمال، وقري منازل السعد والإقبال، ريحانةُ روضِ بَنِي الصِّدِّيق ووردتُها النابتةُ مع الشقيق:

نور العـدارة نورهـا ونسيمهـا نشر الخزامي في أخضرار الآس

طراز حلة مجدها، وطلّاع ثنايا نجدها، ومخزن أسرار علومها، ومطلع أنوار فهومها،

---

(١) في ب: راض.
(٢) في ب: مارق.
(٣) في ب: شعر الصاحب.
(٤) الدارة: هالة الضياء التي تحيط بالقمر، أو بغيره من مصادر الضوء.
(٥) في ب: العذال.

شَمْسُ ضُحاها هـلالُ ليلتهـا دُرُّ مقاصيرهـا زَبَرْجَدُهـا

علّامة مصر القاهرة وشيخ أفاضلها، والعالم بدقائق علومها وجلائلها، الفائز من العلوم الإلاهِيَّة بأعلى المراتب، والحائز في المعارف الربانيّة أسنى المناقب، فخرُ بني الصديق وآل الحسن، المؤيَّدُ بفصاحة النطق وحلاوة اللَّسَن، المستعدُّ لفيض ذي المواهب، الشيخ الأجل سيدي أبو المواهب[1] تلفَّع بُرد شبابه الأفواف، وطَرَّزه بحواشي الصون والعفاف، إلى حسن سجايا وطيب شمائل، كزَهْر الرياض ونور الخمائل، وأدب يرفُّ كماء الشباب في محيا وسيم، إذا رأيته تعرفُ فيه نَضْرَة النعيم:

أدبٌ يروقـك نظرةً فكأنّـه عصرُ التَّصـابي
أو شرخُ أيـام الصِّبـا في ظـل أفيـاءِ الشَّبـاب

فهو لعمري قيد النواظر، وشَرَك الخواطر، أضحكُ من الرياض بكتْها الغمائم، وناحت لغير الحُزْن فيها الحمائم، فكم أجنى يدي من باكورة ثماره، بأحلى من جني النحل أتيح لمشتاره، مما لا تتمكن منها الأطماع، ولا تتحكم فيها يد الطباع، فكأنها التي أعدت للمتقين، في ربوة ذات قرار ومَعِين:

---

(١) هو محمد أبو المواهب بن محمد بن محمد بن علي البكري الصديقي، المصري الشافعي، من شيوخ الصوفية البكرية بمصر، وكان في بداية أمره مائلاً إلى الخلاعة ومجالسه مشحونة بأنواع الطرب والملاهي، ثم آلت إليه مشيخة المشايخ بعد وفاة أخيه أبي السرور، فعاد إلى مسلك أسلافه وتصدر للتدريس وإملاء التفسير، ولد بالقاهرة سنة ٩٧٤ وتوفي بها عام ١٠٣٧ هـ.
من آثاره ديوان شعر سماه ترجمان العوارف وبستان المعارف، أخرجه بعد كتابيه «مبتدأ الخلاعة وأنيس الجماعة»، و«سلسال الذهب وعنوان الطرب».
انظر خلاصة الأثر ١/١٤٥، ريحانة الألبا ٢/٢٢٣، الأعلام ٧/٢٩٢.

لهـــا ثمرٌ تشيرُ إليـــك منـــه بأشربـــةٍ وقفْنَ بـــلا أواني

وسأجنيك من وشيم ثمارها[1]، وأحييك بشميم عُرارها، وذلك مما رصّع به كلٌّ من تاج تلك الرسالة الطالويّة، وكساها من ديباج براعته بها الثياب المروزية، من بدائع فِقَر كعقود الجمان، وروائع درر كلآلىء المرجان، كيف ولا هم الثلاثة الأعيان وأئمة الفضائل وأهل العرفان:

ثلاثـة تشرق الدنيـا ببهجتها شمس الضحى وأخوها البدر والقمر

لا زال مخيم الفسطاط مضروب الطناب بطويقائهم أبداً حيث القباب.

الشمس الميموني

وممن لقيتُ من أعلام علماء القاهرة، ممن له صولة لأبيات العلوم قاهرة، شيخ جامعها الأزهر، ومصباحه المنيرُ الأزهر، مالك أزمَّة علمي المعاني والبيان، والمشار إليه فيهما بالبنان، فهو العالم الذي سرى ذكره في الآفاق، مسير الصَّبا حيث جاذب ذيلها النسيم الخفاق، الذي أطلع شمس التحقيق من أفق بيانه، وأظهر بدر التدقيق من نسق تبيانه، أخذ معاني الكلام بأطرافه، فوشح أعطافه من درر أصدافه، وتوغل في طرق البلاغـة سالكاً مضيق شعابها، وتوقل ذرى الفصاحة قارعاً طريق هضابها، بعد أن رفع الأستار عن وجوه إعجازه، وميز فيه بين حقيقته ومجازه، فلهذا عقدت عليه الخناصر من علماء عصره، وانعطفت إليه الأواخر من فضلاء مصره، فلا يضاهيه في ذلك أحد في زمانه، ولا ينسق

---

(١) وشيم الثمار: أول ما ينبت منها، وفي ب: وثم.

ما نسقه من دره ومرجانه، فهو المعوّل عليه في مشكلات العلوم، معقولها ومنقولها، خيم فناء الفسطاط داراً، واتخذها لعُلُومِهِ مِدْرَاراً، فزهتْ به تلك الرُّبَى والمعالم، وأذعن لفضله فيها كلُّ عالم، كيف لا وهو قُرّة عين أصحاب الإمام محمد بن إدريس، ودرة تاج جوهرها الغالي النفيس، ألا وهو العالم العامل، والفاضل الكامل، من إذا ذُكِرت مباحثُ تحقيقه، أو ألَمّ به طيفٌ من سُلافة رحيقه، كادت تأخذني لذلك هزة أو تعروني، شمس الملة والدين محمد المَيْموني[1]، طال ما شرفني بمجالسته، وأورد عليّ من رحيق مُدارسته:

فَسَكِرْتُ من رَيَّا حواشي بُرْده وسَرَتْ حُمَيَّا البُرءِ في أدْوَائي

وذلك بمنزلي بالمكان الموسوم، بقرب الأزهر بزُقاق حَالُوم، وقد حللتُ عنده ما كان أشكل، من دقيقات أبحاث المطوَّل سيما أحوال المسند إليه، إذ كان المعوَّلُ فيها عليه، مع المُمَاشاة معه في شرح المحقِّق الجَلَالِ المَحَلِّي[2]، حيث كان في حلبة الأصول هو المجلِّي، وهو الشرح على جمع الجوامع، فتارة وأخرى أكون فيها السامع، إلى أن قَوّضتُ من الفسطاط طُنُبَ الإقامة، ميمِّماً حِمى دمشق الشام دار المقامة:

---

(١) هو محمد بن عيسى المصري الشافعي، شمس الدين الميموني، عالم فاضل، ولد نحو سنة ٩٣٠ هـ وتوفى سنة ١٠٢٣ هـ.

ترجمته في خلاصة الأثر ١٠٥/٤، وقد ذكر المؤلف هنا ترجمته بأوفى مما ذكر هناك.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد المحلى المصري (جلال الدين)، كان مبرزاً في التفسير والفقه والأصول والبلاغة والمنطق، ولد بالقاهرة عام ٧٩١ هـ، وتوفى بها عام ٨٦٤ هـ. من تصانيفه: شرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه، ومختصر التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي، وشرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك في النحو، وشرح الشمسية في المنطق، وتفسير القرآن المسمى بالجلالين بالاشتراك مع جلال الدين السيوطي.

انظر ترجمته في شذرات الذهب ٣٠٣/٧، حسن المحاضرة ٢٥٢/١.

فودَّعتُ منه طَودَ عِلْمٍ رِعَانُهُ[1] لدى حادثاتِ الجَهْل حِصنٌ ومَعْقِلُ

عبد الله الشنشوري

وممن لقيتُ من أعيان العلماء العاملين، وأشراف الفضلاء أعلام الهدى والدين، ممن جمع الحلم والعلم والصلاح، وسلك مسلك الزُّهد وطريقَ النجاح، العالم العامل، والفاضل الكامِل، مُهذِّبُ مذهبَ الشافعي، بنطقه الشافي العي، عمدة فقهاء المذهب وأرباب الحديث، المُعَوَّلُ عليه في الترجيح بين القديم والحديث، شيخ المسجد الجامع وخطيب أزهره، من كادت تُزْهِرُ - وقد مسّها - أعوادُ منبره، العالم بفروض الكتاب وسُننه، الذي حاز نصف العلم وبه تملّا، بعد أن ملكه وفاز فيه بالقِدْح المُعَلّى، وتملكه فكم راض بفكره الرائض، من مشكلات أبيات الفرائض، وحل من مسائل الحساب، ومشكلاتها الصعاب، فأعجز عن إدراكها القوم، من بدء الإسلام إلى اليوم، مع المثابرة على مذاهب الصحابة الأربع هداة الناس، عليٍّ أمير المؤمنين وابن مسعود وزيد وابن عباس، عالماً بمواضع خلافهم واختلافهم، ومواقع رفاقهم واتفاقهم، مع رغبته عما يرغب في الدنيا والدرهم، وزُهْدٍ في متاع الفانيةكزُهْد ابن

---

(١) الرعان: أنوف الجبل الطويلة الشاخصة.

أدهم[1]، فلهذا تراه مهما تراه وَرِعاً في مسلك الثَّوري[2]، إمام الأزهر وشيخ علومه عبد الله الشِّنْشَوْري[3]، لا برحت بمسائلُ الروضةِ الفَرْضيّةِ وسيلةً لمنهاجه، ومشكلات السِّراجية منيرةً من ضوء سراجه، فهو وسيلةُ العلم وفيه الكفاية، ومنه المعونة وبه العناية، حضرتُ مجالس درسه مع الأصحاب، وأخذت عنه الفرائض والحساب، وذلك بمنزله قرب الأزهر أشرف مكان، مما يلي السبيل حوضَ السلطان، فمما قرأت عليه: أحد

---

(١) يعني به ابراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي، أبا إسحاق، الزاهد المشهور، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد وجال في الشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأمصار، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، وجاءه عبد لأبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم ويخبره أن أباه قد مات في بلخ وخلف له مالاً عظيماً، فأعتق العبد ووهبه الدراهم، ولم يعبأ بمال أبيه، وكان يلبس في الشتاء فروا لا قميص تحته، ولا يتعمم في الصيف ولا يحتذي. توفي مرابطاً في سوقن (حصن من بلاد الروم) عام ١٦١ هـ.

انظر حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧، و ٨/ ٣، وانظر الأعلام ٢٤/١ والمراجع عنه فيه.

(٢) سفيان بن سعيد الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، أبو عبد الله، كان يسمى أمير المؤمنين في الحديث، وكان ورعاً تقياً، راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكمَ فأبى، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي فتوارى، وانتقل إلى البصرة وعاش فيها مستخفياً حتى توفي عام ١٦١ هـ، وله مؤلفات طيبة في الحديث.

ترجمته في الفهرست ٢٢٥/١، وطبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٧، وحلية الأولياء ٣٥٦/٦ ثم ٣/٧، وانظر الأعلام ١٥٨/٣.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله العجمي الشنشوري نسبة إلى شنشور من قرى المنوفية بمصر، فرضي من فقهاء الشافعية، كان خطيب الجامع الأزهر، وله كتب كثيرة منها: فتح القريب المجيب، جزءان من الفرائض (المواريث)، والفوائد الشنشورية في شرح المنظومة الرحبية من الفرائض أيضاً، وبغية الراغب شرح مرشدة الطالب لابن الهائم في الحساب، وشرح تحفة الأحباب في معرفة الحساب لسبط المارديني، ولد سنة ٩٣٥ هـ وتوفي ٩٩٩.

انظر هدية العارفين ٤٧٣/١، وإيضاح المكنون ذيل كشف الظنون ١٨٧/١، والأعلام ٢٧٢/٤، ومعجم المؤلفين ١٢٨/٦.

شروحه على الرحبيـة مقتبساً من لوامع أنواره المضيَّة، مع سماعي لكتاب النُّزهة عليه، وحل بعض مشكلاته لديه، وبعضاً من شرحه لترتيب المجموع[1] الذي هو في الفن أعذبُ ينبوع، للشيخ بدر الدين محمد سبط المارديني[2] العلاّمة، أحلّه اللهُ من فضله دار المُقامة، وغير ذلك مما له من تآليف شريفة، وتصانيف لطيفة، وأجاز لي أن أروي عنه خاصة، وما يرويه عن مشائخه عامة من الكتب المُعتبرة، والوسائل المُحَبَّرة، كما رسم بخطِّه، وأثبته في قِسطِّه[3]، مدَّ الله وريف ظلالـه بمحمد وآله.

وممن لقيت من أئمة أصحاب التحقيق، وأعيان الفضلاء وأرباب التدقيق، الحَبْرَ العلاَّمة، والبحرَ الفَهَّامة إمام أئمة الفروع والأصول، شيخ مشائخ المعقول والمنقول، عُمْـدَة الفقهاء والمحدِّثين، قـدوةَ العلماء أئمة الدين، المتفرد في علوم الحديث بعلو الإسناد المنفرد بصحيح الرواية عن الجمع وترك الآحاد، من علت في علوم الآثار روايته، وخفقت في عصره رايته، عمدة الفقه وقُرَّة عين الأصحاب، وشيخ اللغة والنحو والإعراب، فهو سيبويه العصر وثاني الخليل نحواً وعروضاً، ومعتمد أصحاب الشافعي

---

(١) هو كتاب ترتيب المجموع للكلاني (محمد بن شرف) في علم الفرائض، وما زال مخطوطاً.

(٢) محمد بن محمد بن أحمد الغزال الدمشقي، بدر الدين الشهير بسبط المارديني، عالم بالفلك والرياضيات، أصله من دمشق، ومولده بالقاهرة عام ٨٢٦ هـ وتوفي بها عن ستة وسبعين عاماً سنة ٩٠٧ هـ، وكان موقتاً بالجامع الأزهر، ولكنه كان عالماً بارعاً في التأليف وترك منها العديد، منها: جداول رسم المنحرفات على الحيطان، وحاوي المختصرات في العمل بربع المقنطرات، وتعليق على لامية ابن الهائم في الجبر والمقابلة، وغيرها كثير.

ترجمته في الضوء اللامع ٣٥/٩، والبدر الطالع ٢٤٢/٢، ثم انظر الأعلام ٢٨٢/٧ ومعجم المؤلفين ١٨٨/١١ وما ذكراه من المراجع عن مؤلفاته.

(٣) القط بكسر القاف: الكتاب.

مسنوناً ومفروضاً، من كان إليه تبكري وتغليسي[1]: الشيخ شهاب الدين أحمد البرليسي[2] إمام عالم بأس التنزيل، همام عارف بمعاني التأويل، تهادته الأرواح من ربوع القاهرة فرمت به في رياض دمشق الناضرة:

بين روضٍ وغَدِير ولمى[3] ظلٌّ ظليل
ربوةٌ ذاتُ قرار ومعينٌ سلسبيل

فعلا منها تلك القصور، ولم يسند إليه في علمه قصور، فأقام بها وشباب الزمان مقتبل، وعذاره من ندى الطل ما بقل، وتبوأ صحن جامعه داراً، واتخذه لأفلاك علومه مدراراً[4]، فقامت به سوق الأدب على ساق، وجرى في ميدان العربية فأحرز السباق، وأنجب فيها تلاميذ أفاضل، وألحق الأواخر بالأوائل، بعد أن جالس من أساطين علمائها الفحول، ونحارير فضلائها من يعول عليه في المعقول والمنقول، كعلامة محققيها، وخاتمة مدققيها، العالم الذي لم تسمح به الأدوار، ولم يأت بمثله الفلك الدوار، إمام علمي المعاني والبيان، والمشار إليه فيهما بالبنان، شيخ علمي التفسير والحديث على الإطلاق، في الديار الشامية والحجاز والعراق، المنفرد بعلم عقائد الإسلام، والمخصوص بديار العرب بمعرفة

---

(١) التغليس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء النهار.

(٢) في ب: البرسيلي وهو خطأ، فهو الشيخ شهاب الدين أحمد البرلسي المصري الشافعي، الملقب بعميرة، الإمام العلامة المحقق، أخذ العلم عن الشيخ عبد الحق السنباطي والنور المحلي، وكان عالماً زاهداً ورعاً حسن الأخلاق، يدرس ويفتي، وانتهت إليه الرياسة في تحقيق المذهب، من مصنفاته حاشية على شرح جمع الجوامع للسبكي.

انظر شذرات الذهب ٣١٦/٨، إيضاح المكنون ٣٦٦/١.

(٣) لمى الشجر: أسود ظله.

(٤) في ب: مدراراً.

فن الكلام، إمام النحاة والأصوليين، صدر المناطقة والمتكلمين فخر الملة والدنيا والدين، الشيخ علاء الدين بن عماد الدين[1]، الشافعي مذهباً الأشعري مشرباً تغمده الله بغفرانه، وأسكنه فسيح جنانه.

وكالعلامة المشهور عالم الربع المعمور، من أصفقت عليه كبار الأمة وأجمعت لديه أكابر الأئمة، وقد ظهرت بعض آياته الباهرة بأنه المجتهد على رأس المائة العاشرة، بدر العلوم الباهرة، وقطرها الهامي الهامر، طلع في سماء الفضايل بدر أنار بطلعته، فاختفت بدور الآفاق واستترت لطلعته، إمام المنثور وشيخ المنظوم، والمخترع لتفسير المنظوم الذي أتى فيه وهو الأخير زمانه، بما لم تستطعه الأوائل، وأدرج فيه من فنون البلاغة ما أسحب به ذيل العيِّ سحبان وائل، الإمام المعتبر الجليل العالم بأسس التنزيل، ومعاني التأويل، من خَاطَبه لسانُ زمانه، دون أهل عصره وأوانه، أنت ذخري وكَنْزي، وبك فخري وعِزِّي، شيخ العلوم والمعارف بدر الملة والدين بن الشيخ رضي الدين العامري الغزي[2] مد

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامري، أبو البركات الغزي، بدر الدين، الفقيه المفسر المقرىء المحدث، الأديب، ولد بدمشق عام ٩٠٤، ولزم في الفقه والعربية والمنطق والده رضي الدين، ثم رحل مع والده إلى القاهرة فأخذ عن القاضي زكريا الأنصاري والبرهان بن أبي شريف والقلقشندي وغيرهم.

وقد درس وهو ابن سبع عشرة سنة وشيوخه أحياء، كما تولى بعد ذلك المناصب الدينية كمشيخة القراء بالجامع الأموي وإمامة المقصورة، ودرس في العديد من المدارس كالعادلية والمقدمية والتقوية، وانتفع به خلق ورحل إليه طلاب العلم من الآفاق.

ثم لزم العزلة عن الناس في أواسط عمره، وتوفي عن ثمانين عاماً سنة ٩٨٤ هـ.

من تآليفه: تفسير منظوم للقرآن سماه التيسير في التفسير، والدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، وشرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه وغيرها.

انظر في ترجمته تراجم الأعيان ١/١٧٦، شذرات الذهب ٨/٤٠٣، البدر الطالع ٢/٢٥٢.

الله ريق ظله على الإسلام، وأمتع بحياته الأنام، ما انتظمت سُبْحَةُ الليالي في سلسلة الأيام، ولم يزل برهة من الدهر، ونُهْزَة صالحة من العمر، يستكشف منه مشكلات تفسيره، ويستوضحه من معضلات تحريره، تارة بالمدرسة التقوية جوار جامع بني أمية، وأخرى في بقعة الجامع قرب الكاملية، إلى أن قوض خيام الإقامة من دمشق الشام، ودعت لخيَّم فسطاطه داعية غرام:

فسار مسير البدر يطوي منازلا إلى مصر حتى حلَّ في أهلها عَمْطا
ثَوى فيهمُ كالشمس يُعْطِي ضِيَاءَهُ وليس كمثل البدر يأخذُ ما أعطى

ولما ألقيت بمحروسة القاهرة عصا التسيار، ودمنت منها رسوم تلك الديار، وذلك عام ثمان وتسعين وتسعمائة[1] لقيته في بعض شوارع مصره، وقد عُرِّي كابنِ دَأْيَةَ[2] في وكره طائرُ نَسْرِه:

رأيت منه شُويخاً لست أعرفه وكنت أعهده من قبل ذاك فتى

قد اتخذ المُؤَيَّدة دار هجرته، وانزوى منها وسط حجرته، واستأنس فيها بوحشة من الناس، حتى عن مشتهى الروضة والمقياس، فأنست به أنس الروض بنسيم أسحاره، ومنجد بفاغمة شميم عراره، بعدما أَلِف منزلي بمُعَرَّس الفسطاط، ومخيمي إلف قواطن مكة من وُرْق الحِمى، فدعتني لأخذ علوم الأثر عنه همة علية، فسَرَدْتُ عليه شرح الألفيّة

---

(١) هكذا في ب، أ وفيه نظر فبدر الدين توفى عام ٩٨٤ أو ٨٥ هـ، ومن المؤكد أن صحة هذا التاريخ هو ثمان وسبعين وتسعمائة.

(٢) ابن دأية: الغراب، والدأية في الأصل: الموضع الذي تقع عليه ظلفة الرحل في البعير فتجرحه، ولما كان الغراب كثير الوقوع على هذا الموضع فقد سمي ابن دأية.

لشيخ الحديث في القديم والحديث العراقي[1]، واستمحْته سَجْل معانيه فأتَرْعَنيه إلى العَرَاقيّ[2]، فعند ذلك استبنتُ ما فيه من قوادمه إلى خوَافه، في مدة دونها ليالي[3] الميقات مرتين، وكانت كليالي حبيب بالرقمتين[4]، بحيث صارت إليَّ علومُ الأثر بحمد الله هي العينُ بعد الأثر، فلم يزل مدة إقامتي بالقاهرة يخصني كلَّ يوم من فوائده بنادرة، إلى أن وقفتُ بِثَنِيَّةِ الوداع، وهم قلبي بالإقلاع، فخرج معي للتشييع، ووقف كل منا هنالك وقفة التوديع:

نسرقُ الدَّمعَ في الجيُوبِ حَيَاءً وبنا ما بنا من الأشواقِ

ثم أثنيتُ عنه ثناء الروض على الأمطار[5]، وسرتُ وسار والقلبُ فيه أوار:

---

(١) يعني به عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، الحافظ العراقي، أبا الفضل، وهو من كبار حفاظ الحديث، ولد سنة ٧٢٥ هـ في إربل وتحول صغيراً مع والده إلى مصر فتعلم ونبغ فيها، ثم قام برحلة إلى الحجاز والشام والعراق وعاد إلى مصر، وتوفي بها عام ٨٠٦ هـ.

من مؤلفاته الشهيرة ألفيته في مصطلح الحديث وقد شرحها في كتاب سماه فتح المغيث كما شرحها الكثير من العلماء، وله: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج أحاديث الإحياء للغزالي، والتحرير في أصول الفقه، وألفية في غريب القرآن، ونظم الدرر السنية في سيرة الرسول الكريم، وغير ذلك كثير.

انظر ترجمته في الضوء الطالع ١٧١/٤، وغاية النهاية ٣٨٢/١، وحسن المحاضرة ٢٠٤/١.

(٢) السجل: الدلو العظيمة، والعراقي: جمع عرقوة وهي الخشبة التي توضع معترضة على فم الدلو.

(٣) في ب: الليالي.

(٤) الرقمتان: تثنية الرقمة وهو مجتمع الماء في الوادي، أو الروضة، والرقمتان: روضتان بناحية الصمان، ذكرها زهير في شعره، انظر معجم البلدان ٨٠١/٢.

(٥) في ب: ثم انثنيت عنه ثنيا الروض.. الخ.

وكانــت لِوعــةٌ ثم اطمأنــت[1] كــذاك لكــلِّ سائلــةٍ قَرارُ

داود الانطاكي

وممن لقيتُ بالديار المصريّة من أساتذة العلماء وأكابرها، وجماهير الفضلاء ونواردها، الأستاذ رأس الحكماء ورئيس الأطباء، متقن قوانين الحكمة والطب في عصره، والمُعَوَّلُ عليه فيهما في مجموع البسيطة سِيَّما مصره، من أصبح قانون طبه شفاء الأسقام، والنجاة من شُبَهِ الشكوك والأوهام، فالحكمة الإشراقية لا توجد إلا في مُطَارَحَاته، ومباحثها لا تُؤخذ إلّا من إشاراته وتلويحاته، وسنا حكمة الإشراق إنما تُقْتبس من رموزه اللاَّهوتية، وهياكل النور إنما تشرق من أنواره الملكوتية، فهو الحكيم الفاضل، والفيلسوف الكامل، مهذِّبُ حكمةِ يونانَ من أوهام الشكوك وأكدار الطبيعة، المتمسك من علوم الشرائع والنواميس بأقوى ذريعة، رئيس أفاضل يونان، نادرة العصر والأوان، أبقراط وقته وأوانــه، جالينوس عصره وزمانـه، الواقـف عـلى أسرار الطبائـع والأعشاب، والداخل على سر الصناعة من كل باب، فخر فلاسفة الإسلام، رئيس أطباء الانام، ثاني رَهْنِ المِحْبَسَيْن[2]، ثالث الشَّيْخيْن بلا مَيْن[3]، ذو الخِيم الأطيب الزاكي، الشيخ داود بن عمر الأنطاكي[4]،

---

(١) في ب: أطماس.

(٢) في ب: دهر المحتسبين، وثاني رهن المحبسين يعني أنه كان رهين العمى وحبيس البيت كأبي العلاء المعري الذي كان أول من نعت بهذا الوصف.

(٣) ثالث الشيخين: يعني بالشيخين بقراط وجالينوس وكان هو ثالثهما في براعته في الطب.

(٤) ولد داود بن عمر الأنطاكي في أنطاكية ببلاد الشام ودرس بها المنطق والرياضيات وشيئاً

نزيل القاهرة المُعِزيَّة، والمميَّزُ على مَن فيها المزية، المتوحِّد بأنواع الفضائل، والمتفرِّد بعلوم الأوائل، سيما علم الأبدان، المقدم على علم الأديان، فإنه بلغ فيه الغاية التي لا تدرك، وانتهى منه إلى الرتبة التي لا تكاد توصَف ولا تملك، وأما معرفته لأقسام النبض فآية له باهرة، وكرامة على صدق دعواه، ظاهرة، يكاد لقوة حدسه يسكتشف الداء من وراء حجابه، ويناجيه بظاهر علاماته وأسبابه، هذا وقد كنت وريعان الشباب، وغَيْسَان[1] بلوغ الأتراب، أتنسم أخباره من الفسطاط، وأنا بدمشق والمنزل بشطاط:

حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

فضلٌ ليس وراءه لأحد فضلَه، وعلم لم يحو أحدٌ في عصره مثله، إلى أدب يَفَضُّ منه الناظر، ويَحَار في وصفه الفِكْر ويسرُّ الخاطر:

فكأنـــــه الروضُ الأريـ ـضُ بجنـــة الفردوس حَاكِي
هَتَفَـــتْ بـــه رَأْدَ الضُّحَـى وُرْقٌ سَواجـــعُ في الأراكِ
وحَبَـــاهُ وادي الشِّحْرِ رَيَّـــا عِتْرُهُ فوق المَدَاكِي[2]

من الطبيعيات كما درس اللغة اليونانية، ثم هاجر إلى القاهرة وهناك اشتهر وذاع صيته، ثم عن له أن يرحل إلى مكة فأقام بها سنة ثم مات عام ١٠٠٨ هـ، من مؤلفاته الشهيرة تذكرة أولي الألباب المعروفة بتذكرة داود في الطب، وتزيين الأسواق بأخبار العشاق مختصر أسواق الأشواق للبقاعي، وله النزهة المبهجة في تعديل الأمزجة، وكفاية المحتاج في علم العلاج، وشرح لعينية ابن سينا المشهورة في النفس.

انظر خلاصة الأثر ١٤٠/٢، وشذرات الذهب ٤١٥/٨ وقد نقل فيه ما ذكره الطالوي هنا بنصه.

(١) غيسان الشباب: جدته وأوله ونعمته، يقال: فلان يتقلب في غيسان شبابه.
(٢) العتر: بقل عشبي عطري، والمداكي: الأرض التي دكت وسويت.

فَغْمُ العَطَـــاءِ لأجـــل ذا منـهُ ترى الفُسطـاطَ ذاكِي[1]
حملـــتُ للزوراءِ عنـــه تحيـــــةَ هوجِ المَذاكي[2]
ينحُو بأعـــلى الكَرْخِ دَاراً جَادَهـــا نَوْءُ السِّمَـــاكِ[3]
فهي المَطَـــــافُ لحائرٍ بالحائريَّـــةِ ظَـــلَّ باكي[4]

وردتُ عليه على بُرح اشتياق، وإدّكار لحديثِ هِيتَ[5] وحديث زوراء العراق، بل كنتُ لديه كقميص يوسف حين ألقاه البشيرْ، فكاد أن يُرَدَّ من فرط السرور وهو بصير، فمازَجْتُه امتزاج الرَّاحِ بالماء القُراح، ولزمتُه لزوم الظل في الغُدُوِّ والرواح، فلما استشفَّ غيب باطِنِي من الظاهر، واستشرف بقوَّةِ حَدْسِه عما تَكِنُّ السرائر، سمح لي بشيءٍ من بعض علومه الغريبة، واختصني بدقائق حكمه العجيبة، بما لو انتظم في سلك البيان لسَحَر، أو ظهر لأعين الناظرين لبهر:

فإن كنتَ سَهْلَ القَوْدِ فاطْوِ حديثَه على كلِّ طاوٍ من جيادِ العزائم
وإلّا فـلا تَعْرِضْ لـه فسبيلُـه أشقُّ وأنـأى من طريق المكارم

هذا ولم أزلْ مدة إقامتي بالقاهرة أرُودُ حِماه، وأجعل سمير ليلي فيها قمر مُحيَّاه، تارة بالظاهرية مجمع ناسِه، وأخرى بربع قَيْسون مربع

---

(١) الفغم: الرائحة القوية النفاذة، والذاكي: ذو الرائحة الفائحة.
(٢) الزوراء: اسم للمكان البعيد أو لمدينة بغداد، والمذاكي: الرياح.
(٣) الكرخ: محلة في بغداد، والنوء: المطر والسماك أحد نجمين نيرين في السماء أحدهما الرامح في الشمال والثاني الأعزل في الجنوب.
وفي نسخة ب: جارها نق السماك.. تحريف.
(٤) الحائرية: المنطقة التي فيها الحائر، والحائر قبر الحسين بن علي رضي الله عنه.
(٥) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة بها قبر عبد الله بن المبارك. معجم البلدان ٩٩٧/٤.

إيناسِه، مُمْلياً على فيه من لطائف أسماره، وظرائف نكته البديعة من نوادر أخباره، منها ما سمعتُه منه ورويتُه عنه، وقد سألته عن مسقط راسه، ومشتعل نبراسه، فأخبرني أنه ولد بأنطاكية بهذا العارض، ولم يكن له بعد الولادة بعارض، قال: ثم إني بلغتُ من العمر عدد سيّارة النجوم، وأنا لا أطيق أن أنهض وأقوم، لعارض ريح تحكم في الأعصاب، منع قوائمي عن حركة الانتصاب، وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار، له كرمُ خِيم وطيب نِجار، فاتخذ قرب مزار سيّدي حبيب رباطاً للواردين، وبنى فيه حجرات للفقراء المجاورين، ورتّب لها في كلِّ صباح من الطعام، ما يحمُلها إليها بعض الخُدام، وكنت أُحْمَلُ في كل يوم إلى صحن الرباط فأقيم فيه سحابة يومي، ويُعادُ بي إلى منزل أبي عند نومي، كنت إذ ذاك قد حفظتُ القرآن ولُقِّنتُ مقدماتِ تثقيف اللسان، وأنا لا أفتر في تلك الحال عن مُنَاجَاة قَيِّم العالم في سِرِّي، ومبدع الكل فيما إليه يئول[1] عاقبة أمري، فبينما أنا كذلك وإذ برجل جاء من أقصى المدينة يسعى، كأنه ينشدُ ضالّةً أو أضلّ المسعى، فنزل من الرباط بساحته، ونفض فيه أثواب سياحته، فإذا هو من أفاضل العجم ذو قدر منيف، يدعى بمحمد شريف، فبعد أن ألقى فيه عصا التسيار، وكان لا يألف[2] منزلا كالقمر السيار، استأذنه بعضُ المجاورين في القراءةِ عليه، وابتدأ في بعض العلوم الإلاهيَّة فكنت أسابقه إليه، فلما رأى ما رأى منّي، واستخبر ممن هناك عنِّي، فأجبته ولم يك هناك سوى الدمعُ سائلا ومجيبا، فعند ذلك اصطنع لي دهناً مسَّدني به[3] في حَرِّ الشمس، ولفني

---

(١) في ب: ومبدع الكل فيها إليه يول... الخ.

(٢) في ب: لا نأنف.

(٣) مسده به: لفه على جسده كله كما يلف المسد (الحبل) على الجسد.

لفافة من فَرقي إلى قدمي، حتى كدت أفقدُ عندها الحسّ، وتكرر منه هذا الفعل مراراً من غير فاصل، فتمشت الحرارة الغريزيَّة كالحُمَيَّا في المفاصل، فبعدها شدَّ من وثاقي، وفَصَدني في عَضْدِي وساقي، فقمت بقدرة الواحدة الأحد بنفسي لا بمعونة أحد، ودخلتُ المنزل على والدي فلم يتمالك سروراً، وانقلب إلى أهله فرحاً مسروراً، فضمني إلى صدره وسألني عن حالي، فحدثتُه بحقيقة ما جرى لي، فمشى من وقته إلى الأستاذ، ودخل حجرته وشكر سعيه وأجزلَ عطيَّته، فقبل منه شكره واستعفاه بِرَّه، وقال إنما فعلتُ ذلك لما رأيت فيه من الهيئة الاستعداديَّة، لقبول ما يلقي إليه من العلوم الحقيقيَّة، فابتدأتُ عليه بقراءة المنطق، ثم أتبعته بالرياضي، فلما تمَّ شرعتُ في الطبيعي، فلما أكملت اشرأبتْ نفسي لتعلُّمِ اللغة الفارسية، فقال يا بني إنها سهلة لكل أحد لكني أفيدك اللغة اليونانية فإني لا أعلم الآن على وجه الأرض من يعرفها غيري، فأخذتها عنه وأنا بحمد الله الآن فيها هو إذ ذاك، ثم ما برح أن سار كالبدر[1] يطوي المنازل لدياره، وانقطعت عني بعد ذلك سَيَّارةُ أخباره، ثم جرت الأقدار بما جرت، وخلت الديار من أهلها وأقفرت، بتنكرها علي لانتقال والدي، واعتقال[2] ما أحرزَتْهُ يدي من طريفي وتالدي، فكان ذلك داعية المهاجرة، لديار مصر والقاهرة، فخرجت عن الوطن في رفقة كرام، نؤمُّ بعض المدن من سواحل الشام، حتى إذا صرت في بعض ثغورها المحميّة، دعتْني همةٌ عليّة أو عَلَويّة أن أصعد على جبل عاملة[3] فصعدت منصوباً على المدح وكنت عامله، وأخذتُ على مشائخنا

---

(١) في ب: ثم بارح ما لبدر يطوي... الخ.

(٢) الاعتقال: الحبس والإمساك.

(٣) هم بنو عاملة بن سبأ: حي باليمن من ولد قاسط، ينسب إليهم كثير من العلماء.

ما أخذت، وبحثتُ مع فضلائها فيما بحثت، ثم ساقتْني العنايةُ الإلهية، إلى أن دخلتُ حمى دمشق المحمية، فاجتمعتُ ببعض علمائها من مشائخ الإسلام، كأبي الفتح محمد بن عبد السلام، وكشمس علومها البدر الغَزِّيِّ العامريّ ذلك الإمام، والشيخ علاء الدين العمادي[1]، ثم لم ألبث أن هبطت إلى مصر هبوط آدم من الجنة لما وجدتها كما قال أبو الطيب مَلَاعِبُ جِنة[2]، فكأنها مَغَانِي الشِّعْب[3] وأنا المَغْنِيُّ فيها بقوله:

ولكنَّ الفَتَى العربيَّ فيها غَريبَ الوجهِ واليَدِ واللِّسان[4]

تنبُو عن قَبول الحكمةِ فيها طباع الرجال نُبُوَّ قيناتهم الحسان لحن شيب القَذَال، ترى نُفرة أحدهم عن كماله السرمد نفرة الظليم رأي الظلام فحَوَّد، ثم تمثل بقول من قال[5]:

ما مُقَامي بأرضِ نَخْلة[6] إلاّ كمُقَام المَسيحِ بين اليَهُودِ
أنا في أمة تَدَاركها اللهَ غريبٌ كصالح في ثَمُودِ

هذا ما طَارَحني به في بعض مُطَارَحَاتِه، وحدَّثني به في جُملة حديث مسامراته، وكان فيه دُعابة يُؤْنس بها جليسه، كيلا تعرُو الوَحْشة أنِيسَه، إلى حُسْن سجايا كالرياض بكتها الأمطار، فضحكتْ ثُغور

---

(١) سبقت تراجم هؤلاء السادة من العلماء فانظرها فيما تقدم.

(٢) هو في البيت الذي يقول فيه:

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

(٣) المغاني: البيوت، والشعب هو شعب بوان ببلاد فارس وكان أحد جنان الدنيا.

(٤) ديوانه ٤٦٢.

(٥) هو أبو الطيب المتنبي أيضاً، انظر ديوانه ١٦.

(٦) نخلة: بلدٌ في بعلبك.

أقاحيها عن باسم الأنوار، وكرم نِجار وطيب خِيم، تعرف فيها نَضْرةُ النعيم، وأما فَرَقَهُ من المعاد، وخشيته من ربِّ العباد، فلم أره لغيره ممن لقيتُ من أهل الطريق، وصحبت من أولئك الفريق، كان يقوم الليل إلّا قليلا، ويتبتّل إلى ربِّه تبتيلا، بتُّ عنده الليالي ذوات العدد، فما رأيته إلا قائماً يناجي الفرد الصمد، وكثيراً ما كان يتمثل، بعدما يتبتل، بهذين البيتين وهما لعبد الله بن طاهر بن الحسين:

إلى مَ تُطِيلي العَتْب في كلِّ ساعة فَلِمْ لا تَمَلِّين القطيعةَ والهَجْرا
رَويدُكِ إن الدهر فيه كفايةٌ لتفريق ذاتِ البين فانتظري الدهرا

وأما ما شاهدتُ في قوته القدسيَّة والحَدْسية، في تحقيقاته الفنون الحكمية والطبيعية والرياضية، فإنه كان إذا سُئِل عن شيءٍ منها أملى على السائل في ذلك ما يبلغ الكراسة والكراستين، كما هو مشهور مثل ذلك عن الرئيس أبي عليٍّ بن الحسين، فمن ذلك ما شاهدتُه وهو بحُجرته في الظاهرية، وقد سأله شخص عن حقيقة النفس الإنسانية، فأمر السائلَ أن يكتُبَ بما يُملي عليه، ويلقيه عن ظهر قلبٍ إليه، فلم تمض ساعةٌ أو بعضُها حتى أكمل الرسالة وعَرَضها فقضيتُ بالعَجب مما رأيت، واهتديتُ لنوره وبه اقتديت، وله من الكتب والرسائل، والأشعار المُزريّة بروض الخمائل، ما هو بأيدي الناس مألوف، وعند أربابه من الفضلاء معروف، فمن ذلك الكتاب الذي صنفه وسماه بالتذكرة، جمع فيها الطبَّ والحكمة، وهي بأيدي الناس مشتهرة، ثم اختصرها لقصور الهمم في مجلدة، وهي الآن موجودة كذلك مُخَلّدة، وشرح قصيدة النفس المشهورة للشيخ الرئيس ابن سينا، وقد قرأها عليه بعض الأفاضل فيما غَبَر من الزمان حينا، وهو شرح مفصّل فيه بيان حقيقة النفس

وجوهرها النفيس، بما يرضي السائل وإن كان هو الشيخ الرئيس، وله قطعة منظومة في هذا المعنى، تعرض باعتراض فيها على الشيخ وإن تعنَّى، أملانيه من حفظه، فنقلته عنه بلفظه، وهو هذا:

من بحر أنوار اليقين بحُسْنها ... فلوصلِ أو فصلِ يؤوب كما أعِي[1]
أو للكمال فهيكلٌ لا يُرتضى ... للمطلق الثاني يصحُّ لأربعِ
هَبْهُ يصحُّ ففلذةٌ من أوجِ ما ... قَدُسَتْ تُكَمَّلُ بالحضيض البلقعِ
تا اللهِ ما هَبَطَتْ ولكن أُهبِطَتْ ... فبقَسْرِ آو بالاختيار لمن يَعِي
وعليها تتبدَّل الأحيانُ أو ... تَفْنَي لتدخُلَ في المَحل المُتْقَع[2]

ومما طارحني فيه في بعض مطارحاته، وسامرني به في بعض مسامراته، قصيدة الحكيم الفاضل، والفيلسوف الكامل، أبو علي[3] الحسين بن شبل البغدادي التي خاطب بها الفلك تشتمل على جل مباحث الحكم وأكثر مسائل الفلسفة، وهي من أبدع الشعر وأعذبه، وأبلغ النظم ومستعذبه، وإنما أوردتُها في ترجمته، لشدة ما كان يَلْهَج بإيرادها، ويكرر في غالب أوقاته من إنشادها، وهي هذه:

---

(١) في ب: أدعى.

(٢) المتقع: الشديد.

(٣) في ب: أبو علي بن الحسين، وهو خطأ، فهو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن شبل البغدادي، كان متميزاً بالحكمة والفلسفة، خبيراً بصناعة الطب، أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً، توفي في بغداد سنة ٤٧٤ هـ.

انظر معجم الأدباء ١٠/٢٣ - ٤٥، وقال فيه: هو صاحب القصيدة الرائية التي نسبت للشيخ الرئيس ابن سينا وليست له، وقد دلت على علو كعبه في الحكمة والاطلاع على مكنوناتها، وسارت بها الركبان وتداولها الرواة، ثم أوردها بتمامها، وكذلك انظرها نقلاً عن ما هنا في خلاصة الأثر ٢/١٤٣.

بربِّك أيها الفلك المُدارُ ... أقصدٌ ذا المسير أم اضطرارُ؟
مسيرُك[1] قل لنا في أيِّ شيءٍ ... ففي أفهامنا منك انبهارُ
وفيك نَرى الفضاءَ فهل فَضَاءٌ ... سوى هٰذا الفضاءِ به تُدارُ
وعندك تُرفع الأرواح أم هل ... مع الأجساد يُدرِكُها البَوارُ
وموجٌ ذي المجرَّة أم فِرِنْدٌ ... على لُجَجِ الدُّروع له أُوَارُ[2]
وفيك الشمسُ رافعةٌ شعاعاً ... بأجنحةٍ قَوَادِمُها قصارُ
وطَوْقٌ في النجوم من الليالي[3] ... هلالٌ أم يدٌ فيها سِوَارُ
وشُهْبٌ ذا الخواطفُ أم ذُبال ... عليها المَزْحُ يقدحُ والعَفَارُ[4]
وترصيعٌ نجومك أم حَبَابٌ[5] ... تؤلف بينه اللُّجَجُ الغِزَارُ
تَمُدُّ قوادماً ليلاً وتَطْوَي ... نهاراً مثل ما طُوِيَ النَّهارُ
فكم يصقالها صَدِئَ البرايا ... ولا يصدا لها أبداً غرارُ[6]
تَبَارَى ثم تَخْنِسُ راجعاتٍ ... وتَكْنِسُ مثل ما كَنَسَ الصُّوارُ[7]
فبينا الشرقُ يقذفُها صعوداً[8] ... تلقَّاها من الغَربِ انحدارُ

---

(١) في المعجم: مدارك.

(٢) في المعجم: على الحج الذراع لها مدار، وما هنا أصح فالدروع مناسبة للفرند ويعني به السيف، والأوار: شدة لفح الشمس أو النار ويستعار لشدة ضربات السيوف.

(٣) في المعجم: إذا تبدى.

(٤) لم يرد هذا البيت في المعجم، والمرخ: شجر من العضاه ينفرش ويطول في السماء ليس له ورق ولا شوك، سريع الورى يقتدح به، والعفار: شجيرة يتخذ منها الزناد فيسرع الورى أيضاً، وفي المثل: «في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار».

(٥) في المعجم: وأفلاذ نجومك، والحباب: ما يعلو الماء من فقاقيع.

(٦) الغرار: حد السيف.

(٧) تخنس: تتوارى وتغيب، وتكنس: تدخل في كناسها أي مأواها، والكناس: بيت الظبي، والصوار: القطيع منه.

(٨) في ب: الشوق بدل الشرق، وفي المعجم: يقدمها بدل يقذفها.

عـلى ذا ما مضى وعليه يَمْضِي طوالُ مُنًـــى وآجـــالٌ قِصـارُ
وأيـــامٌ تعرّفنـــا مَدَاهـــا لهـــا أنفاسُنـا أبـداً شفـارُ[1]
ودهرٌ ينـــثرُ الأعمار نـــثراً كما للغصن بالوَرَق انتشارُ
ودُنيـــا كلما وضعـــتْ جنينـاً غَـــذَاهُ من نوائبهـــا ظؤار[2]
هي العَشْواءُ ما خَبطتْ هشيمٌ هي العَجْماءُ ما جرحت جُبارُ[3]
فمن يوم بـــــلا أمس ليوم بغـــير غـــدٍ إليـــه بنـــا يُسارُ
ومن نَفسَيْن في أخـــــذٍ وردٌ لرُوح المرءِ في الجسد انتشارُ
فَلَمْ تأمنْ وقـــد أَلِفـتْ نفوسٌ جُسُومـــاً من مَجَائِمِها تُطـارُ[4]
ألم تـــــكُ بالجوارح آنِسات فَلِمْ بالقُربِ عَادَلهـــا نِفَـــارُ[5]
فـــإن يـــكُ آدمٌ أشْقَى بنيـــه بذنـــب مالـــه عنـــه اعتـــذارُ
ولم ينفعـــــهُ بالأسماء عِـــــلْمٌ ومـــا نَفَـــع السجودُ ولا الجوارُ
فأخْرِجَ ثم أهبـــــط ثم أوذِي فثوبُ السافيـــات لـــه شِعَارُ[6]

---

(١) الشفار:
(٢) الظؤار: جمع ظئر، وهي العاطفة على ولد غيرها. المرضعة له، في الناس والحيوان.
(٣) في ب: هشياً، وهي صحيحة أيضاً، والرواية التي هنا تعرب هشيم خبر ما الموصولة، والجبار: ما لا قود فيه ولا دية.
(٤) رواية هذا البيت في المعجم:
وكم من بعـــد مـــا كانـــت نفوس إلى أجـامهـــا طـــارت وطـــاروا
(٥) رواية هذا الشطر في المعجم:
فأعقب ذلك الأنس النفار
(٦) السافيات: الرياح الشديدة، والشعار: ما يلي الجسد من اللباس، وفي المعجم: فترب بدل فثوب.

فأدركـــه بعـــلم اللهِ فيـــهِ ... من الكلماتِ للذَّنْـــبِ اغتفـارُ
ولكن بعـــــد غُفْران وعفوٍ ... يُعَبَّر مـا تَـلا ليـلاً نَهَـارُ[1]
لقـد بلـغ العـدوُّ بنـا مُنَـاهُ ... وحـلَّ بـآدم وبنـا الصَّغَـارُ[2]
وتُهنـــا ضائعـين كقومِ مُوسى ... ولا عِجْـلٌ أضـلَّ ولا خُوارُ
فيـا لَـكِ اكلةً[3] ما زال منها ... علينـــا نِقْمـــةٌ وعليـك عَـارُ
نُعاقـب في الظُّهور ومـا وَلَدْنـا ... ويُذْبـحُ في حشا الأم الحُوارُ[4]
وننتظر الرَّزايـــا والبَلَايـــا ... وبعـدُ فبالوعيـد[5] لنا انتظارُ
ونخرجُ كارهـــين كما دَخَلْنـــا ... خروجَ الضَّبِّ أخرجَهُ الوِجَارُ[6]
فما ذا الامتنـــانُ عـلى وجود ... لغـــير المُوجَـــدِين بـه الخِيَـارُ
وكانـــتْ أنعُماً لو أنَّ كَوْنـــاً ... نُخَيَّرُ قبلـــــــه أو نُسْتَشَارُ
أهـــذا الـداءُ ليس لـه دواءٌ ... وهـذا الكسرُ ليس له انجبارُ؟
تَحَيَّر فيـه كـلُّ دقيـقِ فكْرٍ ... وليس لعُمْـقِ جُرْحهم انْسِبَارُ[7]
إذا التكويرُ غـال الشمسَ عنّا ... وغـال كواكبَ الليل انتشارُ[8]
وبُدِّلْنـا بهـذي الأرضِ أرضاً ... وطَوَّح بالسموات انفطـــــارُ
وأذْهِلَـتِ المراضـعُ عن بنيها ... لحيرتهـــا[9] وعُطِّلَـــتِ العِشَارُ

(١) في ب: تغير بدل يعبر، والمعنى المقصود أن بنيه يعيرون بما فعل دائماً.
(٢) الصغار: الذل والهوان، وفي ب: العفار.
(٣) المقصود أكل أبينا آدم من الشجرة التي نهى عنها.
(٤) الحوار: ولد الناقة ساعة تضعه، أو إلى أن يفصل عنها.
(٥) في المعجم: فللوعيد.
(٦) الوجار: جحر الضب.
(٧) الانسبار: معرفة مدى العمق.
(٨) التكوير: انتهاء الشمس لانتهاء العالم، وغال: اغتال.
(٩) في المعجم: لدهشتها.

وغَشَّ البَـدْرُ من فَرَقٍ وذُعْرٍ خُسُوفٌ للتوَّعُـدِ لا سِرَارُ[1]
وسُيِّرتِ الجبـالُ فكُنَّ كُثُبـاً مهيـلاتٍ وسُجِّرَتِ البحـارُ[2]
فأين ثباتُ ذي الألبابِ منَّا وأين مع الرجوم لنا اصطبارُ[3]
وأين عقولُ ذي الأفهامِ مِمّا يُراد بنـا وأين الإعْتبـارُ
وأين يغيـبُ لُـبٌّ كان فينا ضيـاؤُك من سنـاه مُسْتعـارُ
ومـا أرضٌ عصتْـهُ ولا سماءٌ ففـيم يغولُ أنجمهـا انكـدارُ
وقـد وافتْـه طائعـةٌ وكانتْ دُخانـاً مـا لغابره شَرَارَ
قضاهـا سبعـةً والأرضَ مهـداً دَحاهـا فهي للأمواتِ دارُ
فما لسُمُوِّ مـا أعـلى انتهـاءٌ ولا لِسُمُوك[4] مـا أرسَى قَرَارُ
ولكن كـلُّ ذا التهويـلِ فيـه لـذي الألبـابِ وعظٌ وادِّكارُ[5]

هـذا ولم أزل مـدة تَدَبُّري بالديار المصرية، وارتباعيُ ربوعها الآهِلَة[6] المعزية، أرودُ منه روض علم بالفضائل نضير، وآوِي إلى مثل هضابِ رضوى وثبير، أنافسُ في زهر آدابه أزهار الخمائل، وتحسُد أسحاري فيه عَشِيَّاتُ الأصائل، بل كنتُ فيه لما يُشنف أسماعي وأنابه الصبُّ العميد، أولى بما قاله الجُعْفيُّ[7] في ابن العميد:

---

(١) السرار: آخر ليلة للقمر واظلام أواخره.

(٢) الكثب جمع كثيب وهو التل من الرمال، وسجرت: امتلأت أو اتقدت.

(٣) المرجوم: جمع رجم وهو ما يرجم به من الحجارة، والمراد أنواع العذاب يوم القيامة.

(٤) في المعجم: وما لعلو.

(٥) رواية هذه الشطرة في المعجم:

لمن يخشى اتعاظ وازدجار

(٦) في ب: الإلهية.

(٧) هو أبو الطيب المتنبي أحمد بن عبد الصمد الجعفي شاعر العربية الكبير وأبياته التالية

من مُبْلغُ الأعراب أني بعدَها لاقيتُ رِسْطاليسَ والإسْكندَرَا[1]
وسمعتُ بطليموسَ دَارِسَ كُتْبِهِ مُتملكاً متبدِّياً متحضِّرَا
ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما ردَّ الإلهُ زمانَهم والأعْصُرَا

إلى أن أثنى السِرَّ من عِناني، وهتفَ ابنُ ورقاءَ فهيَّج أشجاني، من ساجعاتِ ساحة القصرين، فأذكرني بشجوه حَمَام الغوطتين، بناحية القصرين، من أرض الشام عُقْلة المُجْتَاز[2]، بل جنةُ الدنيا على الحقيقة والمجاز:

سقى اللهُ أيامي بها ما يَسُرَّها ويفعلُ فعلَ البابلي المُعَتَّقِ

لا بل الأجْدر بها قولي لها:

سقيتُ ربوعَ الظاعنين فإنه غِنى لك عن ماء الشُّؤونِ الهَوَاطِلِ

استجزتُه واستجزْتُ منه، ما جاز له روايته، وأخْذِهِ عنه من أنواع الكتب العلمية، وأقسام المؤلفات الحِكْميَّة، في الأقسام الطبيعيَّة[3] والفلسفة الإلهيّة[4]، وما صنَّف من ذلك من الكتب المُعتبرة، والرّسائل المُحَبَّرة، ودوّن في نوعي الحكمة المشّائية والإشراقية، لمتألهي حكماء

يقولها من قصيدة في مدح ابن العميد أبي الفضل محمد بن الحسين وزير ركن الدولة البويهي، انظر ديوانه ٤٤٤.

(١) في الديوان: جالت بدل لاقيت، ورسطاليس يعني به الفيلسوف اليوناني الشهير وهو يشبهه به في حكمته كما يشبهه بالإسكندر في سعة ملكه.

(٢) عقلة المجتاز: أي أن الذي يمر بها تعقله بجمالها عن المسير عنها.

(٣) الأقسام الطبيعية هي المبادىء الجسمانية والسماء والعالم، والكون والفساد، وحوادث الجو، والمعادن والنبات والحيوان، والطب والبيطرة وسياسة الدواب والسباع والطيور.

(٤) الفلسفة الإلهية هي الألوهية والروحانيات والنفسانيات والمعاد.

الإسلام، ومتأخري فضلاء الأنام، وسائر أنواع العلوم، من منثور ومنظوم، سيّما الفنون الأدبية، وما ينحاز إلى ذلك من الدواوين الشرعية، وتواريخ الأمم السالفة، التالدة منها والطارفة، وكتب السير والمناقب والأخبار، وظرائف النكت من المقاطيع والأشعار، فأجاز لي بذلك كلّه إجازةً عامة، وبرواية ما يذكر من الكتب خاصّة، فمن ذلك كتابُ رسائل «إخوان الصفاء وخِلّانِ الوفا» للحكيم الفاضل والفيلسوف الكامل أبي القاسم مَسْلمة بن أحمد المجْريطي[1]، تشتمل على إحدى وخمسين رسالةً في فنون شتّى، ومقاصد فَوْضَى، وكتابيه أحدهما الموسوم «برتبة الحكيم» والآخر «بغاية الحكيم، وأحق النتيجتين بالتقديم» وغير ذلك مما يُعْزى إليه، ويُعَوّل في أحكام الصناعة عليه، ومن كتب الرئيس أبي علي ابن سينا كتاب «الشفا» و«القانون» و«النجاة» و«الحكمة المشرقية» وكتاب «التعليقات» و«رسالة الأجرام السماوية» و«الرسالة النذيريّة»، كتب بها إلى بعض سلاطين عصره، وما شاكل ذلك من الكتب والرسائل، وكتاب «الإشارات»[2] الذي هو آخر تصانيفه، مع شرحيه للمحقّق نصير الطُّوسي، وللإمام الفخر الرازي، والمحاكمات بين الشرحين لقطب الملة والدين الرازي وحواشيه

---

(١) فيلسوف رياضي فلكي، كان أمام الرياضيين بالأندلس وأوسعهم إحاطة بعلم الأفلاك وحركات النجوم، مولده سنة ٣٣٨ ووفاته سنة ٣٩٨ بمجريط (مدريد)، ذهب بعض المؤرخين إلى أنه مؤلف رسائل إخوان الصفا، ولم يثبت ذلك، وقد طبعت رسائل اخوان الصفا بتحقيق أحمد زكي باشا شيخ العروبة عام ١٣٤٧ هـ بمصر وفي مقدمة الجزء الأول بحث للمحقق ينفي نسبتها إلى المجريطي.

أما كتاباه الآخران غاية الحكيم ورتبة الحكيم فما زالا مخطوطين.

انظر طبقات الأطباء ٣٩/٢، خلاصة الأثر ٨/٤، الأعلام ١٢١/٨.

(٢) انظر في مؤلفات ابن سينا ومختصراتها وشروحها الكتاب الذي ألفه الأب جورج شحاتة قنواتي بعنوان «مؤلفات ابن سينا»، والذي طبع بالقاهرة عام

لسيد المحقّقين وسند المدقّقين الشريف الجرجاني، قدّس الله سِرَّه وأجزل له، عطاءه وبرّه.

ومن كتب الشيخ المقتول شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي[1] على طريقة المشّائين[2]: «المشارع والمطارحات»[2]، وكتاب «التلويحات» مع شرحه للهبة الفاضل هبةِ الله بن كَمُّونة البغدادي[3]، وكتاب «الألواح العمادية»، سلك فيه طريقةً وُسْطَى بين الحكمتين، صنَّفه للملك العادل عماد الدين ابن داود بن أرتق[4]، ومن كتبه على الطريقة الأخرى كتاب «الرموز اللاهوتية» و«الإشراق»[5] مع شرحه لأفضل الحكماء المتأهلين، قُطْب الملة والحق والدين، محمود بن مصلح العلامة

---

(١) هو يحيى بن حبش بن أميرك، أبو الفتوح، شهاب الدين، السهروردي، نسبة إلى سهرورد من قرى زنجان في العراق العجمي، نشأ بمراغة وسافر إلى حلب، نسب إلى انحلال العقيدة، وكان علمه أكثر من عقله، فأفتى العلماء بإباحة دمه فسجنه الملك الظاهر غازي، وخنق في سجنه بقلعة حلب وقيل قتل وصلب سنة ٥٨٧ هـ.

وكان رديء الهيئة زري الخلقة، لا يغسل ثوباً ولا جسماً، ولا يقص ظفراً ولا شعراً.

انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢٦١/٢، ولسان الميزان ١٥٦/٣، والفلاكة ٦٧.

(٢) المشائين هم أتباع أرسطو من الفلاسفة اليونانيين، ويقول ابن سينا في النجاة «على ما يراه المعلم الأول أرسطو ومن بعده من محصلي الحكمة المشائية».

انظر المعجم الفلسفي ٢١٤، والكتابان اللذان يذكرهما المؤلف ما زالا مخطوطين.

(٣) هو سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة الاسرائيلي (عز الدولة) حكيم، أديب، منطقي، من تصانيفه غير الكتاب الذي ذكره المؤلف، شرح الإشارات لابن سينا في المنطق والحكمة، والحكمة الجديدة في المنطق. وتنقيح الأبحاث في البحث عن الملل الثلاث، توفي في بغداد عام ٦٧٦ هـ.

انظر تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي، كشف الظنون ٩٥، ٤٨٢ (معجم المؤلفين ٢١٤/٤).

(٤) في وفيات الأعيان: عماد الدين قرا أرسلان داود بن ارتق.

(٥) ويسمى أيضاً: حكمة الإشراق، وهو مطبوع.

الشيرازي[1]، وما ضاهى ذلك من رسائل «كالهياكل النورية»[2] وغيرها.

ومن كتب الأدب كتاب الغُرَر والدُّرر[3]، للشريف المُرْتَضَى علم الهدى وكتاب «نهج البلاغة» لأخيه الشريف الرَّضِي، سقى اللهُ ثراهما سحائبَ غفرانه، وأسكنهما بحابيح جنانه، مع شرحه للعلامة عزِّ الدين بن أبي الحديد الكَرْخي المدائني[4]، و«القصائد السبع العلويات» له في

(١) هو محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي قطب الدين، عالم بالعلوم العقلية، مفسر، ولد بشيراز سنة ٦٣٤ هـ، وكان أبوه طبيباً فيها فقرأ عليه، ثم قصد نصير الدين الطوسي فقرأ عليه، ودخل الروم فولي قضاء سيواس وملطية، وزار الشام ثم سكن تبريز وتوفى بها عام ٧١٠ هـ.

وكان ظريفاً لا يحمل هما ولا يغير زي الصوفية، يجيد لعب الشطرنج ويديمه ويتقن الشعبذة ويضرب بالرباب ويجلس في حلق المسافر وهو من بحور العلم.

من كتبه: فتح المنان في تفسير القرآن نحو ٤٠ مجلداً، وحكمة الإشراق وشرح كليات القانون في الطب لابن سينا، وغير ذلك.

انظر بغية الوعاة ٣٨٩، والدرر الكامنة ٣٣٩/٤، والفلاكة ٧٣ (الأعلام ٦٥/٨).

(٢) ويسمى أيضاً هياكل النور، وقد طبع بهذا الاسم.

(٣) طبع هذا الكتاب باسم أمالي المرتضى بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم بالقاهرة سنة ١٩٥٤ م.

(٤) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد، عالم، أديب، من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ، ولد في المدائن وانتقل إلى بغداد وخدم في دواوين الإنشاء، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي، توفى سنة ٦٥٥ هـ.

من تصانيفه: شرح نهج البلاغة في عشرين جزءاً، وقد طبع في مطبعة الحلبي بالقاهرة بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، والقصائد السبع العلويات طبعت أيضاً بإيران سنة ١٣١٧ هـ. ونظم فصيح ثعلب، طبع بمجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الخامس والعشرون لسنة ١٩٧٩، وغير ذلك.

انظر فوات الوفيات ٢٤٨/١، والبداية والنهاية ١٩٩/١٣، ووفيات الأعيان ١٥٨/٢ ومعجم المؤلفين ١٠٦/٥، والأعلام ٦٠/٤.

مدح أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه، وشرحها لبعض العلويين.

ومن دواوين الشعر ديوان الحكيم الأديب والفيلسوف الأريب محمد بن هانىء الأندلسي، وديوان «سِقْط الزِّنْد» للشيخ أبي العلاء أحمد بن سليمان المَعَرِّي مع شرحه، لتلميذه أبي يحيى زكرياء[1] الخطيب التبريزي، وشرحه للشيخ الإمام عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوْسِي[2]، وشرحه المسمى «بِضَرام السِّقط للقسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي الملقب بصدر الأفاضل[3].

ومن التواريخ كتاب «العِقْد» لابن عبد ربه، وكتاب «المسالك والممالك» لابن فضل الله العمري، وكتاب «الملل والنحل» لمحمد

---

(١) هكذا في النسخ، وصحة الاسم: أبو زكريا يحيى، بن علي بن محمد بن بسطام الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي، أديب نحوي لغوي، نشأ ببغداد، ورحل إلى بلاد الشام فقرأ على أبي العلاء المعري وأخذ عنه، ثم أقام بدمشق وتتلمذ عليه خلق وأخذوا عنه، ثم دخل مصر وبقي بها مدة قبل أن يرحل إلى بغداد ويقيم فيها إلى أن توفي عام ٥٠٢ هـ عن أكثر من ثمانين عاماً.

من مؤلفاته: شرح سقط الزند لأبي العلاء، وشرح ديوان الحماسة لأبي تمام والكافي في العروض والقوافي، وقد طبعت هذه، وبقي العديد من كتبه مخطوطاً.

انظر في ترجمته معجم الأدباء ٢٥/٢٠، بغية الوعاة ٤١٣، وفيات الأعيان ٣٠٧/٢.

(٢) أبو محمد، من علماء اللغة والأدب، ولد ونشأ في بطليوس بالأندلس ونزل بلنسية فسكنها حتى توفي بها سنة ٥٢١ هـ.

من مؤلفاته المطبوعة الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة، والمسائل والأجوبة، والانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين، وشرح سقط الزند.

انظر بغية الملتمس ٣٢٤، وفيات الأعيان ٢٦٥/١، والبداية والنهاية ١٩٨/١٢.

(٣) من العلماء في الفقه واللغة والأدب، ولد بخوارزم سنة ٥٥٥ هـ، وقتله التتار سنة ٦١٧ هـ.

انظر معجم الأدباء ٢٣٨/١٦، وبغية الوعاة ٣٧٦.

الشَّهْرِسْتاني، والفاضل بن كَمُّونة البغدادي، وما جمعه ابن خلدون، ونحو ذلك.

ومن كتب المناقب «مطالب السُّول في مناقب الرسول» لمحمد بن طلحة القرشي العدوي النصيبي [1]، وما ألف رجب البُرْسي [2] في هذا المعنى، وكذلك ما صنفه في مناقب آل البيت الخطيبُ المَدَنيّ الشهير بالزَّرَنْدي[3]، وما دوَّنه الفاضلُ شمس الدين محمد بن يوسف المعروف

---

(١) كمال الدين، أبو سالم، النصيبي أو النصيبيني نسبة إلى نصيبين ببلاد الشام التي تولى القضاء بها، وهو من علماء الحديث والفقه والأصول، وله معرفة بالحروف والأوفاق، كتب عن الملوك وساد وتقدم، وقلد الوزارة فحاول أن يتنصل منها لكنه أجبر فلم يجد بدا من الفرار بعد توليها بيومين تاركاً كل ما لديه من مال ونعمة، وذهب إلى الحج ثم عاد إلى حلب حيث توفي بها عن سبعين عاماً سنة ٦٥٢ هـ.

من مؤلفاته: العقد الفريد للملك السعيد، والدر المنظم والسر الأعظم، والجفر الجامع والنور اللامع، وغير ذلك.

انظر طبقات الشافعية ٢٦/٥ وشذرات الذهب ٢٥٩/٥.

(٢) في ب: المرسي وهو خطأ، فهو رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلي المعروف بالحافظ من علماء الحديث والأدب وله شعر، وكان حياً سنة ٨١٣ هـ.

من مصنفاته التي أشار إليها المؤلف: مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين، والدر الثمين في ذكر خمسمائة آية نزلت في شأن أمير المؤمنين.

انظر معجم المؤلفين ١٥٢/٤ والمراجع في هامشه.

(٣) في ب: الزندي، وهو محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي المدني الأنصاري، شمس الدين، محدث، مسند، راوية، فقيه، ناظم، حدث بالحرم المدني، وقدم شيراز فدرس ونشر الحديث وأقام بها إلى أن توفي سنة ٧٤٧ هـ.

من آثاره: مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ونظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، ومعارج الوصول إلى معرفة آل الرسول.

انظر الدرر الكامنة ٢٩٥/٤، وانظر الأعلام ٢٦/٨، ومعجم المؤلفين ١٢٤/١٢.

بالكنجي [1]، وسماه «كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» كسره مائة باب [2].

ومن غرر القصائد ودرر الفرائد في تأبين آل البيت القصيدة التائية التي مطلعها [3]:

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مُقْفِرِ العَرَصَاتِ

لِدعبل بن عليٍّ الخزاعي، وهي إحدى وستون بيتاً، والقصيدة الدالية التي مستهلها:

أقْوَتْ مغانيهم فأقوى الجَسَدُ رَبْعانِ كُلٌّ - بعدَ سَكْنٍ - فَدْفَدُ

للعلامة أديب عصره، وفاضل مصره الشيخ يحيى بن سلامة الحَصْكفي [4]، وعُدّة أبياتها ثمان وخمسون بيتاً، وهي من أرقِّ الشعر لفظاً ومعنى، وأرشق القريض عروضاً ووزناً، إلى غير ذلك من الأشعار والمقاطيع المضمّنة للحِكم، وما انتظم في هذا السلك من جواهر الكلم،

---

(١) أبو عبد الله، أديب فاضل، من مصنفاته البيان في أخبار صاحب الزمان، والكتاب الذي ذكره المؤلف، وله شعر، توفي سنة ٦٥٨ هـ.
انظر الوافي بالوفيات ١/١٤٠.

(٢) كسره مائة باب: أي رتبه عليها.

(٣) انظر هذه القصيدة، في شعره المجموع بعناية الدكتور عبد الكريم الأشتر صفحة

(٤) أبو الفضل معين الدين، المعروف بالخطيب الحصكفي نسبة إلى حصن كيفا بديار الشام، كان كاتباً، شاعراً فقيهاً، ولد عام ٤٥٩ هـ بطنزة في ديار بكر ونشأ بحصن كيفا ثم قدم بغداد فقرأ الفقه، وأخذ الأدب عن الخطيب التبريزي وغيره، ثم رحل إلى ميا فارقين فسكنها وولي بها الخطابة والافتاء حتى توفي سنة ٥٥١ هـ.
انظر معجم الأدباء ٢٠/١٨، ١٩، شذرات الذهب ٤/١٦٨، ١٦٩؛ وفيات الأعيان ٥/٠.

فمن ذلك ما كان يلهج بإنشاده، ويَبْهج كلّ وقت بإيراده، مخاطبةُ الشيخِ الرئيسِ عُطَاردَ النُّجوم، مستمدًّا منه غوامضَ العلوم قوله:

عطاردُ قد واللهِ طال تردُّدِي ... مساءً وصبحاً كي أراك فأغنما
فها أنت فامدُدْني قُوى أدركِ المُنى ... بها والعلومَ الغامضاتِ تكرُّمَا
ووقِّنِي[1] المحذور والشرَّ كلَّهُ ... بأمرِ مليكٍ خالقِ الأرض والسَّمَا

ولما وقفتْ مطيةُ العزم من رَبْع قيسون موقفَ الوداع، وهَمَّ قلبي عن أفقه بالإقلاع، خاطبتُه بقول أديبِ مَعرَّةِ النعمان وقد ودَّع في سيرها أهل بغداد:

أودعكُمْ يا أهلَ قيسونَ والحَشَا ... على جَمَراتٍ ما تَبِين من اللَّذْعِ[2]
وداعَ ضنًى لم يستقلَّ وإنما ... تَحَامل من بعد العَشَارِ على ظَلْعِ[3]
فبئس البديلُ الشام منكم وأهلُه ... على أنهُمْ قومي وبينُهُم رَبْعِيَ

فعندما هيّجته لواعج إطرابي، أنشدني قول الحكيم أبا نصر الفارابي:

أخي خلِّ حَيِّزَ ذي باطل ... وكُن والحقائقَ في حَيِّزِ
فما الدارُ دارَ مُقامٍ لنا ... وما المرءُ في الأرض بالمُعْجِزِ
ينافسُ هذا لهذا على ... أقلّ من الكلم المُوجَزِ
فهل نحن إلا خطوطٌ وقعْـ ... ـن على نُقْطةٍ وَقْعَ مستوفِزِ
محيطُ العوالم أولى بنا ... فما ذا التنافسُ في المَرْكزِ

---

(١) في ب: ووقني.
(٢) في ب: الدمع.
(٣) في ب: تعامل من بعد المعشار الخ

فجعلتُها سمير ضميري، واتخذتها بعده هِجِّيري[1]، وقلتُ في نفسي، بعد أن سَيَّرْتُ نحو الديار عَنْسِي[2]:

وما أنا من عَوْدي إليكم بآيسٍ وقد يجمعُ اللهُ الشتيتين بعدما

وهو آخر ما لقيت من علماء هذا الشان، وفضلاء حكماء هذا العصر والأوان، ممن أقام بفناء الفسطاط مخيماً، وانتجع حماه رائد الفضل ميماً، أتم اللهُ نعمته عليه، ما انتسبتْ علوم الحكمة إليه.

روايات المؤلف وسماعاته

هذا ولنعطف الآن عنان اليراع، لإيراد ما أحرزتُ من رواية وسماع، بإيراد صور ما كتب كل من أولئك السادة ببراعته، ووشّى صفحةَ سطره بحسن براعته، حسبما وعدناه.

إجازة المقدسي له

فمن ذلك صورة ما رقمه شيخ الحنفيَّةِ على الإطلاق، بمصر والشام وما يليهما من الآفاق، حسنة الليالي والأيام، شيخ مشائخ الإسلام، عليُّ

---

(١) هجِّيري: أي عادتي ودأبي، يقال: ما تزال هذا هجيراه أي ما يولع بذكره.

(٢) العنس: الناقة القوية، وفي ب: عيسي.

المقدسي[1] مُتِّع الأنامُ[2] بطول بقائه، وصُرف السُّوءُ عن شريف حَوْبائه[3]، وهي: «بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، الحمد لله الذي جعل العالم النحرير أبا المعالي[4]، وصيره بالتحقيق والتدقيق صدر الموالي، ورقّاه في سلوك سبيل الهداية، إلى عروج معارج الدراية، وبالانتماء إلى المصطفى والمجتبى بإيراده لأحاديث السلسلة بالإسناد العالي، وأشهد أن لا إلَه إلاّ اللهُ وحدُه لا شريك له الوالي المتعالي، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كوكبُ مجدِه وشرفُه على الأنبياء والرسل في سماء الرفعة مُتَلالِي، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن هو على سننهم تابع وتالي، وبعد، فقد شَرَّفَ مجالسَنَا بالحضور، وحصل به غاية الأنس وكمال السرور، العالم الفاضل، جامع أنواع الفضائل، وحاوي[5] سَنَا المناقب وشريف الخصائل، فخر الأماثل

---

(١) علي بن محمد بن علي بن خليل، المعروف بابن غانم، نور الدين المقدسي الأصل، القاهري المولد والسكن.

ولد بالقاهرة سنة ٩٢٦ هـ، ثم أخذ عن علماء عصره، وتفوق على أقرانه في كل فن، حتى أصبح رأس الحنفية في عصره، وأمام أئمة الدهر على الإطلاق، وأحد أفراد العلم المجمع على جلالته وبراعته وتفوقه، مع الولاية والطاعة والورع والزهد.

كان إليه الإفتاء مدة حياته، وولي المناصب الجليلة كإمامة الأشرفية ومدرستها وغيرها من المدارس.

وألف التآليف الكثيرة في الفقه وغيره، مثل شرح الكنز، وشرح الأشباه والنظائر، توفي سنة ١٠٠٤ هـ.

أنظر ترجمته في البدر الطالع ٤٩١/١، خلاصة الأثر ١٨٠/٣ - ١٨٥، ريحانة الألباء ٥٢/٢ - ٥٦.

(٢) في ب: الله.

(٣) الحوباء: النفس.

(٤) في ب: النحرير بالمعالي.

(٥) في ب: حادي.

والموالي، درويش محمد أبو المعالي الشهير نسبه الكريم بابن طالو، أطال الله بقاه، وأدام علوه وارتقاه، فقرأ عندي طائفة من الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، وسمع مني بعضاً من الحديث من صحيح الإمام أبي الحجاج مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تغمدهما الله برحمته، وقرأ نبذة من كتاب الهداية في فقه الإمام الأعظم والمجتهد المتقدم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الفِرْدَوْس منقلبه ومثواه، تأليف الشيخ الإمام أبي الحسن عليّ بن عبد الجليل المَرْغِينَانِي[1]، مع مراجعة شرحها للمحقق العلامة الكمال بن الهمام[2]، وسمع كثيراً من كتاب «كنز الدقائق ومعدن الحقائق» في الفقه المذكور، تأليف الإمام العلامة أبي البركات حافظ

---

(١) هو علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين، من أكابر علماء الحنفية، فضلاً عن أنه محدث حافظ مفسر، ولد في مرغينان بنواحي فرغانة سنة ٥٣٠ هـ، وتوفى عام ٥٩٣ هـ.

من مؤلفاته: بداية المبتدي في الفقه، وشرحه: الهداية في شرح البداية، في مجلدين، ومختار الفتاوي، والتجنيس والمزيد، وكلها في فروع الفقه.

انظر الجواهر المضية ٣٨٣/١، وتاج التراجم ٣١.

(٢) محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السواسي الاسكندري القاهري الحنفي، عالم في الفقه والأصول والتفسير والفرائض والتصوف واللغة وعلم الطبيعة والحساب والفلك وغير ذلك، ولد بالاسكندرية وقدم القاهرة ثم رحل إلى حلب وجاور بالحرمين الشريفين ثم كان شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية بمصر، وكان معظماً لدى الملوك والحكام، توفى عام ٨٦١ هـ.

من مصنفاته كتابه الذي يشير إليه المؤلف، شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي، وسماه فتح القدير للعاجز الفقير، والتحرير في أصول الفقه، وشرح بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والأحكام لابن الساعاتي، وغيرها.

انظر: الضوء اللامع ١٢٧/٨، حسن المحاضرة ٢٧٠/١، شذرات الذهب ٢٩٨/٧، بغية الوعاة ٧١/٧.

الدين النسفي[1] مع المباحثة في شروحه وغيرها، وسمع أيضاً طائفةً من كتاب «المنار في أصول الفقه» للإمام أبي البركات المذكور، وقد بحث وأجاد وأفاد أكثر مما استفاد، وطلب مني الإجازة بما أرويه فامتثلت أمره أدام الله توفيقه، ورفع إلى أعلى المراتب قدره، وأجزت له أن يروي الكتب المذكورة عني وسائر ما يجوزُ لي وعنّي روايته، من مقروءٍ ومسموع ومؤلَّفٍ ومجموع، وبقية الستة المشهورة[2] وموطأ الإمام مالك بن أنس برواية يحيى بن يحيى[3]، ومسند الإمام أبي حنيفة ومسند الإمام الشافعي ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ومسند الدارمي[4]، ومسند

---

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي (أبو البركات، حافظ الدين): فقيه أصولي مفسر، توفي في بلدة إيذج بين خوزستان وأصبهان سنة ٧١٠ هـ.

من تصانيفه: منار الأنوار في أصول الفقه، وكنز الدقائق، والكافي في شرح الوافي، كلاهما في فروع الفقه الحنفي، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير، وهو كتاب مشهور، معروف بتفسير النسفي.

انظر في ترجمته: الدرر الكامنة ٢٤٧/٢، الجواهر المضية ٢٧٠/١، تاج التراجم ٢٢.

(٢) الكتب الستة المشهورة في الحديث، هي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن ابن ماجة، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن أبي داود.

(٣) ابن أبي عيسى كثير بن وسلاس الليثي، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، بربري الأصل من قبيلة مصمودة بطنجة، قرأ بقرطبة، ورحل إلى المشرق شابا، فسمع الموطأ من الإمام مالك وأخذ عن علماء مكة ومصر، ثم عاد إلى الأندلس، فنشر فيها مذهب مالك، وعلا شأنه عند السلطان، فكان لا يولّى قاض في أقطار الأندلس إلا بمشورته واختياره، واشتهر بالعقل، قال عنه الإمام مالك: هذا عاقل أهل الأندلس، توفي بقرطبة عن اثنين وثمانين عاماً سنة ٢٣٤ هـ.

انظر نفح الطيب ٣٣٢/١، والديباج المذهب ٣٥٠، وتهذيب التهذيب ٣٠٠/١١.

(٤) عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي، السجستاني الدارمي الشافعي، أبو سعيد، المحدث الحافظ، ولد قبل سنة ٢٠٠ هـ، وطوف الآفاق في طلب الحديث، وتوفي سنة ٢٨٠ هـ، من تصانيفه: المسند الكبير، الرد على الجهمية، وكتاب في الرد على بشر المريسي فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجهمية. =

الطيالسي[1]، والمعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والأصغر للطبراني[2]، وصحيح ابن حِبّان[3]، والقراءة خلف الإمام للبخاري[4]، وبقية مصنفات أصحاب الكتب الستة[5]، وكتب التواريخ وغيرها من الأجزاء الحديثية، والمستدركات للحاكم وأبي عوانة وغيرهما[6]، والحلية

= انظر البداية والنهاية لابن كثير ٦٩/١١، طبقات الشافعية ٥٣/٢، مرآة الجنان ١٩٣/٢.

(١) سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش، أبو داود الطيالسي، من كبار حفاظ الحديث، فارسي الأصل، سكن البصرة وتوفى بها سنة كان يحدث من حفظه، وكان يقول: أسرد ثلاثين ألف حديث ولا فخر، وله مسند مشهور، طبع.

انظر تاريخ بغداد ٣٤/٩، واللباب ٩٦/٢.

(٢) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، من كبار المحدثين، أصله من طبرية ببلاد الشام، وإليها نسبته، ولد بعكا ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، وتوفى بأصبهان عام ٣٦٠ هـ.

له ثلاثة معاجم في الحديث كما ذكر المؤلف، رتب في الصغير منها أسماء المشايخ على الحروف.

انظر وفيات الأعيان ٢١٥/١، والنجوم الزاهرة ٥٩/٤، وتهذيب ابن عساكر ٢٤٠/٦.

(٣) ويسمى التقاسيم والأنواع.

(٤) هو كتاب خير الكلام في القراءة خلف الإمام، وقد طبع مع ترجمة إلى اللغة الأوردية في دلهي سنة ١٢٩٩ هـ. انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٧٩/٣ الترجمة العربية.

(٥) للإمام البخاري عشرة كتب غير الجامع الصحيح، انظر بيانها في تاريخ الأدب العربي ٣/ ١٧٨، ١٧٩، وللإمام مسلم كتابان انظر المصدر السابق ١٨٥، ولأبي داود ستة كتب، انظر صفحة ١٨٨، وللترمذي كتابان، صفحة ١٩٢، ١٩٥، وللنسائي خمسة، صفحة ١٩٧، ١٩٨، ولم يذكر لابن ماجة غير كتابه السنن.

(٦) المستدركات أحاديث لم يدخلها البخاري ومسلم في صحيحيهما رغم أنها مستكملة لشروطهما، وقد ألف في ذكرها الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن البيع، المتوفى سنة ٤٠٤ كتابه: المستدرك، وأبو عوانة يعقوب ابن اسحاق الاسفرايني الحافظ كتابه الصحيح المسند، وهو مخرج على صحيح مسلم وله فيه زيادات.

لأبي نعيم[1]، والمسلسلات بأنواعها والعشريات وغيرها.

فأروي صحيح البخاري عن جماعة العلماء - قدّس الله تعالى أرواحهم، ونوّر ضرائحهم - منهم قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد الفُتُوحي الحنبلي الشهير بابن النجار[2]، قرأت عليه بجميعه بروايته له عن جَمْعٍ من المشائخ، منهم: شيخ الإسلام بدر الدين البُلْقِيني[3]، قرأتُ عليه، قال: أخبرني به جدّي شيخ الإسلام بهاء الدين بن عقيل[4] قال: أنبانا به مسند الآفاق أحمد بن أبي طالب الحجّار الصالحي[5]، قال:

---

(١) هو كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله المتوفى سنة ٤٣٠ هـ، وكتاب الحلية في عشرة أجزاء وقد اختصره ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة، وكلاهما مطبوع.

(٢) فقيه حنبلي مصري، من القضاة، قال عنه الشعراني: صحبته أربعين سنة فما رأيت عليه شيئاً يشينه، وما رأيت أحداً أحلى منطقاً منه ولا أكثر أدباً مع جليسه، ولد سنة ٨٩٨ هـ وتوفى سنة ٩٧٢ هـ، له من المصنفات كتاب: «منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات» في فقه الحنابلة وشرحه.

انظر الأعلام وهامشه ٦/٢٣٣.

(٣) محمد بن عمر بن رسلان الكناني المصري البلقيني الشافعي، فقيه، ولد بالقاهرة وقدم دمشق وأخذ عن والده وجمال الدين الإسنوي وغيرهما، وباشر الوظائف الجليلة ومنها قضاء العسكر بالديار المصرية، توفى سنة ٧٩١ هـ.

انظر شذرات الذهب ٦/ ٣١٨.

(٤) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله، بهاء الدين، أبو محمد.

نحوي فقيه مفسر، ولد سنة ٦٩٨ هـ، وتولى القضاء بمصر، وتوفى عام ٧٦٩ هـ. له كتب منها الكتاب الشهير في النحو: شرح ابن عقيل على الألفية، وله في الفقه مختصر شرح الرافعي للوجيز للغزالي في فروع الشافعية، وفي التفسير: التعليق الوجيز على الكتاب العزيز.

انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ٢٦٦، شذرات الذهب ٦/ ٢١٥.

(٥) شهاب الدين، عمر طويلاً حتى ليقال إن بين سماعه للصحيح عن الحسين الزبيدي وبين وفاته مائة سنة، وكان ورعاً زاهداً يأكل من عمل يده، فيخرج في اليوم الذي لا يسمع عليه =

أخبرنا به أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر بن المبارك الزَّبِيدي[1]، قال: أخبرنا به أبو الوقت عبد الأول ابن عيسى الهروي[2]، بسماعه من أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودي[3]، بسماعه من الحافظ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي[4] بسماعه من أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفَرَبْري[5] بسماعه من الحافظ أبي عبد الله البخاري.

إلى الحجارين في الجبل يقطع الحجارة، وكان ربما خرج الطلبة إليه وهو يقطع الحجارة ليسمعهم، توفي سنة ٧٣٠ هـ، عن مائة سنة وسبعة، ودفن بالصالحية من دمشق.

انظر شذرات الذهب ٦/٩٣.

(١) نزيل بغداد، فقيه محدث، أديب مقرىء، تفقه وأفتى، وحدث ببغداد ودمشق وحلب وغيرها، توفي سنة ٦٣٩ هـ عن أكثر من تسعين عاماً.

انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، شذرات الذهب ٥/١٤٤.

(٢) السجزي ثم الهروي الماليني الصوفي الزاهد، سمع صحيح البخاري ومسند الدارمي وعبد بن حميد بن جمال الإسلام الداوودي في وقت مبكر عام خمس وستين وأربعمائة وقدم بغداد فحدث بها وازدحم الخلق عليه.

وكان خيراً متواضعاً متودداً، حسن السمت، متين الديانة محباً للرواية، توفي سنة ٥٥٣ هـ.

انظر شذرات الذهب ٤/١٦٦.

(٣) جمال الإسلام، فقيه محدث، تفقه على القفال المروزي، وأبي الطيب الصعلوكي وأبي حامد الاسفرايني، واستقر ببوشنج للتصنيف والتدريس والفتوى والتذكير، وكان له بعض النظم.

توفي عن ثلاث وتسعين عاماً سنة ٤٦٧ هـ.

انظر المنتظم ٨/٤٩٦، والنجوم الزاهرة ٥/٩٩، شذرات الذهب ٣/٣٢٧.

(٤) المحدث الثقة، روى عن الفربري صحيح البخاري، وروي عن عيسى بن عمر السمرقندي مسند الدارمي، وروى عن ابراهيم بن خريم مسند عبد بن حميد وتفسيره، توفي سنة ٣٨١ هـ، وله ثمان وثمانون سنة.

انظر شذرات الذهب ٣/١٠٠.

(٥) الفربري نسبة إلى فربر، وهي بلدة على طرف نهر جيحون مما يلي بخارى، وأبو عبد الله

وممن رويتُ عنه البخاري العلامةُ المحقِّق ناصرَ الدِّين اللَّقَّاني المالكي[1]، ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن الفقيه المقدسي الحنبلي[2] وغيرهم، وأروي صحيح مسلم عن الشيخ الإمام العلامة جامع أنواع العلوم المشهور، بعالم الربع المعمور، الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس المغربي التونسي الشهير بمغوش[3]، قراءةً لبعضه عليه واجازة لباقيه، وقرأت عليه كثيراً من شرح المختصر الأصلي للعلامة ابن الحاجب، وبعض القرآن الشريف بالقراءات العشر.

وممن أروي عنه صحيح مسلم قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن النجار الفتوحي الحنبلي قراءة عليه بجميعه، بروايته له عن شيخ الإسلام البدر

هو الذي روى صحيح البخاري عنه، ولهذا فقد رحل الناس إليه لسماعه منه، توفى سنة ٣٢٠ هـ.

انظر اللباب ٢٠٢/١.

(١) محمد اللقاني المالكي، الحافظ ناصر الدين، أبو عبد الله، فقيه، أصولي، محدث، صوفي. من مصنفاته حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه، وحاشية على شرح التصريف للزنجاني، توفى سنة ٩٥٨ هـ.

انظر كشف الظنون ص ٥٩٥.

(٢) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان بن حمزة المقدسي الحنبلي، قال ابن حجر: سمع من العز محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن أبي عمر وغيره، ولى منه إجازة، توفى سنة ٨٠٢ هـ.

انظر شذرات الذهب ١٥/٧

(٣) محمد بن محمد الكرمي، التونسي، المالكي الملقب بمغوش، شيخ الإسلام شمس الدين، تولى قضاء الجند بتونس، ورحل إلى القسطنطينية وأقام مدة قصيرة في حلب وطرابلس ودمشق وقرأ عليه بعض علمائها، وتوفى بالقاهرة سنة ٩٤٧ هـ، وكان عالماً بالنحو والحديث والقراءات.

من مصنفاته: امال على الشاطبية، انظر شذرات الذهب ٢٧٠/٨، وانظر الأعلام ٢٨٥/٧.

أبي السعادات البُلْقيني قراءةً بجميعه، قال: أخبرني السند أبو ذر عبد الرحمن بن محمد البياني [1]، قال: أخبرنا به أبو الحسن علي بن مسعود بن نفيس الموصلي ثم الحلبي [2]، قال: أخبرنا به إبراهيم بن عمر الواسطي [3]، قال: أخبرنا به منصور بن عبد المنعم الفُرَاوي [4]، قال: أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الصَّاعدي الفُراوي [5].

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الزركشي الحنبلي (زين الدين، أبو ذر) فقيه من أهل مصر، ولد بها سنة ٧٥٨ هـ وكان خيراً فاضلاً، ناب في الحكم بمصر مدة طويلة، واستقر في تدريس الأشرفية المستجدة بالقاهرة، وروى عنه خلق من الأعيان، توفي عام ٨٤٥ هـ.

وله مصنفات عدة. انظر حسن المحاضرة ٢٧٦/١، شذرات الذهب ٢٥٦/٧.

(٢) الحنبلي الصوفي، المحدث الحافظ، نزيل دمشق، ولد سنة أربع وثلاثين وستمائة سمع أئمة الحديث بالشام ومصر، وقرأ كتباً مطولة مراراً وعني بالحديث عناية تامة، وكان يجوع ويشتري الأجزاء ويتعفف بكسرة فيسوء خلقه مع تقواه وصلاحه، وقد سمع منه الذهبي وجماعة، توفي سنة ٧٠٤ هـ.

شذرات الذهب ١٠/٦.

(٣) ابن البرهان العدل الصدر، رضي الدين ابراهيم بن عمر بن مضر بن فارس المصري الواسطي التاج السفار، ولد سنة ٥٩٣ هـ، وسمع صحيح مسلم من منصور الفراوي وسمعه منه خلق بدمشق ومصر واليمن، توفي سنة ٦٦٤ هـ.

شذرات الذهب ٣١٤/٥.

(٤) منصور بن عبد المنعم بن أبي البركات عبد الله بن فقيه الحرم محمد بن الفضل الفراوي، أبو الفتح، ولد سنة ٥٢٢ هـ، وسمع من جده كما أدرك جد أبيه فروى عنه، وروى الكتب الكبار ورحل إليه من كل فج، توفي في نيسابور سنة ٦٠٨ هـ.

شذرات الذهب ٣٤/٥.

(٥) أبو عبد الله، محدث واعظ فقيه، ولد سنة ٤٤١ هـ بنيسابور، وتوفي بها سنة ٥٣٠ هـ، وهو جد جد منصور بن عبد المنعم السابق الذكر.

من مصنفاته: المجالس في الوعظ والتذكير، وأربعون حديثاً، وكتاب في فروع الفقه الشافعي.

انظر هدية العارفين ٨٧/٢، معجم المؤلفين ١٢٧/١١.

قال: أخبرنا به أبو الحسن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي [1]، قال: أخبرنا به أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه الجَلُودي [2]، وقال: أخبرنا به أبو إسحق إبراهيم بن سفيان الفقيه الزاهد [3]، قال: أخبرنا الإمام مسلم.

وأروي كتاب كنز الدقائق [4] عن جمع من المشائخ منهم العالم الصالح المحقق أبو العباس أحمد شهاب الدين ابن يونس الشهير بابن الشلبي [5] سماعاً لجميعه عليه بقراءة، البدر الشهاوي، وعن شيخ الشيوخ الشمس

---

(١) عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي النيسابوري، أبو الحسن، محدث حافظ، لغوي، أديب، فقيه، ولد سنة ٤٥١ هـ، وتوفي في نيسابور سنة ٥٢٩ هـ.
من مصنفاته: السياق في ذيل تاريخ نيسابور، والمفهم في غريب صحيح مسلم، ومجمع الغرائب في غريب الحديث.
انظر تذكرة الحفاظ ٦٨/٤، شذرات الذهب ٩٣/٤.

(٢) الجلودي بفتح الجيم، أبو أحمد محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن الجلودي الزاهد النيسابوري، سمع أبا بكر بن خزيمة وابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، وهو راوي كتاب مسلم عنه، توفي سنة ٣٦٨ هـ. انظر اللباب ٢٣٤/١.

(٣) ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، أبو اسحاق النيسابوري، راوي صحيح مسلم عن محمد بن رافع، قيل: كان حجاب الدعوة، انظر العبر ٧٦١٠.

(٤) كنز الدقائق: كتاب في فروع الحنفية للشيخ أبي البركات حافظ الدين النسفي، المتوفى ٧١٠ هـ، وهو يعد أحسن مختصر صنف في فقه الحنفية، إذ لخص فيه الوافي بذكر ما عم وقوعه حاوياً لمسائل الفتاوي والواقعات، وقد اعتنى به العلماء ووضعوا له ما يقرب من ثلاثين شرحاً، أحسنها التبيين لمحمد بن عثمان الزيلعي. انظر كشف الظنون ١٥١٥.

(٥) هو أحمد بن يونس المصري، الحنفي، المعروف ابن الشلبي الإمام العالم العلامة الأوحد، المحقق، كان عالماً كريم النفس: كثير الصدقة، ذا حياء وحلم، وكان رفيقاً لمفتي دمشق القطب بن سلطان في الطلب على قاضي القضاة شرف الدين بن الشحنة والبرهان الطرابلسي ثم المصري في الفقه وعلى الشيخ خالد الأزهري في النحو، توفي بالقاهرة عام ٩٤٦ هـ.
انظر: شذرات الذهب ٨/ ٢٦٦ - ٢٦٧.

الغَزّي[1]، قراءة لجميعه عليه بروايته له عن شيخ الإسلام سري الدين عبد البر[2] ابن الشِّحْنة[3]، بروايته عن والده قاضي القضاة محبّ الدين[4]، وهو يروي عن العلامة محقق زمانه الكمال بن الهمّام[5]، وهو

---

(١) محمد بن قاسم بن محمد بن محمد، أبو عبد الله شمس الدين الغزي، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي، فقيه شافعي، ولد سنة ٨٥٩ بغزة ونشأ بها، وتعلم بالقاهرة ثم أقام بها وتولى أعمالاً في الأزهر وغيره، من مؤلفاته: فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب، ويعرف بشرح ابن قاسم على متن أبي شجاع، وحواش على حاشية الخيالي في شرح العقائد النسفية، توفي سنة ٩١٨ هـ.

انظر الضوء اللامع ٢٨٦/٨.

(٢) ساقط في ب.

(٣) الحلبي، أبو البركات، ولد بحلب سنة ٨٥١ هـ، وارتحل إلى القاهرة فاشتغل في علوم شتى على شيوخ متعددين (انظرهم في ترجمته في الضوء اللامع) ودرس وأفتى وتولى قضاء حلب ثم قضاء القاهرة، وصار جليس السلطان الغوري ونديمه، له من المؤلفات: الرمز إلى تحقيق الوقاية، وشرح الكنز في فروع الفقه الحنفي، وعقود اللآلي والمرجان فيما يتعلق بفوائد القرآن، وله نظم في أسماء البكائين في غزوة تبوك، وهم الذين نزلت فيهم الآية الكريمة (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً)، توفي سنة ٩٢١ هـ.

انظر الضوء اللامع ، شذرات الذهب ٨/ ٩٨، الكواكب السائرة ١/ ٢٢٠.

(٤) محمد بن محمد، الحنفي، محب الدين، أبو الفضل، مؤرخ، فقيه حنفي، يعرف بابن الشحنه الصغير، تولى قضاء الحنفية بحلب ثم قدم إلى القاهرة فولي بها كتابة السر، ثم نفي إلى بيت المقدس ثم أذن له بالعودة إلى حلب فعاد، ثم إلى مصر فتولى بها قضاء الحنفية، ثم صرف عن العمل، ومرت به محن وشدائد فلج بسببها في آخر عمره، ومات بالقاهرة سنة ٨٩٠ هـ وهو شيخ الخانقاه الشيخونية.

انظر الضوء اللامع ٢٩٥/٩، شذرات الذهب ٣٤٩/٧، معجم المؤلفين ٢٩٤/١١ ويكنيه شمس الدين وهو خطأ، والراجح أنه كان يكنى محب الدين كأبيه كما ورد في الشذرات.

(٥) سبقت ترجمته.

يروي عن الشيخ علاء الدين السيرامي[1]، وهو يروي عن السيد الشريف جلال الدين الحنفي[2]، وهو يروي عن الشيخ عبد العزيز البخاري[3]، وهو يروي عن الشيخ بديع الدين[4]، وهو عن المصنف.

وأما سندي في الهداية[5] فإني أرويها عن جمع من المشائخ منهم: شيخ

---

(١) هو علاء الدين بن أحمد بن محمد السيرامي، كان من كبار العلماء في المعقولات رحل إلى القدس للزيارة وحلا له المقام في حلب، وبلغ خبره الملك الظاهر فاستدعاه وقرره شيخاً ومدرساً بمدرسته التي أنشأها بين القصرين، وأفاد الناس في علوم عديدة، وكان إليه المنتهى في المعاني والبيان، توفي سنة ٧٩٠ هـ.

انظر شذرات الذهب ٣١٣/٦.

(٢) جلال بن أحمد بن يوسف بن طوع رسلان التيري، الشيخ العلامة جلال الدين التباني الحنفي، قدم القاهرة فأقام بمسجد بالتبانة فنسب إليه، فقيه، نحوي، محدث، نظم في الفقه منظومه وشرحها في أربع مجلدات، وعلق على البزدوي، واختصر شرح البخاري لمغلطاي الرومي وعلق على المشارق والتلخيص وغيرها.

انتهت إليه رياسة الحنفية، وعرض عليه القضاء مراراً فامتنع وأصر على الامتناع. توفي بالقاهرة سنة ٧٩٣ هـ.

شذرات الذهب ٣٢٧/٦، ٣٢٨.

(٣) عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري، فقيه، أصولي، من تصانيفه: شرح أصول البزدوي، والتحقيق في شرح المنتخب من أصول المذهب، وكتاب الأفنية ذكر فيه فناء الدار وفناء المسجد وفناء مصر... الخ، وشرح الهداية في فروع الفقه الحنفي، توفي سنة ٧٣٠ هـ.

الجواهر المضية ٣١٧/١، تاج التراجم ٣٥.

(٤)

(٥) الهداية: كتاب شهير في فروع الفقه الحنفي من تأليف شيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى ٦٣ هـ، شرح فيه مسائل الجامع الصغير ومختصر القدوري، وصنفه في ثلاثة عشر سنة، صام فيها، وببركة زهده وورعه لاقى الكتاب قبولاً بين العلماء وشرحه العديد منهم.

انظر كشف الظنون ٢٠٣١.

الشيوخ شمس الدين الغَزّي، ومنهم العلّامة المحقق الشهاب أحمد بن الشّلّبي[1]، ومنهم العلامة الشيخ أبو الفيض زكيّ الدين مسلم المسلمي، بروايتهم عن شيخ الإسلام سَرِيّ الدين بن الشِّحْنة، قال: أخبرني به جماعة رواية وإجازة، فمنهم بالرواية فقط سيدي ووالدي شيخ الإسلام محب الدين أبو الوليد محمد[2]، وعن عمي قاضي القضاة فتح الدين أبو البشرى عبد الرحمن[3]، كلاهما عن شيخ الإسلام قوام الدين الكاكي[4]، عن شيخ الإسلام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، وشيخ الإسلام

---

(١) في ب: الشبلي في كل مكان أتت فيه هذه الكلمة.

(٢) محمد بن محمد، أبو الوليد محب الدين، ابن الشحنة الحلبي، فقيه حنفي له اشتغال بالأدب والتاريخ، ولي قضاء حلب عدة مرات كما استقضي بدمشق والقاهرة. (انظر كيف تكون وحدة الأمة الإسلامية، وكيف تتمثل في تولي هؤلاء العلماء للمناصب في طول البلاد وعرضها).

ولأبي الوليد بن الشحنة مؤلفات منها: روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، اختصر به تاريخ أبي الفدا، والموافقات العمرية للقرآن الشريف، ونهاية النهاية في شرح الهداية في فقه الحنفية، توفي سنة ٨١٥ هـ.

انظر الضوء اللامع ٣/١٠ - ٦، شذرات الذهب ١١٣/٧، ١١٤.

(٣) فتح الدين عبد الرحمن بن محمد، ابن الشحنة الحلبي، (وآل الشحنة نسبتهم إلى جد لهم اسمه محمود، كان شحنة حلب، وهو ما نسميه اليوم رئيس الشرطة أو مدير البوليس) وفتح الدين كان أصغر سناً من أخيه السابق، واشتغل كثيراً بالفقه وناب عن أخيه في الحكم والقضاء، ثم عزل وولي مراراً، توفي سنة ٨٣٠ هـ.

شذرات الذهب ١٩٤/٧.

(٤) في الأصول السكاكي، وهو تحريف، وهو محمد بن محمد بن أحمد البخاري الكاكي الحنفي (قوام الدين) فقيه، أصولي، قدم القاهرة فأقام بجامع ماردين يفتي ويدرس إلى أن توفي سنة ٧٤٩ هـ من تصانيفه: شرح للهداية سماه معراج الدراية، وعيون المذهب في فروع الحنفية، وبنيان الوصول في شرح أصول البزدوي.

انظر كشف الظنون ١١٨٧، معجم المؤلفين ١٨٣/١١.

حسام الدين حسين بن علي ابن حجاج السغناقي [1]، وبرهان الدين أحمد بن أسعد بن محمد، قالوا: أنبأنا به شيخا الإسلام حافظ الدين الكبير محمد بن محمد بن نصر [2]، وفخر الدين محمد بن محمد بن إلياس المايمرغي [3]، قال: أخبرنا شيخ الإسلام شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكَرْدَرِي [4]، عن شيخ مشائخ الإسلام المؤلف، وهو رحمه الله أخذ الفقه عن جده لأمه القاضي الإمام عمر بن حبيب البرندرامشي، وهو أخذ عن شمس الأئِمة السَّرَخْسِي [5]، والسَّرَخْسِي أخذ عن الإمام

---

(١) في ب: السقناقي، وهو تحريف، وفي معجم المؤلفين ٣١٨/٣، أنه الحسين بن حجاج البخاري الحنفي، المنعوت بالحسام، فقيه أصولي، دخل بغداد وتوفى بمرو قبل عام ٧٧٤ هـ، من آثاره: شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي، وشرح أصول الفقه للأخسيكثي.

(٢) الإمام، حافظ الدين البخاري، أبو الفضل، ولد ببخارى سنة ٦١٥ هـ، وتفقه على شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري وقرأ عليه الأدب وسائر العلوم، وسمع منه ومن أبي الفضل المحبوبي، وسمع منه أبو العلاء البخاري وذكره في معجم شيوخه، وكان إماماً جامعاً لأنواع العلوم، توفى ببخارى سنة ٦٩٣ هـ.

الجواهر المضية ١٢٢/٢.

(٣) في ب: المارمي وهي خطأ، و« مايمرغ »قرية ببخارى والمايمرغي تلميذ الكردري وروي عنه الهداية عن مصنفها.

انظر الجواهر المضية ١١٥/٢.

(٤) في ب: الكردي، وهو محمد بن عبد الستار بن محمد العمادي الكردري، شمس الأئمة، أبو الوحدة، فقيه حنفي، ولد سنة ٥٥٩ وتوفى ببخارى سنة ٦٤٢ هـ.

من مؤلفاته: الحق المبين في دفع شبهات المبطلين، أو الدرة المنيفة في الانتصار للإمام الأعظم أبي حنيفة.

انظر تاج التراجم ٤٧، ٤٨.

(٥) محمد بن أحمد بن أبي بكر السرخسي (شمس الأئمة) متكلم، فقيه، من طبقة المجتهدين في الفقه الحنفي.

من آثاره: المبسوط في الفقه.

انظر معجم المؤلفين ٢٣٩/٥.

أبي محمد عبد العزيز الحَلْواني[1]، عن أبي علي الحسين بن خضر النسفي[2]، عن الإمام أبي بكر محمد بن الفضل البخاري[3]، عن ابن أبي حفص، عن أبيه، عن حفص الكبير[4]، عن محمد بن الحسن الشيباني، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وأبو حنيفة أخذ عن جماعة من التابعين وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم، والصحابة أخذوا عن سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الشرع الشريف، والمقام العالي المنيف، عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وأصحابه الكرام، وقد أجزت لصاحب هذا الثبت أن يروي عني

---

(١) عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح بن البخاري الحنفي، أبو محمد، الملقب بشمس الأئمة، نسبته إلى عمل الحلواء، كان إمام أهل الرأي في وقته ببخارى.

من كتبه: المبسوط في الفقه، والنوادر في الفروع، وشرح أدب القاضي لأبي يوسف، توفى بكش، ودفن ببخارى سنة ٤٤٨ هـ.

انظر الجواهر المضية ٣١٨/١.

(٢) هو الحسين بن خضر بن يوسف الفشيديزجي - نسبة إلى فشيدزة - النسفي، أبو علي، قاضي بخارى وشيخ الحنفية في عصره، روى عن محمد بن صابر وجماعة، وخرج له عدة أصحاب، توفى سنة ٤٢٤ هـ.

انظر شذرات الذهب ٢٢٧/٣، وانظر معجم المؤلفين ٢٢٢/٣، وسماه الحسن بدل الحسين والفشيدرجي بالراء المهملة، وذلك نقلاً عن كشف الظنون ١٢٩٤.

(٣) محمد بن الفضل الكماري، البخاري، الحنفي، من آثاره: الفوائد في الفقه. توفى سنة ٣٨١،

انظر كشف الظنون ١٢٩٤، هدية العارفين ٥٢/٢.

(٤) ابن أبي حفص هو حفص بن عبد الله بن غنام بن حفص بن غياث بن طلق، أبو الحسن الكوفي، قدم بغداد، وحدث عن أحمد بن عبد الحميد الحارثي، وروى عنه القاضي الحزامي انظر الجواهر المضية ٢٢١/١.

وأما حفص الكبير فهو حفص بن غياث بن طلق الكوفي النخعي الأزدي، (أبو عمر) قاض من أصحاب الإمام أبي حنيفة: ولي القضاء ببغداد الشرقية لهارون الرشيد ثم ولاه قضاء الكوفة، وتوفى بها سنة ١٩٤ هـ، انظر المرجع السابق.

ذلك بهذا الإسناد، والله سبحانه وليّ التوفيق والرشاد.

وممن أخذنا عنهم العلوم، وتشرفنا بملاقاتهم قاضي القضاة بمصر المحروسة، السيد الشريف العالم العلامة محيي الدين بن محمد بن عبد القادر الكحال الشهير بمعلول أمير[1] سمعنا عنده بقراءة ولده، وغيره في علوم عقلية ونقلية.

وكذلك قاضي القضاة بها العالم الصالح الورع عبد العزيز الشهير ببرويز[2]، وكلاهما يروي عن الإمام العلّامة البحر الحَبْر الفَهّامة، شمس الملة والدين أحمد بن سليمان صاحب المصنفات الفائقة، الشهير في سائر البلدان الشهير بابن كمال باشا[3]، وقد أخذ أيضاً من مولانا المفتي

---

(١) هو محيي الدين محمد بن إدريس الحنفي الشهير بمعلول افندي أحد موالي الروم تنقل في المدارس والمناصب إلى أن ولي قضاء مصر، وكان سيداً شريفاً فاضلاً.

كذا ذكره ابن العماد في شذرات الذهب ٢٦٩/٨ في وفيات سنة ٩٤٧ هـ، والأرجح أنه هو نفسه الذي ترجمه بإسم محمد بن عبد القادر في وفيات سنة ٩٦٣ هـ في صفحة ٣٣٩، فقد ذكر أنه أحد الموالي الرومية، أخذ عن جماعة منهم المولى محيي الدين الفناري وابن كمال باشا (وهو ما يتفق مع ما هنا)، وذكر أنه ولي قضاء مصر ثم قضاء العساكر، وكان عارفاً بالعلوم العقلية والنقلية... الخ.

ثم ذكر ولده الآتي في النص بقوله: المولى السيد محمد بن محمد بن عبد القادر أحد موالي الروم وابن أحد مواليها السيد الشريف الحنفي المعروف بابن معلول (وهذا يؤكد أن معلول هو محمد بن عبد القادر وليس محمد بن إدريس).

انظر الشذرات ٤٣٣/٨.

(٢) برويز بن عبد الله الرومي الحنفي، الإمام العلامة قرأ على علماء عصره، وتنقل في المدارس وولي عدة من المناصب الشريفة منها قضاء مصر والشام، وكان بارعاً متفنناً، له حاشية على تفسير البيضاوي وحاشية على الهداية ورسائل في فنون عديدة.

انظر شذرات الذهب ٤٣٧/٨، قضاة دمشق ٣٢٧.

(٣) أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين، قاض من العلماء بالحديث ورجاله، عرف بأنه =

الأعظم، الإمام المكرّم، سعد الله جلبي[1].

وممن أخذنا عنه العلوم شرعية وأدبية السيد المحقق والمدقّق قطب الدين عيسى بن السيد صفيّ الدين الشيرازي ثم المكي[2]، وأخذنا عن شيخه السيد أبي الفضل الاستراباذي[3]، قرأنا عليه بعض العلوم

قلما يوجد فن من الفنون وليس له مصنف فيه، تعلم في أدرنة وتولى قضاءها ثم الافتاء بالآستانة إلى أن توفى سنة ٩٤٠ هـ.

له من المصنفات: مجموعة رسائل تشتمل على ٣٦ رسالة، وطبقات الفقهاء، وطبقات المجتهدين، وإيضاح الاصلاح في فقه الحنفية، وتغيير التنقيح في أصول الفقه.

انظر الكواكب السائرة ٢/ ١٠٧.

(١) هو سعد الله بن عيسى الشهير بسعدي جلبي، فقيه، مفسر، ولد في ولاية قسطموني، وتولى إفتاء الديار الرومية.

من تصانيفه: حاشية على تفسير البيضاوي، وحاشية على العناية شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي.

انظر الفوائد البهية ٧٨، حاجي خليفة في كشف الظنون ١٩١، ٢٠٣٢. الكواكب السائرة ٢/٢٣٦، شذرات الذهب ٨/٢٦٢.

(٢) هو عيسى بن محمد بن عبيد الله، أبو الخير، قطب الدين، الإيجي، المكي، المعروف بالصفوي(لاحظ أن المؤلف ينسبه إلى شيراز) وهو ما لم تذكره المراجع فلعله تساهل منه أن يجعل من كل فارسي شيرازيا فبالرغم من أن قطب الدين فارسي إلا أنه من إيج وهي في أقصى بلاد فارس قرب الهند، أما شيراز فهي في وسطها، كما يقول ياقوت (انظر معجم البلدان)، أما نسبته إلى مكة فذلك لأنه جاور بها سنين.

ويرد على المؤلف أيضاً أنّه سماه عيسى بن السيد صفي الدين، والواقع أن صفي الدين هو جده لأمه وليس أباه وقد نسب إليه فقيل له الصفوي.

وقطب الدين ولد سنة تسعمائة، وقرأ في كجرات ودلي، وسمع أبا الفضل الاستراباذي، وزار الشام وبيت المقدس وبلاد الترك، ثم استوطن مصر.

من مؤلفاته: مختصر النهاية لابن الأثير، وشرح الكافية لابن الحاجب، وغير ذلك

انظر شذرات الذهب ٨/ ٢٩٧، هدية العارفين ١/ ٨١٠.

(٣) لعله عبد الحي بن عبد الوهاب بن علي، الأشرفي، الجرجاني، الاستراباذي نزيل هراة، عالم مشارك في أنواع العلوم، ولي قضاء خراسان.

الرياضية، وسمعنا في التلويح في أصول الفقه للسَّعْد التَّفْتازاني[1]، وذكر لنا أنه يرويه عن شيخ الإسلام الهَرَوي[2]، عن جدِّه المؤلف.

وممن أخذنا عنه العلوم العقلية السيد الشريف الشهير بأمير عالم[3]، شارح الفوائد الغياثية، تغمدهم الله برحمته، وأسكنهم أعالي جنته، هذا والوصية التي منه تستفاد بتقوى الله تعالى التي هي خيرُ زاد، وأن يقصد بذلك وجه الكريم الجواد، متوكلًا عليه في التوفيق والإرشاد، والإسعاف

= من مؤلفاته: المعضلات في إشكالات العلوم الحكمية، شرح على ألفية الشهيد، حاشية على شرح الشمسية، كان حيا سنة ٩٥٩ هـ.

انظر معجم المؤلفين ١٠٨/٥.

(١) مسعود بن عمر، سعد الله التفتازاني نسبة إلى قرية من نواحي نسا بإيران، ولد عام ٧١٢ هـ، وألف شرح التصريف العزي وهو ابن ست عشرة سنة، ثم ألف العديد من الكتب ذات الشأن، ومنها المطول في البلاغة والمختصر فيها، والنعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، والتلويح إلى كشف غوامض التنقيح لصدر الشريعة في أصول الفقه، وشرح الأربعين النووية، وكل هذه الكتب مطبوع متداول.

أقام بسرخس، ونفاه تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي بها عام ٧٩١ هـ.

انظر الدرر الكامنة ٤/ ٣٥٠، بغية الوعاة ٣٩١، شذرات الذهب ٦/ ٣١٩ - ٣٢٢.

(٢) هو محمد بن عطاء الله بن محمد الرازي الأصل الهروي، أبو عبد الله، شمس الدين، انتقل إلى فلسطين وولي تدريس الصلاحية بالقدس سنة ٨١٥ هـ، ثم ولي قضاء مصر مدة، وتقلب في مناصب كثيرة منها أمانة السر للملك الأشرف برسباي بمصر (وهو عالم من هراة ببلاد الأفغان، فتأمل)، واستقر أخيراً في القدس إلى أن توفي سنة ٨٢٩ هـ

له مؤلفات منها: فضل المنعم في شرح صحيح مسلم، وشرح مشارق الأنوار للصغاني.

انظر الضوء اللامع ٨/ ١٥١، وشذرات الذهب ٧/ ١٨٩.

(٣) الفوائد الغياثية كتاب في المعاني والبيان تأليف القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المتوفى سنة ٧٥١، نسبها إلى غياث الدين وزير السلطان محمد خدابنده ببلاد الترك، وهو كتاب مفيد شرحه الكثير من العلماء، ومنهم شرح العالم الفاضل الشريف مير علم البخاري، المتوفى بقسطنطينية سنة ٩٥٠ هـ.

انظر كشف الظنون ١٢٩٩.

والإسعاد، وأن لا ينساني من دعوة صالحة تنفعني في المعاد، بلّغه الله غاية المراد، وختم لنا أجمعين بالحسنى، وأوصلنا إلى المقام الأسنى، وكتب العبد الضعيف، المفتقر إلى عفو ربه اللطيف، عليّ بن محمد بن عليّ الشهير بابن غانم الخزرجيّ المقدسي عفا الله عنه، وعن والديه ومشائخه وإخوانه المسلمين، وذلك في أواخر القعدة الحرام عام ثمانية وتسعين وتسعمائة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما أجاز لي عنه أن أرويه، وأمر أن يكتب به عنه بعض ذويه[1]، من بالرواية عنه يفخر الراوي، شيخ العلوم محمد النحراوي[2] صورة ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم، الحمد لله الذي منّ بالهداية إلى فقه دينه القويم، وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنجّي يوم الجمع من الكرب العظيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المعرب عن نحو الصواب بما هو مغني اللبيب من التفهيم، صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاماً يقتضيان الإجازة على الصراط المستقيم، والمفازة بجنات النعيم، وبعد، فإن العلم أنفع المطالب التي تميل

---

(١) في ب: يكتب بعض به، ولا معنى لها.

(٢) هكذا جعل المؤلف اسمه النحراوي مراعاة للسجع، وقد أرهقني البحث عنه، والواقع أن نسبته هي النحريري كما ورد في ريحانة الألبا ٤٥/٢، أو الحموي كما جاء في خلاصة الأثر ٤٨٨/٣. فهو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن محمد النحريري الحنفي شمس الدين. عالم بالفقه والتفسير والحديث والأصول والنحو، توفي بمصر سنة ١٠١٧ هـ.

من تآليفه: حاشية على مغني اللبيب، وعلى شرح قواعد الاعراب وكلاهما لابن هشام، وله شعر.

انظر بالإضافة إلى المرجعين السابقين معجم المؤلفين ١٥١/١٠.

إلى تحصيلها الآمال، وتجنح إلى إحرازها الجوانح، وأرفع المناصب التي تخطرها الخواطر وتقترحها القرائح، وقد تضافرت على ذلك شواهد المنة بأبلغ المنة، وتواترت عليه الأدلة من الكتاب والسنة، هذا ولما كان الشيخ الإمام عالم الإسلام إمام الفروع[1]، والأصول، هُمام المعقول والمنقول، أبو حنيفة وقته، والسالك سبيل الصدر الأول في سِمَته وَسَمْتِه، العالم العامل، الأوحد الكامل، قطب الواصلين، بركة المسلمين، بحر المعارف الجاري، وزند العوارف الواري، مولانا شيخ الإسلام شمس الدين محمد النحراوي، رضي الله تعالى عنه، قد أشرق الله عز وجل[2] أنوار بصيرته، وزكّى قويمَ سيرته، وكريم سريرته، وخصَّه بالذهن الثاقب النافذ في الجهاد، والفكر الصائب الناقد المار[3] في ميدان العرفان مر الجواد:

يَحُلُّ من الأزمان ما كان مُشْكِلا وما شاد فهماً من كلام الأوائل[4]

حتى ألقت أكابر العلماء وأماثل النبلاء، إليه أزِمَّة السّلم، واحتوى على جوامع العلم وبدائع الحكم، مرتبة لا تنال بالرشا، ولا تُسْقَى بالرشا[5]، ولكن الله يختصّ برحمته من يشا:

ما كلُّ من طلب السعادَة نالها إن السعادةَ أصلُها التخصيصُ

أقامه الله لنفع الناس، ورَفْع لباسِ الإلباس، وأطال في فنون العلم

---

(١) في ب: إمام الأصول والفروع.
(٢) في ب: تعالى ذكره.
(٣) ساقطة في ب.
(٤) هذا البيت ورد كلاماً نثرياً في نسخة ب.
(٥) الرشا: الأولى جمع رشوة مثلثة الراء، وهذه بمعنى حبل الدلو.

باعَه، وزكّى بحُسْن اتباعه، حتى قال إنسان البيان بلسان الإذعان:

حلفتُ أنك معدومُ النظيرِ فما راجعتُ فكري ولا استثنيتُ في حَلِفي

وكان مولانا جثمان روح الكمال، نقطة دائرة الإعظام والإجلال، بدر أفق السعادة، نور روض المجادة، ناسج برود العقل بوشائع الأدب، نسج السندس بالذهب، مازج حكمة اليونان بفصاحة العرب، مزج القند بالضَّرَب[1]، من جمع من سابق الأشغال مستصحبته[2] طارفاً وتليداً، ومن قالت له العلوم وقد مارسها صغيراً: يا قرة أعيننا ألم نُرَبِّك فينا وليداً، قرة الأبصار، وزينة الأمصار، من قصَّر المثنون عن بلوغ قدره، وإن أطابوا وأطالوا، مولانا أبو المعالي محمد درويش أفندي الشهير نسبِه الكريم بابن طالو، أدام الله تعالى لجده لسلوك مدارج السيادة، وأمده بالرقي إلى معارج السعادة، قد رحل في طلب فنون العلوم إلى الأقطار، فتهادته أيدي الآفاق، وأنفق من كنز أيامه في تحصيلها، فنَمَتْ سعادته على كثرة الإنفاق، وسهر في تقييد شواردها والعيونُ وَسِنَة، وفاوض في تحصيلها الدروس والطروس حتى غدت أقلامه بما يرويه عنها فصيحة الألسنة، وأصبح ورده من مناهل العلم نميراً صافياً وعذباً زلالاً، وأضحت بدائعه في النظم والنثر عقوداً مُحَلّاةً وسحراً حلالاً، ولما رحل إلى ديار مصر المحروسة، وحل رحابها المأهولة، ورباعها المأنوسة[3]، سنّى الله عز وجل لقاء العلامة المشار إليه وقَسَم له الحظ الأوفر والنصيب الأكبر مما لديه، فلازم التملي بأنواره أنسه،

---

(١) القند: عسل قصب السكر إذا جمد، والضرب: العسل الأبيض الغليظ.

(٢) في ب: مستصحبه.

(٣) في ب: وحل رباعها ورحابها المأنوسة.

والتجلي بأسرار قدسه، والتجلي في دارة البحث معه والسماع عليه والحضور لدرسه، مدة من الزمن صالحة، وحصة نقودها رائجة وتجارتها رابحة، فاجتنى من ثمار فوائده التي زكى غرسها، واجتلى من فرائده التي أشرقت شمسها، حتى صار حاملاً لأسرار هذا الإمام الذي علا مناره، ومرتوياً فرات هذا البحر التي لا تبارى أمواجه، ولا يُجاري تياره، فمن مسموعاته عليه مع البحث المفيد المزيد، والتحرير الشديد السديد، نُبذة وافرة وجملة متكاثرة من كتاب الهداية لمفتي البشر، وسيف النظر، أستاذ الفقهاء، وفخار النبهاء، الإمام برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر الرشداني الفرغاني[1]، المرغيناني، وما يجاريها ويسابقها ويباريها ويطابقها من شرحها المسمى بفتح القدير، لشيخ الإسلام، علّامة الأعلام، طراز المحققين، وكمال الناظرين، الأوحد الإمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد الشهير بابن الهُمام، ولد بالإسكندرية وتوفى بالقاهرة، وقطعةً صالحة، وحصةً تجارتها رابحة، من مجمع البحرين للإمام الكبير والعلّامة الشهير مظفر الدين أحمد بن علي المعروف بابن الساعاتي[2]، ولادته ووفاته ببغداد، وطائفةً مستجادة مُشرقة بُدُورُها في أفق الإفادة من مُغني اللبيب للعلّامة الأستاذ إمام النحويين ومَلِك المُعْربين، الجمال أبي محمد عبد الله بن يوسف الشهير بابن هشام، مع ما يوازن ذلك ويوازيه ويقابله ويحاديه، من حاشية الإمام

---

(١) ساقطة في ب.

(٢) أبو العباس، بعلبكي الأصل، بغدادي المولد والنشأة، فقيه أصولي أديب، من مؤلفاته: مجمع البحرين وشرحه في مجلدين كبيرين في الفقه الحنفي، والبديع في أصول الفقه، والدر المنضود في الرد على فيلسوف اليهود ابن كمونة، توفى سنة ٦٩٤ هـ.

انظر تاج التراجم ٤، الجواهر المضية ١/٨٠.

العلّامة، الذكي الفهّامة، كمال الدين محمد بن محمد التميمي الداري المعروف بالشُّمُنِّي الحنفي[1]، ولد بالإسكندرية وتوفى بالقاهرة كسمِّيه السابق، ومن حاشيتيه الصغرى والكبرى للإمام الأريب العالم النحوي اللغوي الأديب، البدر محمد الدماميني الإسكندري المالكي[2]، وقد آذن رضي الله تعالى عنه له أيده الله أن يفيد عنه ذلك، وأن يبثه في جميع الأوقات والأحوال والممالك، وأن يتصدق من إفادة الطالبين وإفتاء الراغبين بزكاة ما منّ الله به عليه، وأن يحسن كما أحسن الله إليه، وقد شَنَّف رضي الله عنه السمع بالثناء على كماله المبرز على الإبريز، وأجازه مادحاً لفضله فكان المادح والمجيز، بحق روايته رضي الله تعالى عنه الهداية عن أماثل من أئمة الحنفية، وأفاضل من علماء الملة الحنيفية، منهم الإمام المحقّق، والهمام المدّقق، مَنْ فضائله لا تتناهى، وبمحاسنه تتجمل الأوقاتُ تتجمّل الأوقاتُ وتتباهى، الشهاب أحمد بن يونس الشهير

---

(١) عالم مغربي الأصل، ولد بالاسكندرية سنة ٧٦٦ هـ، وتلقى عن شيوخها واشتغل بالعلم فيها، ثم رحل إلى القاهرة وسمع من البدر الزركشي والزين العراقي، وهو محدث فقيه أصولي صنف الحديث، وقال النظم والشعر، توفى بالقاهرة سنة ٨٢١ هـ.

له من المؤلفات: نظم نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر في علوم الحديث، والأمور الناجحة في أسرار الفاتحة، وحاشية الشمني على المغني.

انظر شذرات الذهب ١٥١/٧، الضوء اللامع ٧٤/٩.

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن محمد المخزومي القرشي، بدر الدين، عالم بالشريعة وفنون الأدب، ولد بالاسكندرية واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون، وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، ثم تحول إلى دمشق ومنها حج، ثم عاد إلى القاهرة فتولى بها قضاء المالكية، ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع مدينة زبيد، ثم انتقل إلى الهند فعاش فيها مدة قبل أن يتوفى بمدينة كلبرجا سنة ٨٢٨ هـ.

من مؤلفاته: شرح مغني اللبيب لابن هشام، جواهر البحور في العروض، وشرح لامية العجم الخ.

انظر: بغية الوعاة ٢٧، شذرات الذهب ١٨١/٧، حسن المحاضرة ١١٣/١.

بالشلبي الحنفي، عن أبي حنيفة زمانه، الضائق على أقرانه، قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن محمد الغَزِّي الحنفي[1]، عن شيخ الإسلام الكمال بن الهُمَام، عن شيخ المذهب السِّرَاج بن عليّ القاري المعروف بقاري الهداية[2]. عن بقية السلف، وقدوة الخلف، إمام التعليم، وعالم الأقاليم، المتبحِّر ولا سيما في علم التأصيل والتفريع، والبارع خصوصاً في المعاني والبيان والبديع، العلامة أحمد بن محمد السيرامي الحنفي، عن الإمام السيد الشريف جلال[3] شارح الهداية. عن إمام الأصلين، الكاشف تحقيقه عن المشكلات ضدّ الرب والدين، العلائيّ عبد العزيز بن أحمد البخاري الحنفيّ شارح الهداية أيضاً، عن العالم الرّباني، والعامل الصَّمَداني، حامل لواء الشرع، مؤسس قواعد الأصل والفرع، حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر البخاري الحنفي، عن علامة العالم، أوحد بني آدم، إمام الأئمة على الإطلاق، رحلة الوفود من الآفاق، شمس الملة أبي الوحيد محمد بن عبد الستار الكَرْدَرِي الرَّاتقيني، عن صاحب الهداية.

وبحق روايته لشرح الهداية للكمال بن الهمام، وكذا سائر كتبه ومنها التحرير، وبالإسناد السابق إليه، وبحق روايته للجمع عن أكابر وأعيان من علماء الزمان، منهم العلامة ابن الشلبي السابق، عن قاضي القضاة

---

(١) المقدسي، فقيه حنفي من مؤلفاته: مختصر في المناسك. كان حيًّا سنة ٨٩٠ هـ.
انظر معجم المؤلفين ١١/٣٠٥.

(٢) هو عمر بن علي بن فارس الكناني، الحنفي، الشهير بقاري الهداية، سراج الدين، أبو حفص فقيه، أصولي، عالم بالعربية، من أهل الحسينية بالقاهرة، أفتى ودرس، وتوفى عام ٨٢٩ عن نيف وثمانين عاماً.
من مؤلفاته: جامع الفتاوى، تعليقة على الهداية للمرغيناني.
انظر معجم المؤلفين ٧/٣٠٠، الأعلام ٥/٢١٩.

(٣) هو جلال بن أحمد بن يوسف الثيري التباني الحنفي، وقد سبقت ترجمته.

بالديار المصرية وإمام السلطان بها برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد الكَرَكِيّ[1] الحنفي، كلاهما عن الإمام أمين الدين أبي زكريا يحيى بن محمد بن إبراهيم الأُقْصُراني القاهري الحنفي[2]، وبرواية الكَرَكيّ له عن التقي الشُّمُنِّي، والعزّ عبد السلام البغدادي الحنفي، ثلاثتهم عن الشرف أبي طاهر محمد المعروف بابن الكويك الربعي التكريتي المصري الشافعي[3]، عن الحافظ علم الدين البرزالي[4] الشافعي، عن مؤلفه.

---

(١) قاض، من فقهاء الحنفية، أصله من الكرك (في شرقي الأردن) وإليها نسبته، ولد بالقاهرة سنة ٨٣٥ هـ، وقرأ على علماء مصر واتصل بالسلطان قايتباي في أيام إمارته فصحبه، وارتقى قايتباي إلى السلطنة فكان من خاصته يصحبه في إقامته وأسفاره، ودخل معه دمشق وحلب وبيت المقدس والحرمين ثم تغير عليه السلطان فاعتزل في بيته يفتي ويدرس. ثم عاد إلى الحياة العامة لفترة قصيرة إذ تولى قضاء الحنفية من سنة ٩٠٣ إلى ٩٠٦، توفي عام ٩٢٢ هـ.

من مؤلفاته: فيض المولى الكريم مجلدان في فقه الحنفية، والفتاوي، وحاشية على التوضيح لابن هشام.

انظر شذرات الذهب ١٠٢/٨، الضوء اللامع ٥٩/١.

(٢) شيخ الحنفية في زمانه بالقاهرة، ولد سنة نيف وتسعين وسبعمائة وانتهت إليه رياسة الحنفية في وقته، وتوفي عام ٨٧٩ هـ عائداً من الحج.

شذرات الذهب ٣٢٨/٧.

(٣) هو محمد بن عبد اللطيف بن محمود بن أحمد الربعي بن الكويك (في الأصل الكويكب، وهو خطأ) أصله من تكريت ثم سكن سلفه الاسكندرية وكانوا تجاراً بها وسمع بالاسكندرية من العتبي وبدر الدين بن جماعة وأبي حيان وغيرهم، وكان رئيساً مسموع الكلمة عند القضاة، توفي عام ٧٩٠ هـ.

انظر شذرات الذهب ٣١٤/٦. وانظر الدرر الكامنة لابن حجر فقد ذكر أنه توفي عام ٧٦٩. وتختلف الكنية واللقب في المرجعين السابقين عما هنا.

(٤) هو القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الاشبيلي الأصل الدمشقي الشافعي (علم الدين، أبو محمد) محدث حافظ مؤرخ فقيه ولد بدمشق سنة ٦٦٥ هـ، ورحل إلى حلب وبعلبك ومصر وسمع عدداً من شيوخ العلم قيل إنهم أكثر من ألفين، توفي سنة ٧٣٩.

وبحقّ روايته للمغني عن أكابر الأئمة، وأماثل من أعيان الأمة، منهم قطب دائرة التحقيق، وبدر دارة التصوير والتصديق، من انتهت إليه بالديار المصرية رياسة العلوم وأشير إليه بالبنان في البيان للمعقول والمرسوم، العلامة ناصر الدين محمد بن حسن اللقاني المالكي، ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشلبي السابق كلاهما عن خاتمة الحفاظ والمجتهدين الجلال عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي عن المسند الرحلة زكي الدين أبي بكر بن صدقة الشافعي[1]، والقاضي نجم الدين عبد الرحمن بن عبد الوارث المالكي عن علّامة النحو الشُّمُنّي محمد بن محمد الغماري، وبحق روايته لحاشيتي المُغني للدماميني، عن الإمامين الناصر اللقاني والشهاب بن شلبي، كلاهما عن الجلال السيوطي، عن خطيب

= انظر الدرر الكامنة ، النجوم الزاهرة ٣١٩/٩، شذرات الذهب ١٢٢/٦.

(١) هو علي بن صدقة بن علي البانقوسي الحلبي ثم المصري الشافعي، صوفي شاعر توفى بدمشق سنة ٩٧٥ هـ.

من تصانيفه: أسرار العبادات والقربة إلى رب البريات، والمنتخب في الوعظ والخطب، والكوكب الوهاج شرح المنهاج للنووي.

انظر معجم المؤلفين ١١٠/٧ نقلاً عن البغدادي في إيضاح المكنون وهدية العارفين وبروكلمان في كتابه في تاريخ الأدب العربي، ثم انظر الترجمة التي ساقها صاحب المعجم في نفس الجزء صفحة ٢٩ نقلاً عن الضوء اللامع للسخاوي وقارن بينهما فسوف تجد أنهما لشخص واحد تقريباً، فصفة كل منهما واحدة، ومؤلفاتهما أيضاً واحدة إلا أنه ذكر أن الأول ولد سنة ٧٩٠ ولم يذكر له تاريخ وفاة، وذكر أن الثاني توفى سنة ٩٧٥ ولم يذكر له تاريخ ميلاد، وأحد التاريخين خطأ بالقطع إذ لا يعقل أن يعيش أحد ١٨٥ عاماً، والأرجح أنه ولد سنة ٧٩٠ وعمر مثلاً حتى سنة ٨٧٥ هـ أي خمسة وتسعين عاماً، ويقرب ذلك أن تلميذه جلال الدين السيوطي عاش خلال الفترة من سنة ٨٤٩ حتى سنة ٩١١ هـ، فأتيح له وهو في فترة الشباب مثلاً أن يسمع منه.

المسجد الحرام المُشَرَّف النوري المكي الشافعي، عن العلامة النحوي قاضي المالكية بمكة المشرفة، وشيخ العربية بها محيى الدين عبد القادر بن أبي القاسم الأنصاري الخزرجي السعدي العِبادي المكي المالكي[1]، عن البدر الدماميني، هذا ما رواه عنه بالبحث والسماع والحضور والاجتماع، والمجال والمدارسة والمحاضرة والمحاورة، وأمّا ما هو بطريق الإجازة المطلقة، والرواية التي بدورها في هالات الفضل مشرقة، فكتب تضيق عن ذكرها الأرقام، وتنضبُ عندها نِطَاق الدُّوِيِّ، وتَحْفَى أقدامُ الأقلام خصوصاً الكتب التي روي لها ومارسها، وافترع أبكارها واجتلى عرائسها، وخبر ضواحكها وعوابسها، بحيث كان يستجليها في غالب أوقاته، ويلاحظها في أكثر لحظاته، حتى كادت تعد من محفوظاته، كالصحيحين و«الجامع الصغير»[2] و«الشفا»[3] و«الترغيب

---

(١) هو محيي الدين عبد القادر بن أبي القاسم الأنصاري السعدي العبادي المكي المالكي، أحد أكابر حفاظ القرآن الكريم، ورئيس قراءته، ولد سنة ٨١٤ هـ بمكة، وتوفى سنة ٨٨٠ هـ، وهو على قضائها، من مؤلفاته: حاشية على التوضيح لابن هشام، شرح التسهيل لابن مالك، وحاشية على التوضيح في أصول الفقه.

انظر الضوء اللامع ٢٨٣/٤، بغية الوعاة ٣٠٩.

(٢) الجامع الصغير، كتاب في فروع الفقه الحنفي من تأليف الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة ١٨٧ هـ، وهو كتاب مهم يعظمه العلماء لما احتوى من دقائق المسائل والفتاوى حتى قيل: لا يصلح المرء للفتوى ولا للقضاء إلا إذا علم مسائله، وله شروح كثيرة، انظرها في كشف الظنون ٥٦١.

(٣) الشفا هو كتاب ابن سينا الشهير المحتوي على كل مسائل الفلسفة، وقد طبع في عدة أجزاء بالقاهرة.

والترهيب »[1] و « كالكشاف »[2] و « البيضاوي »[3] وحواشيها ، و « الجلالين »[4] و « كألفية الحديث للعراقي »[5] وشروحها ،

---

(١) هو من تأليف الإمام المنذري (زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي) المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، وهو كتاب كبير في مجلدين ، ذكر فيه ما تفرق من الكتب مقتصراً على ما ورد صريحاً في الترغيب والترهيب من أحاديث ثم يعزو الحديث إلى من رواه من أصحاب الكتب الصحيحة في السنة ، وهناك كتاب آخر في هذا الموضوع للحافظ قوام السنة أبي القاسم الأصبهاني ،

انظر كشف الظنون ٤٠٠ .

(٢) هو كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل المعروف بالكشاف للعلامة جار الله الزمخشري وهو أشهر من أن يعرف به ، وقد طبع عدة طبعات ، وعلقت عليه تعليقات كثيرة وبخاصة لما يتضمنه من آراء المعتزلة .

(٣) هو كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير للقاضي العلامة العلامة ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي المتوفى بتبريز سنة ٦٨٥ هـ .

وكتابه هذا لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالاعراب والمعاني والبيان ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات وضم إليه ما ارتآه هو من الوجوه المعقولة والتصرفات المقبولة .

ولقد رزق هذا الكتاب حسن القبول عند جمهور العلماء فعكفوا عليه بالدرس والتحشية ، فمنهم من علق على سورة منه ومنهم من علق عليه بتمامه .

انظر بيان هذه الشروح والتعليقات في كشف الظنون ١٨٦ .

(٤) تفسير بدأه الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ ، ولما مات أكمله الشيخ جلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ،

انظر كشف الظنون ٤٤٥ .

(٥) هو زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ ، وألفيته هذه لخص فيها كتاب علوم الحديث لابن الصلاح ، ثم شرحها بشرح سماه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ، كما شرحها الكثير من العلماء منهم السيوطي وزين الدين العيني وابن جماعة والخيضري والسخاوي وغيرهم .

انظر كشف الظنون ١٥٦ .

و « كالمواقف »[١] و « التلويح »[٢] و « المطالع »[٣] وما يتعلق بها من الشروح والحواشي، و « شرح العقائد للسعد » وحواشيه[٤]، و « عقائد السنوسي »[٥] وشروحها، و « كالمنار »[٦] وشروحه ومختصراته، و « كالقدوري »[٧] والكنز وشروحها، و « الهداية » وشروحها[٨]، لا سيما لابن الهُمام، و « المجمع » وشروحه وحواشيه[١٧]، و « درر البحار »

---

(١) المواقف.

(٢) اسمه التلويح في كشف حقائق التنقيح للشيخ سعد الدين التفتازاني، والتنقيح في الأصول من تأليف العلامة صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي المتوفى سنة ٧٤٧، وشرح التفتازاني له اعتني به كثير من العلماء بالتعليق عليه،
انظر كشف الظنون ٤٩٦.

(٣) المطالع.

(٤)

(٥) وتسمى أم البراهين في العقائد، للشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة ٨٩٥ هـ، كتاب مختصر محتو على جميع عقائد التوحيد، وله شروح عديدة،
انظرها في كشف الظنون ١٧٠.

(٦) هو مختصر القدوري في فروع الحنفية للإمام أبي الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي الحنفي المتوفى سنة ٤٢٨ هـ، ويطلق عليه اسم الكتاب في المذهب تشبيهاً له بكتاب سيبويه، وهو متن قيم متداول بين الأئمة الأعيان وبلغ من شهرته والتبرك به أن الحنفية يتبركون بقراءته في الشدائد ويعتقدون أن قراءته تجلب الغنى، وله شروح كثيرة،
انظر في كشف الظنون ١٦٣١.

(٧) سبقت الإشارة إلى الكنز والهداية فيما مر من تعليقات.

(٨) هو كتاب مجمع البحرين وملتقى النهرين في فروع الحنفية للإمام مظفر الدين أحمد بن علي بن ثعلب المعروف بابن الساعاتي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ، جمع فيه مسائل القدوري والمنظومة مع زيادات ورتبه فأحسن ترتيبه، وهو يوصف بأنه جم الفضائل بحر المسائل، وقد شرحه المؤلف شرحين كبيرين كما أكثر العلماء بعده من شرحه والتعليق عليه
انظر كشف الظنون ١٦٠٠.

وشرحه[1] ، و « الخلاصة » و « الفتاوى »[2] ، و « التجنيس والمزيد » وشروحها[3] ، و « كالمفتاح » وشرحيه للسعد والسيد، وتلخيصه وشرحيه للسعد، وحواشي كلٍّ وتعليقاتِ وبقية كتب الإمامين المذكورين[4] ، وكسائر كتب العلامة ابن هشام لا سيما مُغْنيه وتَوْضِيحِه

---

(١) درر البحار في الفروع للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن الياس القونوي الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ٧٨٨، وهو متن مشهور مختصر ذكر فيه أنه جمع بين مجمع البحرين وبين مذهب ابن حنبل والشافعي ومالك، وله شروح كثيرة للعيني وابن وهبان وشمس الدين البخاري وابن خضر وابن قطلوبغا،

انظر كشف الظنون ٧٤٦.

(٢) خلاصة الفتاوى كتاب للشيخ الإمام طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد البخاري المتوفى سنة ٥٤٢ هـ، وهو كتاب مشهور معتمد في فقه الحنفية ذكر في أوله أنه كتب هذا الفن خزانة للواقعات وكتاب النصاب فسأل بعض إخوانه تلخيص نسخة قصيرة يمكن ضبطها فكتب الخلاصة جامعة للرواية خالية عن الزوائد مع بيان مواضع المسائل، وكتب فهرست الفصول والأجناس على رأس كل كتاب ليكون عوناً لمن ابتلى بالفتوى، وللزيلعي مؤلف في تخريج أحاديثه،

انظر كشف الظنون ٧١٨.

(٣) التجنيس والمزيد وهو لأهل الفتوى غير عتيد، في الفتاوى للإمام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى ٥٩٣ هـ، وذكر فيه أن الشيخ الصدر الأجل حسام الدين أورد المسائل مهذبة في تصنيف وذكر لها الدلائل، ورتب الكتب دون المسائل، ولم يتيسر له الختام فشرع في إتمامه وتحسين نظامه، ويتضمن الكتاب ما استنبطه المتأخرون ولم ينص عليه المتقدمون إلا ما شذ عنهم في الرواية.

انظر كشف الظنون ٣٥٢.

(٤) هو كتاب مفتاح العلوم للعلامة سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ، وقد ضمنه أنواع الأدب وما يتعلق به دون علم اللغة، فأودعه علم الصرف بتمامه ثم علم الاشتقاق والنحو ثم علمي البيان والمعاني وضم إليهما علمي العروض والقوافي، وقد اهتم الفضلاء والعلماء بشرحه وتلخيصه، ومن هذه الشروح ما شرح الكتاب بأكمله كما فعل المولى حسام الدين المؤذني الخوارزمي، ومنها ما شرح القسم الثالث فقط وأجود هذه الشروح شرح العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٨٩ هـ، =

وشَرْحِه للشيخ خالد[1] ، وبقية كتب الشيخ خالد[2] ، والخلاصة وشواهدها وشروحها[3] ، والكافية وشروحها ، وخصوصاً الرضي والمتوسط ومنلا جامي[4] ، وكالشاطبية وشروحها[5] ، ومؤلفات ابن

وشرح العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، كما لخص هذا القسم عدد من العلماء ومن أشهر هذه الملخصات تلخيص جلال الدين محمد بن عمر القزويني الشافعي ، المتوفى سنة ٧٣٩ هـ وسماه تلخيص المفتاح ، انظر كشف الظنون ١٧٦٢ - ١٧٦٨ وفيه الكلام مستوفى عن شروح الكتاب وحواشيه ، وانظر في مؤلفات السعد التفتازاني والسيد الشريف معجم المؤلفين.

(١) كتاب المغني لابن هشام ويسمى مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، وقد شرح فيه حروف المعاني مرتبة على حروف المعجم مثل ألا وأما وبلى الخ وإعرابها وعملها ، وهو كتاب جم الإفادة وقد طبع مراراً ، أما التوضيح فهو شرحه على ألفية ابن مالك ويسمى أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، وهو كتاب شهير سيار ، وقد شرحه الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري في كتابه المعروف بالتصريح.

(٢) انظر معجم المؤلفين ، وهو يدل فيه على كتب الشيخ خالد بذكر وجودها في المراجع الأخرى ، مثل كشف الظنون وذيله.

(٣) الخلاصة في النحو أو ما اشتهر بألفية ابن مالك ، للعلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجياني المعروف بابن مالك ، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، وقد شرحت مراراً وأحسن شروحها شرح ابنه بدر الدين ، قال الصفدي: لم يشرح الخلاصة أحسن ولا أسد ولا أجزل منه على كثرة شروحها ، وهناك سبع حواش على هذا الشرح.

(٤) الكافية تأليف مختصر في النحو للشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ، وقد حاز هذا المؤلف شهرة عظيمة ، جعل الكثير من العلماء يتناولونه بالشرح والتعليق والتحشية ، ومن أشهر شروحه شرح الشيخ رضي الدين الاستراباذي النحوي ، قال عنه السيوطي لم يؤلف عليها أي الكافية بل ولا على غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً فتداوله الناس واعتمدوا عليه ، أما الشرح المتوسط ويسمى أيضاً بالبسيط فهو لركن الدين حسن بن محمد الاستراباذي وهو شرح متداول ، ثم هناك شرح للمنلا نور الدين عبد الرحمن بن أحمد نور الدين الجامي المتوفى سنة ٨٩٨ ، وقد لخص في شرحه هذا ما في شروح الكافية من الفوائد على أحسن الوجوه وأكملها وزاد عليها من عنده ويسمى الفوائد الضيائية ، انظر كشف الظنون ١٣٧٠ - ١٣٧٢.

(٥) الشاطبية نسبة إلى مؤلفها الشيخ أبي محمد القاسم بن فيره الشاطبي المتوفى بالقاهرة سنة

الجوزي[1] ، وكرسالة القشيري[2] ، و« التنوير »[3] و« الحكم » واللطائف » والثلاثة لابن عطاء الله، ومؤلفات إمام المسلكين وآخر المجتهدين مولانا الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، وغير ذلك، وقد آذن أن يفيد ذلك كله وأن يروي عنه جُلَّه وقُلَّه، وكذا سائر ما يجوز له وعنه روايته، وتحوير درايته، وتحيط به ولايته، من مقرؤ ومسموع، ومفرد ومجموع، ومنظوم ومنثور، ومنقول ومأثور، ومقسوم ومسبور ونقل وتصنيف، وجمع وتأليف، واختيار وانتخاب، وسؤال وجواب، وثوقاً بكمال أهليته، واعتماداً على تمام تمكنه، وصدق فضيلته، والله عزَّ وجل يُديم عكوفَ همته في محاريب العلوم، وشفوف فكرته عن أعاجيب الفهوم، وأما مشائخه الكرام، وأساتذته الفخام، فأقوامٌ يزيدون عن

= ٥٩٠ هـ، أما اسمها فهو حرز الأماني ووجه التهاني، وهي منظومة في القراءات السبع عدة أبياتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً، وقد أبدع صاحبها فيها كل الابداع فصار عمدة الفن، ولها شروح وتعليقات كثيرة

انظر بيانها في كشف الظنون ٦٤٦ وما بعدها.

(١) مؤلفات ابن الجوزي كثيرة متعددة، مما جعل بعض العلماء وهو الاستاذ عبد الحميد العلوجي يفرد لها مؤلفاً خاصاً، طبع في بغداد.

(٢) هي الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى ٤٦٥ هـ في التصوف وتراجم رجاله وأحوالهم.

انظر كشف الظنون ٨٨٢.

(٣) هو كتاب التنوير في إسقاط التدبير للشيخ تاج الدين أحمد بن محمد المعروف بابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة ٧٠٩ هـ، ألفه بمكة المكرمة ثم استدرك عليه بدمشق وزاد فيه كلمات من حيث الورود، قال: إذا طالعه المريد الصادق عرف أن المتلوث لا يصلح للحضرة القدسية، كشف الظنون ٥٠٢، ثم كتاب الحكم العطائية له أيضاً هو حكم منثورة على لسان أهل الطريقة (كشف ٦٧٥)، وكتاب اللطائف ويسمى لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن أي أبي العباس المرسي وأبي الحسن الشاذلي، (كشف ١٥٥٤).

الحصر ويزينون الدهر والعصر، فمنهم نادرة الدنيا، وراقي الذروة العليا، عالم الربع المسكون وآية الله الباهرة في جميع الفنون، الإمام الأوحد محمد المَغُوشي[1]، عرض عليه محفوظاته وأجازه ونال من بركاته.

ومنهم العلامة الأعلم، والمجتهد الأعظم، والقطب الأكبر، والعارف الأفخم الأفخر، مولانا الشيخ أبو الحسن البكري الصِّدِّيقي رضي الله تعالى عنه، تلقّن عليه كلمة التوحيد، وتحلّى بِدُرِّه الفريد.

ومنهم العَلَم الفرد في تحقيق العلوم وتقريرها، والأوحد في تعليم الرسوم وتحبيرها، ذو الذهن الذهين في بيان العبارات وحل رموزها، والفكر المبين في فكّ طِلَّسْماتها وفتح كنوزها، العلامة الناصر اللقّاني، لازمه دهوراً، وصار باجتماعه عليه عَضْبا مشحوذاً وسيفاً مشهوراً.

ومنهم عالم الإسلام، وولي الملك العَلَّام[2]، صاحب الكمالات العلمية والعملية، وجامع الإفضالات الوهبية والكسبية، ذو المعلومات الغزيرة، والكرامات الشهيرة، مولانا الشيخ ناصر الدين محمد الطَّبْلاوي[3]، أكثر

---

(١) هو محمد بن محمد الكرمي، التونسي، المالكي، الملقب بمغوش، شيخ الإسلام شمس الدين، تولى قضاء الجند بتونس، ورحل إلى القسطنطينية وأقام مدة في حلب وطرابلس ودمشق، وقرأ عليه بعض علمائها، ثم استقر بالقاهرة وبها توفي عام ٩٤٧ هـ.

من مؤلفاته: أمال على شرح الشاطبية للجعبري.

أنظر الأعلام ٧/ ٢٨٥، معجم المؤلفين ١١/ ٢٦١.

(٢) في ب: السلام.

(٣) هو محمد بن سالم بن علي الطبلاوي، نسبة إلى قرية طبلية من محافظة المنوفية بمصر، مفسر، فقيه، أصولي، محدث، صوفي، طبيب، توفى سنة ٩٦٦ هـ.

من مؤلفاته: شرح الحادي الصغير للقزويني في فروع الفقه، وبداية القاري في ختم صحيح البخاري، ومرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين.

الكواكب السائرة ٢/ ٣٣.

ما أخذ عنه في التجويد والعلوم الخادمة للقرآن المجيد.

ومنهم فرع دوحة النبوّة الجامع من لطف الأبحاث واستحضار القواعد بين الدّقة والقوة، ذو المنهج السويّ والمنهل الروي، مولانا السيد عيسى الصَّفوي.

ومنهم آخر أئمة الحديث الشريف وواسطة عقد الشرف المنيف، سيد العلماء، وجمال الأولياء، مولانا السيد الشريف يوسف الأرميوني الشافعي الأزهري[1].

ومنهم شافعي الوقت والسالك على قدم السلف الصالح في العلم والسمت، حامل لواء المذهب المطّلبي على كاهله، والمنفق في تهذيب الفقه وتنقيحه نفيس بكره وأصائِله، إمام الفنين الفرعي والأصلي مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي[2]، قرأ عليه مختصر ابن الحاجب للإمام الأوحد القاضي عضد الدين من باب القياس إلى آخر الكتاب، قراءة أصغيت إليها أسماع الدهر، وفاح طيبها كلطائم المسك وكائم الزهر.

---

(١) هو يوسف بن عبد الله بن سعيد الحسيني الأرميوني، المصري الشافعي، جمال الدين، مفسر، مجود للقرآن، مؤرخ، محدث، من أهل أرميون من محافظة الغربية، تتلمذ للجلال السيوطي.

من مؤلفاته: تحفة الأساطين في أخبار بعض الخلفاء والسلاطين، أربعون حديثاً تتعلق بسورة الإخلاص، أربعون حديثاً في آية الكرسي... الخ.

انظر هدية العارفين ٢/ ٥٦٤، الأعلام ٩/ ٣١٨.

(٢) هو أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي الأنصاري الشافعي، شهاب الدين أبو العباس، فقيه من تلامذة الشيخ زكريا الأنصاري، توفي سنة ٩٧١ هـ.

من مؤلفاته: رسالة في شروط الإمامة، شرح منظومة البيضاوي، شرح الزبد لابن رسلان، وفتاوى.

انظر شذرات الذهب ٨/ ٣٥٩.

ومنهم العالم الوليّ، ذو السرّ الخفي، والفضل الجليّ، والمعارف الظاهرة، والأحوال الباهرة، الشيخ شهاب الدين أحمد البُلْقِيني الشافعي[1].

ومنهم واحد المجتهدين، وإمام العلماء والصالحين العاملين، وتاج الأصفياء والعارفين، ذو الكرامات الساطعة البارعة، والمؤلفات النافعة الجامعة، مولانا الشيخ عبد الوهاب الشعراوي[2]، تلقَّن عليه الذكر، وأمده في الجهر والسر.

ومنهم القطب الغوثي ذو الفيض الغيثي، والعز الليثي، مولانا الشيخ أبو العباس الحريثي[3]، تلقن عليه كلمة الإخلاص، نال منه يد

---

(١) هو أحمد بن أبي بكر بن رسلان بن نصير البلقيني، المحلي، شهاب الدين، عالم فقيه، ولد ببلقينة بمصر وتولى قضاء المحلة، وتوفي بها عام ٨٤٤ هـ.

من مؤلفاته: كتاب في الفرائض يسمى الروضة الأريضة في قسم الفريضة.

انظر الضوء اللامع ١/ ٢٥٣.

(٢) هو سيدي عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي نسبة إلى محمد بن الحنفية، الشعراني أو الشعراوي نسبة إلى قرية أبي شعرة من قرى المنوفية، عالم من المتصوفة المشاهير فقيه على مذهب الشافعية، وأصولي ومحدث، ومشارك في أنواع العلوم، توفي بالقاهرة سنة ٩٧٣ هـ، وقبره بها معروف يزار.

من مصنفاته الكثيرة: الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم، الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة، ولوامح الأنوار في طبقات الأخيار... الخ.

انظر شذرات الذهب ٨/ ٣٧٢، وانظر الأعلام ٤/ ٣٣١ والمراجع فيه.

(٣) في الأصل: الحربي تصحيف، وهو أبو العباس الحريثي المصري، نشأ في العبادة والاشتغال بالعلم وقرأ القرآن بالسبع، ثم خدم سيدي محمد بن عفان وأخذ عنه الطريق وزوجه بابنته، دعا إلى طريق الله تعالى ولقن نحو عشرة آلاف مريد، ومع ذلك فقد أثر عنه أنه قال حين وفاته، خرجنا من الدنيا ولم يصح معنا صاحب في الطريق، وله كرامات كثيرة، توفي سنة ٩٤٥ هـ ودفن بدمياط.

انظر شذرات الذهب ٨/ ٢٦١.

الاختصاص، وبشره في البداية بما آل إليه أمره من رياسة العلم ونفاسة الفتوى والحلم.

ومنهم أستاذه الذي كثر به اجتماعه، وعظم به انتفاعه، رئيس الحنفية في عصره، والمراقب لله في سره وجهره، الشيخ الإمام محمد البرهمتوشي[1].

ومنهم جمال أصحاب التحقيق وكمال أرباب التدقيق، من أشبه المتقدمين عبادة وعلماً، وأوسع للمتعلمين إفادة وحلماً ذو الفضل النامي، والقدر السامي، الشيخ جمال الدين الشامي[2].

ومنهم ذو الطوية السنيّة، والأخلاق الرضية، عين الأعيان، مفتي مذهب نعمان الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشلبي.

ومنهم ذو الهمة الطائلة، والسجية الفاضلة، شيخ محققي مذهب الحنابلة، الشيخ شهاب الدين أحمد بن النجار[3]رضي الله تعالى عنهم، ونفعنا بما لديهم، وقد أخذ مجموع ما تقدم عن مجموعهم، وتفجرت له أنهار المعارف من ينبوعهم، وأما تفصيل رواية كل عن كل وتحرير الجُلِّ من ذلك والقُلِّ، فهو يُطلب من النسخة التي إن شاء الله عزّ وجل جامعُها

---

(١) في ب: البرهتوفي، ولم أعثر عليه.

(٢) هو حسن بن زيد الدين بن علي العاملي، الجبعي، الشهير بالشامي (جمال الدين، أبو منصور) فقيه، أصولي، محدث، أديب، شاعر، ولد سنة ٩٥٩ هـ، توفي سنة ١٠١١ هـ.

من مؤلفاته: منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان، معالم الدين وملاذ المجتهدين، ومشكاة القول السديد في الاجتهاد والتقليد، وديوان شعر.

انظر خلاصة الأثر ٢/ ٢١، هدية العارفين ١/ ٢٩٠.

(٣) هو قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي، المعروف بابن البخار، وقد سبقت ترجمته.

على اسمه، وواضعها على رسمه، يسرّ الله تعالى ذلك وسلك بنا أجمل المسالك، ونفعنا بالعلم والتقوى، وحمانا من المحن والبلوى، وحفظنا في السر والعلن والنجوى، إنه ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق، وصلى الله على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وحبيب رب العالمين، سيدنا ومولانا محمد على آله وصحبه وقومه وحزبه.

وقد حصل التلفظ بالإجازة الشريفة والإذن الشريف في اليوم المبارك المنيف التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول، من سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، بحضور من سيرقم خطه، ويرسم قطه، من أصحاب مولانا المُحِبِّين، وتلامذته وأسرته وملازمي حضرته، وكتب أقل خُدّام العلّامة المجيز، وهو العبد المقصر المستغفر يحي بن محمد بن أحمد الأصيلي الشافعي[1]، غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه، وحقّق مرغوبه، وأنجز مطلوبه، والحمد لله رب العالمين، هذا وقد طويتُ ذكر ما رسمه كلٌّ من أولئك الأعلام، ورسمه على هذا الثبت من الأقلام، من تلامذة الأستاذ شيخ الإسلام ليُسار الأصل على فروعه، واكتفاء عن التابع بمتبوعه، سوى ذكر ناظم عقودها الصناعية، وراقم حبر برودها الصنعانية، أفضل أصحابه وزين أحبابه، ذي الأدب الفائق، والنظم الرائق، المتحلي بحلة المجد الأثيلي، الشيخ يحيى بن محمد بن أحمد الأصيلي الذي حسَّن الله تعالى خُلُقه، كما حسَّن خَلْقه.

فمما كتب إليّ بالقاهرة المعزيّة وأنا بالمحكمة الصالحيّة، نائب الحكم

---

(١) هو يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد الأصيلي (شرف الدين) ناظم، ولد ونشأ في دمياط بمصر، وانتقل إلى القاهرة، وتوفى بمكة حاجاً سنة ١٠١١ هـ.
انظر الأعلام ٩/ ٢١٤.

الشريف، والشرع المنيف، فشنف بالأسماع والآذان، حتى خِلتُه بالوليد ينشد الفتح بن خاقان[1]، وهي قوله:

إن نَضَوْا سيف هَجْرِهِمْ أو صَالُوا ... قُطِّعتْ من قُلوبنا أوصالُ
جيزةٌ ما سَرَوْا بقلبيَ إلّا ... وضُلُوعي لبينِهم أطلالُ
لي فيهم غزالُ أنسٍ غدا يَنْـ ... ـفِرُ لا يَحْكِي[2] حُلاهُ إلّا الغزالُ
لحياتي مِنْ فِيهِ مَعْسولُ ريقٍ ... ولِقَتْلي من قَدِّه عَسَّالُ[3]
مِثلُ كاسِ العقيقِ مُحمَرٌّ فِيهِ ... ولَمَاهُ السُّلَافة الجِرْيَالُ[4]
طَبَخَتْها نارُ الخدودِ فأضحى ... خمرُها الخمرُ وهْي بعدُ حَلَالُ
لَامَنِي في هواه عُصْبةُ لَوْمٍ ... أثقلتْ كاهلي لهم أقوالُ
قَصَّرُوا في مَلَامتي مثل ما ... قَصَّر نَظْمِي عن وصف فضل بان طالو[5]
حاكمٌ من سَجْلِهِ روضُ زَهْرٍ ... جادَهُ من نداه سُحْبٌ سِجَالُ
رُبَّ عرضٍ[6] له البراءةُ من سُو ... ءٍ وجُودٍ سَمَت له أنفالُ
ما له في العلا ولا العلم مِثْلٌ ... وبعُلياه تضربُ الأمثالُ

---

(١) يعني بالوليد: البحتري الشاعر المشهور، واسمه الوليد بن عبيد، وكان كثيراً ما يمدح الفتح بن خاقان القائد الذي كان أثيراً لدى الخليفة المتوكل العباسي، وقتل معه سنة ٢٤٧ هـ.

انظر معجم الأدباء ١٦/ ١٧٤.

(٢) في ب: لا يحاكي.

(٣) العسال: الرمح: إذا اضطرب واهتز للينه.

(٤) الجريال: صبغ أحمر شبه به شفتاه.

(٥) في ب: لأفضل.

(٦) في ب: بعرض.

ذو المزايا إرثاً وكسباً فمن كـ ـلِّ النواحي أفضى لـه إفْضَالُ
صِيغَ من جوهر نفيسٍ وإن كا ن الورى أصلُ صَوْغِهم صَلْصَالُ
كم بعلمٍ منه وعزمٍ عن الشَّرْ ع بـدادُ الأهواءِ والأهوالُ
يجمع الصنع مثل ما يجمع الرأ ي فمنـه الإجماعُ والإجمالُ
جاد بالدُّرِّ لفظهُ جودَ من لم يـكُ يوماً يُخشى لـه إقلالُ
من سَراةٍ في سَرْحَةِ المجد أو في حضرات العلوم نالوا[1] وقالوا
هم أناسٌ صينتْ نهاهم ومِنْ فيـ ـض لَهَاهُمْ كم شُرِّدتْ أموالُ
مُشْبِعُو الخُمْص حيثُ قُصَّادُهُمْ كالطير يتلُو أرسالُها الأرسالُ
مكرمُو الضيف ضاربُو السيف فالـد هرُ لديْهم نزالٍ أو إنْزالُ
نَعَمٌ منهمُ قلائـدُ حَلْيٍ لمطيـع وللعِـدَى أغْـلالُ
فهُم الأسرة السُّراة المساميـ ـحُ الميامينُ الفِتْيَةُ الأبطالُ
رُقِمَتْ من أصُولِهِ نُسْخَة الفضـ ـل ومنـه تَمَامُهـا والكمالُ
كلُّ أرض يحلُّها حُلَّها الخِصْـ ـبُ فألْفِي مِحَالُهـا لا محـالُ
كم بلقيـاهُ بَـدَا لي ابْتِهَـاجٌ ولـكم لي من الدعـاء ابتهالُ
كم توالتْ من الأصيليِّ بالأمْـ ـداح فيـه الأبكـارُ والآصالُ
كم لمصرٍ لـه تطـاولَ شَوقٌ[2] وَسَمَـتْ نحوه لهـا الآمـالُ
وإليـه رَنَتْ ولا غرو أن يَرْ قـب شوقـاً إلى سَنَاهُ الهلالُ
بمقـام منـه تسَامـت مقامـا وزكـتْ بالحلولِ منـه الحلالُ[3]

---

(١) في ب: قال.

(٢) في ب: كم لمصر تطاول شوقاً.

(٣) الحلال: جمع حلة، وهي منزل القوم.

فلربي[1] المهيمن الحمد والشكـ ـر بلقيا عُلاه والإفضالُ
ثم لا زال السعد والرشد خدا م علاه والنُّجْح والإقبالُ
لابس الحمد حلةً مُفْضِياً إن جاء مِنِّي لِبابِه أسْمَالُ
بالنبي الذي زكا منه فرعٌ ونَجَارٌ وعزٌّ[2] صحبٌ وآلُ

* * *

وقد أتينا على تراجم من رأينا من العلماء والعظام، والفضلاء الفخام، لنف الآن بما وعدناه أواخر التراجم أسلفناه من إيراد تقاريظهم الحسنة، ومعاريض كلماتهم المستحسنة، على رسالة النسب الطالوي، وعجالة الحسب الأرتقي، التي بدائع فِقَرها تُخجل عقود الجمان، وروائع دررها تزري بلآلي المرجان:

فِقَرٌ لم يزلْ فقيرٌ إليها كلُّ مبدي فصاحَة ومُعيد

فلو رآها الثعالبي في علوِّ قدره، لسلا عن يتيمة دهره، أو العماد الكاتب على حسن شذره، لرمى بخريدة قصره، مد اللهُ تعالى ظِلالهم، ومتّع بهم بُكَرهم وآصالهم[3].

صورة

---

(١) في ب: فلزين.
(٢) في ب: وعن.
(٣) في ب: بكورهم وآمالهم.

ما كتب به شيخ الإسلام، عمدة فضلاء الأنام، من لا تفي بصفاته قوة حَدْسِي، عليٌّ ابن غانم المقدسي:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعدُ حمدِ الله الذي فضل أهل الأدب، وفاوت بينهم في المقامات والرُّتب، والصلاة التامة والسلامُ المتـ ـب . على سيدنا محمد المصطفى أفضل العَجَم والعرب، وأفصح من نطق بالصواب وخطب، النبي الأمي الذي حاز من الفصاحة والبلاغة ما أفحم كل من قرأ وكتب، وعلى آله وأصحابه الذين نالوا بالانتماء إليه وصحبته أشرف النسب، وبعد، فقد وقفت على هذه الرسالة المخبرة عن الأمراء من آل طالو بالعظمة والجلالة، فوجدتها أكرم حديقة، وأنضر روضة فائقة أنيقة، بل غادة حَلْيُها زهر الآداب، وعقيان عقدها قلائد أعناق الكواعب الأتراب، بين فقر تتبرّج غوانيها، ويتحرج الذوق إذا خامرته راحُ الطرب من أصوات أغانيها:

فِقَرٌ لم يَزَلْ فقيراً إليها ... كلُّ مُبْدِي فصاحةٍ ومُعيدُ
يغتدي البارعُ المفيدُ لديها ... لاحقاً بالمُقَصِّر والمُسْتفيدُ

وأبيات حُور المعاني مقصورات في خيامها، ورونق الحسن محصور بين حروفها الزاهية وكلامها، وذلك بما اشتملت عليه ألطافها، وتوشحت به أعطافها، بذكر من بذكره تتزين المحاضر، ذو الأصل الطاهر، والفضل الباهر، عمدة الموالي والأهالي، درويش محمد أبو المعالي، تالله لقد سمعنا من جواهر كلمه شيئاً كثيراً، وجمعنا من نوادر حكمه درًّا نثيراً، وجلا علينا من عرائس، نظمه ونثره ما ارتوى منه رواة أهل عصره من أدباء شامه ومصره، وقلت ملتمساً من فضله لستره:

أيا فخرَ الموالي حُزْت فَضْلاً ... علوتَ به عُلُوًّا لا يُبارى

لهـــذا لقَّبُوك أبـــا المعـــالي لأنـك قـد رَفَعْـتَ بها منـارا
ونظمُـك فاق نَظْم النجم عُلْواً ونـــثرُك للثريَّـا صـار جـارا
وكفُّـــك بحرُ أفضـــالٍ وجُود وصـدرُك بحر عـلم لايجُـارى
وقلـتُ مقصِّراً في نجـل طَالُو مقـــالاً لا يُشَكُّ ولا يُمَـــارى
لقـد لبستْ بك الدنيا جَـمَالاً فلو كانـت يـداً كنـتَ السِّوارا

فالله المسؤول أن يمنحه المزيدَ، ويديم له التوفيق والتسديد، ويحرسه من أعين الحُسّاد فيما يبديه.

وكتب العبد الضعيف المفتقر إلى عفو الملك اللطيف عليُّ بن محمد بن علي الشهير بن غانم الخزرجيّ الحنفي عفا الله تعالى عنه، وعن والديه وإخوانه ومشائخه والمسلمين، في أوائل ربيع الثاني عام ثمان وتسعين وتسعمائة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صورة

ما كتب من يليق أن تكتب عنه الليالي بِسَمِّ أقلامها ما يُمْلِي، شيخ الإسلام محمد الرملي.

الحمد لله الذي نوّر ضمائر المعتبرين بالعلم النافع، وزكى بصائر المهتدين بالحق الصادع، وحفظ أنساب من اختاره من خلقه بالقول القامع، والصلاة والسلام على نبيه محمد قائد الخير ونبيّ الرحمة، منقذ الخلق وشفيع الأمة، وعلى آله وأصحابه السادة العظام، وعلى تابعيهم بإحسان وعلماء الإسلام، وبعد، فقد وقفتُ على هذه الرسالة البديعة المثال، العزيزة النَّوال، الدالّة على سعة إطلاع جامعها، وما اشتملت عليه من النظم الفائق، والجوهر الصادق، في وصف السادة الأكابر،

الحائزين للنسبة والمفاخر، لا سيما وهم عين هذا الزمان، والجوهرة الثمينة في هدا الأوان، جعل الله العلم والدولة في فروعهم، كما جعل ذلك في أصولهم، ونسأله تعالى في أن يخرق العادة بطول بقائهم، وأن يَمُنَّ عليهم بمزيد ارتقائهم، وأن يجمعنا في مستقر رحمته، في بحبوحة جنته، بتاريخ عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وتسعمائة.

كتبه فقير عفو ربّه، وأسير وصمة ذنبه، محمد بن أحمد الرملي الأنصاري الشافعي، حامداً ومصلياً ومسلماً، ومعلوم أن من كان متصفاً بهذه الأوصاف الرضية، والأخلاق المرضية أن ينعم عليه سلطان الإسلام، ماضي النقض والإبرام، بالمناصب السنية، والمراتب العلية، كتبه محمد الرملي الشافعي.

صورة

ما كتبه علامة عصره، وأديبُ مِصره، ذو الفضل الوافي، والأدب الصافي، سيدنا البدر القرافي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أنشأ الموجودات بباهر قدرته فأحكم الإنشاء، وبيده سبحانه أبدع من هذا الإنشاء إن شاء، وصلاة وسلاماً على أجلّ المخلوقات كما أنشا المبعوث من الله رحمة للعالمين وهداية من شاء، وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا في الله حق جهاده فأكرمهم بشرفِ إنّ اللهَ اشْتَرى من المُؤمنين أنفسَهُم واموالَهُم بأنَّ لَهُم الجنّة فكانوا من السالكين في طريق الخيرات أحسن مَمْشى، وبعد، فإن نعم الله سبحانه لا تُحصى، وآلائه تُستقصى، أقام نظام العالم على أحسن ما رسم، وفاوت في القَسْم قسمةً حيَّرت العقول فيما نظم، قدّم أقواماً

قُوّاماً وأعلاماً أعلى ما[1]، وأخلص لهم السريرة، وأحسن لهم السيرة، وحَلّاهم بعلو الهمم، وسمو الشيم، وكان من تلك النعم الجسيمة، والإفضالات الوسيمة، والمِنَّة المستديمة، ما ابتهج به الناظر، وانتهج به الخاطر، من الوقوف على هذه السيرة الشريفة، وأخبار الأخيار المنيفة، سيرة مفاخر الأمراء الأعيان، والكبراء الأعزة أولي الشان، الجاري نشر محاسنهم بألسنة الأقلام وألسنة أولي البرهان، السَّاري ذكرُ مفاخرهم على مَرِّ الزمان، آل طالو[2] الأرتقيين، من تحلَّت تواريخ الإسلام بذكر محامدهم، وعلو شأنهم بغاية التبيان:

ومَرُّ دُهورٍ[3] بالثنـــاء علامـــةٌ عـلى حُسنِ ممدوحٍ ورفعةِ شانِهِ

أمرٌ انعقد عليه الإجماع، وعليه الوفاق بلا دفاع:

والناس أكيس من أن يبرزوا مدحـاً من غـير أن يجدوا آثار أفضال

دلّ على شرف قدرهم، وجليل ذكرهم، وجميل فخرهم، نسلهم الطاهر، وعلمهم الظاهر، ذو المجد الزاهر، والفضل الباهي الباهر، والكمال الفاخر ولي التحقيق، ومعدن التدقيق، جامع الفضائل، حائز الفواضل:

كالبـدر من أين التفـتَّ رأيتَهُ يُهـدي إلى عينيك نوراً باهيا[4]

---

(١) في ب: أقواماً أقواما وأعلاماً أعلاما.

(٢) في ب: الطالوين.

(٣) في ب: دهر..

(٤) في ب: نور رباها، وسقطت كلمة أين من الشطر الأول.

مفاخره طاهرة، ومحاسنه باهرة:

عريق في الكمال وقد تولّى إلى نيل العلوم مع المَزِيدِ
له سعدٌ بما أوتيهِ فضلا فواعجباً لدرويشٍ سعيدِ

شجرة طيبة النماء، الأصل ثابت والفرع في السماء:

إن السَّرِيَّ إذا سَرى[1] فبنفسه وابن السَّرِيِّ إذا سرى أسراها
فيا آل طالو طابَ جَدٌّ بجدِّكم ويا خير نسل عاش من ذكرهم جَدُّ
حويْتُمْ جميلا أنتج الدهر صدقَهُ بنسلٍ جليل فيه حمدٌ ولا حدُّ

فضل الله يؤتيه من يشاء، ويوليه من شاء[2]، مولانا درويش، ولما أحاط النظر بما اشتملت عليه هذه السيرة الجليلة من، الخلال الجميلة، والخيرات الجزيلة، والغزوات المشكورة، والمشاهد المشهورة، والعزمات المبرورة، والمقاصد المأثورة، أنشد لسان الحال بالارتجال:

وهب الله للمعالي أناس بذلوا عَزْمَهُم وجالُوا وصالُوا
وأقاموا لواءَ دينٍ بصدقٍ وحَمَوْا مجده ففازوا ونالُوا
ورأوا عِزَّةً بنُصْرة دينٍ فأروا قوةً وبأساً وجالُوا
وعلى من رأوه صاحبَ بَغْيٍ وجَّهوا عزمَهم إليه ونالوا
أظهر الله حالهم وحباهم بثناء عبيره يُسْتطالُ
وأراهم في نسلهم خير حبر وبه ذكرهُم دواماً يطالُ
جملةُ القول أنهم ذو عُلُوٍّ قد حوى سُؤْدُداً فطابُوا وطُالوا

---

(١) في ب: إذا يري.
(٢) في ب: يشاء.

نعمة قد حلت وجلت، وزانت وزكت، فهي للأهالي غاية، وقد حصل التَّشَرّفُ بلقاء نسلهم هذا المولى الفاضل، وليّ الفضل الكامل، المومىء إليه فيه، أدام الله تعالى عزّة معاليه، وظهر من مجالسته، وفائد مباحثته، ما يشهد الناظر بجماله، وليس الخاطر بكماله:

وأحرى بأن تزهى دمشق ببارع إذا عُدَّ في أسْدِ الشَّرى ربح الشَّرى

ولما علتْ مصر بمشاهدته، وغلت برؤيته، أنشد لسان حالها:

سعدتْ مصرُ إذا أتاها فريدٌ ليرى حُسْنَها وما قد أتاها
ولذا كان بين مصرٍ وشامٍ ما به النفسُ تبتغي مُشتهاها
أعملتْ مصرُ في تنازُع ثانٍ وبرجْحَانه مقالٌ تباهى

والحمد لله على ما أوْلى، وله الشكر في الآخرة والأُولَى:

والنفس ترغبُ في الكمال وأهله لِم لا وقد بلغ الكَمالُ محلَّهُ

والله سبحانه يُديم هذا المولى لفوائد يبديها، وفرائدَ لأولي الكمالِ يُهديها، راقياً في رتب الإفادة، والفضائل المستجادة، رافلاً في حُلل العناية المزادة، بحرمة حضرة المصطفى وليِّ السيادة، وآله وصحبه ذوي السعادة:

وقاله البدر القرافِي المالِكي المُرْتَجى لفيضِ فَضلِ المَالِكِ
مُصَلِّيًا على النبيِّ المُصْطَفى مُسَلِّماً على جناب شَرُفَا
وتم هذا في جمادى الأولى في وَسَطٍ منه بحالٍ أوْلَى
عام ثمان بعد تسعين انقضتْ من بعد تسع من مئين قد جرتْ
من هجرة المبعوث للأنامِ ورحمةِ الله مدى الأيَّامِ

والحمـــدُ لله عـــلى مـــا أنعما في أولٍ وآخرٍ قد ختما

هذا ما نسختُه عوامل براعته، ونسجتْه أنامل يراعته، من حَبِيرِ كلام، كالرَّوض باكرَهُ الغَمام، ونثير نظام، توازنتْ أسجاعه ولا كسجع الحمام:

ففي كل سطر منه روض من المنـــى وفي كل حرف منه عقد من الدرِّ[1]

وكم له إليّ من رقعة كحديقة خميلة، أو صفحةِ وَذِيلَه[2]، كأنها في سماء الأدب بنات فخر، وُشِّحتْ من عقود بحر الترائب والنَّحْر، كأنَّ مدادها سواد العين في وسط صفائح العاج، أو صفائح اللُّجَيْن غالْتها منّى[3] يد الضَّيَاع، وعلقت بها كَفٌّ خرقاءُ لاصناع[4]، رعاها الله عاجلاً بالزّمانة والشلل، وجزاها جزاء الكلابِ العاوياتِ وقد فَعَل، فإن أظفرني الدهر يوماً بها أثبتُّها في هذا الجمع من محلها، وقد كنت كتبت إليه في بعض مكاتباته، وطارحتُه في جملة مطارحاته، قصيدة غراء، وفريدة زهراء، على قافية الفا، وأنا من السير على شفا، مستدعياً منه ما يرويه عن مشائخه الكرام، وأساتذته الفخام، من كل معقول ومنقول من ساير العلوم، وماله من منثور ومنظوم، سيما في الأدب وما ضاهاه من النظائر والأشباه، وغير ذلك ممن انتظم في هذا السلك، فإنه كان له كالمُلْك، وهي:

---

(١) أتى هذا البيت كلاماً نثريًا في نسخة ب.

(٢) الوذيلة: هي السبيكة من الفضة المجلوة خاصة.

(٣) في ب: من.

(٤) في ب: كف خرق إلا ضاع.

كيـف أرضى لمُهْجـتي بتـلافِ ... وهو لا يَرْتَضِي لهـا بِتَلَافِ[1]
شادنٌ من ظِبـــاء وجْرة ريمٌ ... ناعسُ الطَّرْف ناعمُ الأطرافِ
كم لَوى باللِّوى عُهوديَ لمّـــا ... راحَ عن وصْل حُبِّه مُتجافِي
ظَبْي أُنْس يَرْعى حُشاشة قلبٍ ... في هواه قـد آذنـتْ بتـلافي
بـتُّ منـه مُسَهَّداً جُنْحَ ليلٍ ... ناشراً طولَـه جَنَاح غُدَافِ[2]
خَـصَّ منـه قوادمَ النَّسْر لما ... مـدّ فيـه غُرَابَـهُ بخوافي
وهو في الوكر واقـعٌ إن تراه ... قلـتَ في مهمـهٍ ثـلاثُ أثافي
فكـأن الظـلام لُجَّـةَ بحرٍ ... مائرِ الموج دائِم التَّرجَـافِ
وكـأن المَجَرّ فيـه خليـجٌ ... والـدَّرَارِي عليـه دُرٌّ طافِي
وكـأن النجومَ عِقْـدُ لآلٍ.. ... نُثِرَتْ في غدير مـاءٍ صـافي
وكـأن الجوزاء فيـه وشاحٌ ... والثُّريَّـا عِقـد بِجيـدِ صَوافِي
سأل النجم من دجاه عن البَدْ ... ر أيا ليـلُ ما لبَدْرِكَ خافي
قال قد غاب خجلةً عندما لا ... حَ مُحيّـا بـدرِ العلوم القرافي
الإمامُ الجليلُ مَنْ حَقٌّ أن ينـ ... ـقل عنـه الخليـلُ علمَ الخلاف
من بـه مصر أشرقت واستنا ... ر الفسطاطُ منها وسائر الأكنافِ
مالكيٌّ لو أن أشْهـبَ جـارا ... ه كَبَا دُونـه على الإيجافِ[3]
عـالمٌ زانـه التُّقـى وكَسَا ... ه الحـلمُ ثَوْبَي صيانـةً وعَفـافِ
ثاقـبُ الفكر والرَّوِيَّـةِ والرأ ... ي حليفُ الندى أليفُ القوافي[4]

---

(١) في ب: وهي لا ترتضي له بتلاف.
(٢) الغداف: الغراب أسحم ضخم كبير الجناحين.
(٣) الإيجاف: الإسراع في الجري.
(٤) في ب: حليف القوافي.

قلت لما أتيتَ مصر وجاءتْ منـــه نَحْوي كرائِمُ الألطـافِ
دُمـت بـدراً بمصر تنشرُ علماً صِيتُـــــه عَمَّ سائرَ الأطراف
فلـــذا يممـــتْ حماك قوافٍ عن سِناد عَرَتْ وعن إصْرافِ[1]
طـال ما استوطنت دمشق محلا بـين قصرٍ وروضة مئنـاف[2]
حيث تُجلى عرائسُ الدوح في جَنْـ ـبِ نَميـرٍ عليـه ظِـلٌّ ضَافِ
يـا سقاهـا دُنُوّ عهـديَ فيها ورَعَـى من بهـا لعهـديَ وافي
من أنـاس حلّوا بقلـبي محلًّا بـين سَوْدَائِـهِ وبـين الشِّغَـاف[3]
قصـدتْ يَمَّـك الفراتَ فقلِّـد جيدهـا من لآلىء الأصـدافِ[4]
وأجزهـا روايـة من علوم حزتهـا عن مشائـخ أسلاف
لا أغبت رباك سحب الغوادي وسقتْهـا بوابـل وَكَّـافِ[5]
وكساهـا الربيـعُ خِلعـةَ وَشْي سندسيٍّ من بُرده الأفوافِ

صورة

ما رَقَمَهُ الفاضلُ العلّامة، والجِهْبَذُ الفهّامة، صاحبُ علمي المعاني والبيان، والمشار إليه فيهما بالبنان، شيخ الجامع الأزهر، ومصباحه المنير الأزهر، من نشأ في حجر العلوم وفي مهدها قد ربي، مولانا الشيخ

---

(١) السناد في القافية: اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات، وهو من عيوب الشعر والاصراف: الكلمة المقولة في غير وجهها.
(٢) المئناف: الوارفة التي لم توطأ بالأرجل من قبل.
(٣) في ب: سور آية وبين الشغاف.
(٤) في ب: فقصدت.
(٥) في ب: وبكاف.

شحادة الحلبي[1]، أنار الله أروقة الأزهر بضياء غُرته، كما أشرقت أرجاؤه بشموس طلعته وهو.

الحمد لله الذي أبدع الموجودات، وبسط الأرض ورَفَعَ السموات، وفضّل بني آدم على غيرهم من المخلوقات، وخصّ بعضهم بعراقة النسب وجميل الصفات، والصلاة والسلام على المؤيَّدِ بالمُعجزات، وعلى آله وأصحابه الكرام أولي المفاخر والكرامات، وبعد، فقد وقفت على هذا المصنف المشتمل على ذكر نَسَب سيدنا ومولانا العالم المُحَقِّق، والنِّحرير المدقق، كَنْزُ الدقائق ومفتاح الحقائق، ذي الفضائل والفواضل، تذكره العلماء والرؤساء الأوائل، صاحب الأبحاث والمناظرات، والأجوبة المحققة في المحاورات، عين الأعيان، إنسانُ عين الزمان، سلالة السادة الكرام، وأعيان الأمراء العظام، من أكثر الناس من التصنيف في شرف نسبه وأطالوا، سيدنا ومولانا درويش جلبي الشهير بابن طالو، أدام الله رفعته وأعلى محلّه، وأسكنه في الدارين منازل الشرف وأحلّه، فوجدتُه خيرَ مصنف قد أطرب السمع بما حواه، وشنف من النثر الرائق، والنظم الفائق، في ذكر نسب قد علا مناراً، وشَرُف مقداراً، وطابت مآثره، وكثرت مفاخره، فلله دَرُّه من نسب رفيع، وأصل بديع، لا تُدرك آثاره، ولا يُلحق غباره، وكفاك دليلاً على صدق ما قيل للعين، إن لم تَرهمْ فهذه آثارهم، فينبغي لمولانا السلطان أدام الله أيامه، ونشر في الخافقين

---

(١) هو الشيخ شحادة بن إبراهيم الحلبي الشافعي، نزيل القاهرة، علامة المنقول والمعقول وشيخ أهل الفروع والأصول، كان شيخاً للجامع الأزهر، وأخذ عنه الكثير من العلماء كالشيخ إبراهيم المأموني والشهاب القليوبي والأديب درويش محمد الطالوي، وذكره في سانحاته وأثنى عليه، وقدره بين علماء القاهرة ممتاز مسلم. توفي سنة ١٠١٠ هـ.
خلاصة الأثر ٢/ ٣٢.

أعلامه، النظر إليه بعين العناية، ومعاملته بمزيد الرفق والرعاية، والإنعام عليه بما طلبه من المناصب وأراده، فإنه أهل لذلك وزيادة، هذا والمناصب تتشرف بتولية مثل هذا النَّسِيب، والمراتب تفتخر بجلوس مثل هذا اللبيب، والعبارات تقصر عن استيعاب مفاخره، واللسان يكلُّ عن تعديد مآثره، وبالجملة هو مجمع[1] الفضائِل، ومفخر الأفاضل، نسأل الله العظيم أن يديم له البقاء، وأن يسلكَ به منازلَ العز والارتقاء، وأن يمنَّ علينا وعليه بالجنة، من غير عذاب ولا مِحنة، والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، قال ذلك وزيره: الفقير محمد المدعو بشحادة الحلبي خادم الفقراء بالجامع الأزهر المعمور بذكر الله تعالى، في سابع عشر جمادى الأولى من شهور سنة ثمان وتسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ما توالت به الدهور والأعوام.

(صورة)

صور الأرقام الإلهيّة، والنقوش الذهنية العلميّة، الصادرة عن مصدر الكمالات العرفانية، ومظهر الكرامات الإنسانية، قطب دائرة الولاية المحمدية، مركز إحاطة الأسرار اللَّدُنّية، غيث العلماء غوث العالمين، شيخ الحقائق الإمام زين العابدين، لا برح ظله الوارف بالمعارف ممدوداً، ومنهله الذارف بالعوارف موروداً، ما حفظ العباد غَوْثُ وَلِيّ، وخفض البلاد غيثٌ وَلِيّ[2]، وهو

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد للهِ الذي اصطفى نسب نبيه محمد صلى

---

(١) في ب: وبالجملة فهو من مجمع.

(٢) غوث ولي: أي استغاثة ولي الله ودعاؤه بالرحمة لعباده، وغيث ولي: أي مطر متتابع.

الله عليه وسلم على كل نسب، وزكىّ جُرثومة أرُومة حَسَبه على كل حسب، وشرف بولادة ذاته العظمى، وظهور مجده العلي الأحمى، سائر قبائل العرب، وأشهد أن لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له، الذي عظّم مقدار أهل الأدب، وجعل جيوش المعاني والأسرار تنسل إلى ملوك الأفكار من كل حدب، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذي جاز بالله وحاز أعلى الرتب، ورفع ذكره وأعلى قدره، حتى لاسمه على عرشه كتب، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، الذين قاموا في خدمته وطاعته ودعائه وعبادته في الرَّغَب والرهَب، فكانوا أجلَّ حزب ألقى سُلَّم التسليم في سَهْلٍ وحَزْن وحَرَب، فانتصر جند جيشهم على جُند الأغيار وغَلَب، ما جرّ رداء النسيم على عذبات روض وسيم وهب، وتنفح أرجه الطيب الشميم وهب، وما فاوت الله في النبات بين فاكهة وأب، كما فاوت في القبائل والأنساب بين أم وأب، آمين وبعد.

فقد أسفر هذا السفر عن صباح نَسَب شامخ، وحَسَب عليٍّ باذخ، بلغ درويش محمد مجدَهُ سَعْداً، وجدَّ في طلب المعالي جِدًّا حتى فات أباً وجَدًّا، وأعطاه الله من وافر ذلك الحظّ نصيباً وجَدًّا، لم يُبْطِ به العملُ عن بلوغ ذلك الأمل، بل أسرع به حسبه ونسبه، حتى اتصل بأهل المعالي سببُه، بيد أنه أبو المعالي، وفخار السادة الموالي، وعمدة العلماء، وعدة العظماء، وقد اشتمل هذا المجموع الذي أنْشِئَ لأجله وأُبدع، على مخبآت أسرار علية، ومخدَّرات معانٍ سنية، لها فيها أودع، قلد جيد البلاغة منه دُرًّا فلله ذرّه ودرّه، أشرقت من أفق بيانه شمسه، ولاح بدره، ما أحقه بأن يقول فيه، مادح من فيه:

أروض أزاهير تكلّل بالبرد ... أو عقد دُرٍّ أضاء وَقَدْ وَقَدْ[1]

(١) وقد: اشتمل.

وإلاّ كتابٌ سَطَّر الحسنُ طِرسَهُ به كلُّ معنًى لا يقايِسُه أحَدْ

من تلقائه تهب غادية نسائم كمائم اللطائف العلية، وتصب ذرّافة[1] غمائم المعاني العلمية، وتتمايل برياح أسراره الأنيسة أفنان الفنون العقلية والنقلية، وقد أضاء ذلك المجد بنبراسه، وأشرق أفق السعد بمقياسه، ومشى قلم الإنشاء في مدحه على راسه، كيف ومنه تستماح[2] فيوضات العلوم والمعارف، وتستباح أنواع المنح والعوارف، يقول لسان البيان، عما رقّمه فيه البنان:

أنفحة وردية أم عبهر[3] وعبقة زهرية أم عنبر
أم غادة أردافها لقد طوت نشراً يفوح منه مسك أذفر
والطيّ بالنشر عجيب قد يُرى والطيِّب النشر عجيباً ينكر
أم عقد دُرٍّ بالبهاءِ منضَّدٌ أبصرتُه وذاك عندي أكبر
أستغفرِ الله فهذا دون ما وكل جزء من سناه جوهر
ما هو إلاّ طرس علم زاهر تزهرُ منه كالنجوم أسطرُ
لآل طالو الفخر من بين الورى ومجدهُم بين البرايا يذكرُ
فخيرُهم أبو المعالي والتُّقى من أصبحت عنه المعالي تُؤثرُ
محمد درويش مَنْ فَضْلُه لا يبلغ الحد ولا يُحصر
أعطاه ربّي كل ما يأمله فإنه بكلِّ خيرٍ أجْدَرُ

كم أنشأ من آفاق سطور طروسه سحائب البيان الثقال[4]، فدرّت

---

(١) في ب: وارفة.
(٢) في ب: تستفاض.
(٣) في ب: عنبر، والعبهر: الياسمين أو النرجس.
(٤) ساقطة من ب.

بكل معنى لطيف، وأنبأت نسائم جنوب جنابه عن مهب شمائل شمائله بكل نبأ شريف، ما امتدت براعته لتصنيف، وما رقمت يراعته لتأليف، إلا وللعطايا والأعداء بها نسخ، وما نكس رأس قلمه لدى مسجد صحيفته إلا وتعالى على منبره خطيب بنانه وشمخ، يقول لسان الإنشاء إذا شاء مدحه، وله بذلك أشرف منحه:

يا آل طالو أهيل المجد لو طالوا ... ما أدركوا شأوكم كلّا ولا نَالُوا
درويشكم سيّد ساد النهى ولقد ... آلى بخالقه للحق إذْ آلُوا
ما مثلُه عَلَم في العِلم منتشرٌ ... مالوا إليه فزاد الجاهُ والمالُ

أدام الله تعالى جامع الفضائل والفواضل، وإمام محراب الأعيان والأماثل، وعطف عليه قلب قطب العالم، مفرق هامات ملوك العصر من أبناء آدم، سلطان الخافقين، المتصرف بملك الله في المغربين والمشرقين، مراد الله ونعم المراد، ومختاره للنظر في كافة العباد، ليلحظه بنظر الإسعاف والإسعاد وصلى الله وسلم على أشرف الأنام، وآله الكرام، وصحبه العظام، ما افترّ ثغر فصاحته بَسَّام، وسرى نشر زهر بلاغةٍ بشام، وخطّت الأقلام، وخَطَت الأقدام، وحمداً لله في افتتاح وختام، قال ذلك عجلاً محسبلاً محوقلاً الفقير محمد زين العابدين بن محمد بن أبي الحسن الصديقي الشافعي الأشعري[1]، سبط آل الحسن غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين، (صورة).

---

(١) سبقت ترجمته.

تقريظ الشيخ أبي السرور

رشح ثاني وفيض رباني صدر ممن أصفقت عليه علماء عصره بأنه شيخ القاهرة، وعلّامة مصره، ذو الآراء الصائبة، والأفكار الثاقبة، الجامع بين علمي الباطن والظاهر، والمستكشف بقوته القدسية والحدسية عما تكن الضمائر، وتُجْزَ السرائر، حلّال مشكلات غوامض العلوم، موشّح رياض المنثور بجواهر المنظوم، ومرشح صور المعارف القدسية، بوشائع[1] الفصاحة القُسِّية، من أصبح حديث الفضل عنه مأثور، الشيخ محمد أبو السرور[2]، لا برح فُسْطاطُ مصر بعُلُومه كالبيت المعمور معمور، ما انتظمتْ سِلسلة الأيام والليالي في سلك الشهور مدى الدهور، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم إنّ أبدعَ دُرّ نظم ببنان البيان، وأسطع عسجد صيغ بنيران الأذهان، حمدُ الله الذي فاوت شرفاً بين القبائل[3] والوصائل، وعرف بطيب عرق الأبناء ما للآباء من شمول الشمائل، مسير شمس المحمدية من سماء الأنساب سير الشمس في أعالي المنازل، بما اقتصر من مبادي معالم معاليها الأواخر والأوائل، وأشهد أن لا إلاه إلا الله العليْ عن المُشَاكِل، والمُشَابِه والمُمَاثِل، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، الغني بالذات عن الصفات والدلائل، مختار الله لنظم نظام الفواضل والفضائل، المنصور بالرعب فما أغناه عن القواضب والذوابل، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الذين أخلصوا طاعته في

---

(١) الوشائع: التوشية بالرسوم والطرائق، والقسية: نسبة إلى قس بن ساعدة خطيب الجاهلية الذي عرف بالفصاحة والدعوة إلى التأمل في الكون.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) هذه العبارة ساقطة في ب.

البكور والأصائل، واقتعدوا[1] من العزيمة في نصرته بما صيروا به حال أهل الكفر حائل، ما هبت رياح الأرواح فاتقة من كمام الأزهار الغلائل آمين، وبعد:

فإن النسب عنصر الحسب، فمن طاب نسبه طال حسبه، ومن كرم جَدُّه ذاع مجده، ووجب شكره وحمده، فقد قال عليه الصلاة والسلام «خيارُكُمْ في الجاهلية خيارُكُمْ في الإسلام»[2]، وقد حَدّثَتْ وُرْقُ الطروس بهذه الأوراق، عن مكارم سراة سرت محامدهم في الآفاق، من كلِّ هُمام من بني أرتق، لولاه لكان معنى الجُود[3] أرتق:

فَهُمُ الجَحاجِحُ والملوكُ الكُمَّل ... ما منهمُ إلّا مليك أفضلُ
طالُوا فطالوا فوق غاياتِ النُّهى ... في موطن عنه الكواكب تنزلُ

هذا وفي الشاهد ما يغني عن الخبر، ومن وصل إلى العين لم يسأل عن الأثر، فقد شاهدنا درويشهم من الفضائل، سعيداً حائزاً من دُرِّ غُرر المعاني درا نضيداً فكم قلدت منه أجياد الأجياد، ورقى فيما رقم بما يشابه من المقل والبياض والسواد، فسبحان من فاوت بين خلقه، ووافق في حُسن خَلْقِه حسنُ خُلُقِهِ، فلا تحصر الأقلام محامده، إذ نثر في الأذهان فوائده وفرائده، فكم شادَ من المعاني رباعاً، وساد فتوّج هاماً وشَنَّف أسماعاً:

فلا روض إلا دون روضَتِه[4] الغَنّا ... فساجعُ دوح المجد في دوحها غَنّى

---

(١) في ب: وافتقدوا.
(٢) بقية الحديث: إن رشدوا.
(٣) في ب: الجواد.
(٤) في ب: فلا روض دونه روضه

يحـدث عن قوم سُراةِ سوابـقٍ فدرويشهم أهل المعارف قد أغنى

فقـد آنسنا من جانب طورسيناه من المعاني نوراً، وكشف عن مخبآت بنات الأفكار مستوراً، وأدار على العقول شمول شمائله، وأدرّت من سحائب فضله نوادر وابله، فحيهلا ليراع[1] رقم طرسه، وبنان صاغ فصه، لقد أبدع فيما صنع، وأحكم ماله اخترع، فوجب أن ترعف من شميمه آناف الأقلام وأن تسير في مدحته على رؤوسها لا على الأقدام، كيف وهو بحر العلوم الزاخر والفائز بتحقيق كم ترك الأول للآخر، فحقُّه أن يثني عليه هذا[2] الفكر الفاتر، والنظر الذي هو عن مناظرته قاصر، فأنشأ وأنشد:

حدائـقُ أوراقٍ بها يَبْسِم الزَّهْر وأحداقُ عينٍ فعلها دونها السِّحرُ
وأي مثـانٍ أو مثالـثُ معبـد بها أخضع السُّماعَ أو حمل السَّكْرُ
وزهر نجوم أو جمان قلائـــد لنـثر ونظم حار في وصفها الفكرُ
أفي خَبَـل عَقلِي فأضحى مُشَبَّهاً لمـا لا يُضاهَى أو يماثلـه قـدرُ
فلله كم أنْشَى بـه عقلُ سامعٍ وأنسى بـه قُسًّا فليس له ذكرُ
ولله درويش لـــه كـل نعمـة غدا مثلَ بحرٍ[3] منه يُستجلب الدُّرُّ
بـه آل طالوٍ طاولوا النسر رفعة وطـاب لهم بالسعي في بابه فخرُ
فـلا مصر إلا أن يحلَّ بساحِها فمُذْ حَلّ فيها أصبحت روضةً مصرُ
فيـا رَبٌّ قرِّب دُونه ما يرومُه ليعلُو لـه قدرٌ ويزهو به الدَّهْرُ

---

(١) في ب: فجهل اليراع، وهو تحريف واضح، والحيهلا هي اختصار لقولهم: حيّ على الفلاح.
(٢) في ب: على.
(٣) في ب: غدا كل مثل.

فمن أثنت عليه ألسنة الأقلام بهذه الأرقام، وقامت خطباءُ الفصاحة على منبر البلاغة بالثناء لمحامده البديعة النظام، وحل من فنن المعارف أعلى المراتب، وحل أقفال المعاني بنظر فكره الصائب، لجدير بأن تتوجه إليه أنظار الخلافة العثمانية، وتتوجه إليه بالمناصب الباذخة الخاقانية، فالمسئول من سلطان سلاطين العالم، ظل الله على كافة العوالم، أمير المؤمنين، ماحي رسوم المبتدعة والمضلين، أن يوجه نظره عليه لكماله لهذه القابلية، القابلة للكمالات العلية، فما تحسن له يدا الخلافة من وضع الشيء في محله، وإيصال الحق إلى أهله، أبقى الله هذه الدولة إلى يوم القيام، بجاه محمد المصطفى عليه أشرف الصلاة وأفضل السلام، قال ذلك عجلًا، ورقمه خجلًا، محمد أبو السرور الصديقي سبط آل الحسن بن محمد بن أبي الحسن، أسبغ الله عليهم نعمه فيما ظهر وبطن والحمد لله.

تقريظ الشيخ أبي المواهب

«ومن أبدع تقاريظ الأقلام، وأبلغ معاريض الكلام» مما يليق أن تُقَرّط به آذانُ الحسانِ الكواعب، وأن تقلَّدَ منه جواهر عقوده الأجيادُ والتّرائب، تَغارُ من حُسْنه النجومُ الثواقب، ويحسدها طالعةُ زهر الكواكب:

نثرٌ هو الدُّرُّ إلّا أنه فِقَرٌ نَظْمٌ هو العِقْد إلّا أنّه كَلِمُ

لو رأته عقودُ الثريَّا لنثرتْ فيه نظامَها، أو قلاصُ النجوم[1] لألقت

---

(١) قلاصي النجوم: هي المتضامة المجتمعة، أو الجدة في سيرها الماضية فيه.

إليه زِمَامها، أو كوكبُ الجوزاءِ لخلعتْ عليه نطاقَها[1]، وقد راقَها منه ما راقَها، أو الشِّعْري العَبُور[2] لما دعاها للمجَرَّةِ العُبور، أو سُهيلٌ[3] لسَلاَ عن ثُرَيَّاه، وأعرض كفُّها الخضيبُ بمحيَّاه، كيف لا وقد نشأ عمَّن نشأ في حِجْر العلوم العمليَّة والنَّقْلية، واعتكف في محاريب الفنون كلِّها سِيَّما الأدبيَّة، من حاز من تلك المزايا أسنى المفاخر والمناقب، وفاز بأعالي المقامات والمراتب، وسار في الآفاق صِيتُ علمه مَسْرى الصَّبَا والجنائب[4]، سيِّدُنا العلامةُ أخو الكرم أبو المواهب[5]، أدام الله توفيقه، وجعله في الدارين رفيقَه، آمين:

« بسم الله الرحمن الرحيم، إنّ أرفَعَ قُنٍّ[6] خضع له الأشَمُّ[7] الباذخ، وأفرغَ قِمٍّ تأطَّر[8] له الفارعُ الشَّامخ، حمدُ الله الذي جعل من شاءَ في محاريب العلوم العقلية والنقلية إماماً، ولشَتَاتِ الكَمال بالذِّهْن الذَّهِن، والعقل الرَّصين نظاماً، واجتباهُ لسيادةٍ تتقاصرُ عباراتُ خطباء البلاغة عن مدائحها، وخالط بمحبّته أرواحَ القُدْسِيِّين من أوليائه، ومازَجَ بمودَّته قلوبَ الصَّفْوة من اصفيائه، مولانا علامة الزمان، نادرةُ العصر والأوان، أبو المعالي درويشُ لا زالت محافل الدروس بإفادته الشريفة عامرة،

---

(١) نطاق الجوزاء: ثلاثة كواكب في وسطها.

(٢) الشعري العبور: كوكب يكون في الجوزاء، والأخرى: الشعري الغيمصاء.

(٣) سهيل: نجم عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ، وهو من النجوم اليمانية، والثريا نجم سمي بذلك لكثرة أنجمه مع صغر منظره تشبيهاً له بالثريا المعروفة.

(٤) الجنائب: ما يجنب إلى خيل السباق حتى إذا كلت هذه من الجري ركبت هذه.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) القن: الجبل المرتفع في السماء.

(٧) في ب: الاسم.

(٨) القم: القمة العالية، وتأطر: اعوج وانحنى

ومهارقُ الطُّروس[1] بعبارته المنيفة ونَسَبُهُ الباذخُ رياضاً ناضرة، والمجدُ أن آباءه ملوك الزمان السابق فلا نظير، والسعدُ يخدُمُ بابَهم مهما يسيرُون يَسير، فهو من الذُّرِّيَّة الدُّرِّية، والشجرة الزّاهية الزاهرة المُضِيّة:

ابنُ الكرام السَّابقينَ لرتبةٍ ... شَمَّاءَ يقصُر دُونها التطاولُ
من آل أرتق نسبةً ما مثلها ... ظهرتْ لهم بين الأنام فضائلُ
فاللهُ يعطيه المرادَ معجَّلاً ... ويُديمَ ما يختارُهُ ويواصلُ

فلا بدْع أن يتبعَ الفرعُ أصلَهُ ... ويجمعُ اللهُ بالكمالات شملَهْ
درويش منه طنّت[2] حصاة فَخْرِه ... وامتلأ الكونُ بطيبِ ذكرِهْ
فرعُ كماة بالمرام طالُو ... والعُلوِّ والسموِّ طالُوا
سبحانَ من أنشاه بدراً طالعاً ... وفي العلوم غيثَ فضْلٍ جامعا
تعلو بشأوِ مجده المراتبُ ... تعنُو لِعِزِّ جيده الكواكبُ
سَلْني وسَلْ ما شئت مَنْ مُصَادِقِ ... ومِن عَدُوٍّ أحمقٍ منافقِ
الكلُّ يدرُون بِصِدْقِ قولي ... لكنهم مُذَبْذَبُون حَوْلي
لأنني أعلمُ مَنْ فِي العَالَمِ ... بِقدْره العالي على النعائمِ[3]
أبقاهُ رَبِّيَ دائماً إلى الأبدْ ... مبلغاً كلَّ من أَمٍّ قدْ قصَدْ

فقد أُلف لمولانا هذا الكتابُ الدالُّ على فخر نسبه الطاهر، وأصلِه الظَّاهر، قال الله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أصلُها ثَابتٌ وفَرْعُهَا فِي

---

(١) مهارق الطروس: صفحات الأوراق التي يكتب عليها.
(٢) طنت: صوتت ورنت.
(٣) النعائم: منزلة من منازل القمر، صورتها كالنعامة.

السَّمَا﴾[1]، والله يديم لمولانا السُّمَا[2]، ويرقبه لمقام تتطامن له الكواكب، وأجلَّ مَحلٍّ يُزَاحَم النَّاسِعُ[3] بالمناكب، وقد أفصح مصنف هذا الكتابِ المؤلَّفِ عن مقال فتق رَتْقَ البلاغة بألْسُنِ البيض القواضب، وأبدع فيما أودع في هيكل هذا المصنف النفيس صنائعَ بضائع الحِكَم الإلهيَّةِ فلا مُمَاثل ولا مُضَارِب، وأينع مَغَارِس العلم الأسْنى بصَوْبِ صوابِ فِكْرٍ تعنُو له الشوارقُ والغوارب، وقد شرّف الله بجُدُودِ مولانا الدُّوَل القَعْساءَ فلا مُدانِيَ ولا مُقَارِب، فمولانا جديرٌ بما يُسدَى إليه من المناصب العالية الشان، العليّةِ المكانة والمكان، من حضرة سُلطانِ سلاطين العالم، حامي كافّةِ أبناء آدم، خليفةِ الله على خليقَته، الذي أغاثَ اللهُ بعدلِهِ البلادَ، ورحم كافَّة العباد، وجعل دولتَه غُرَّةَ جباه السيادة، وأيامه الشريفة قُرَّةَ عُيون السعادة، السلطانُ الأعظم، والخاقانُ المكرَّم، والمُرادُ الأفخم، خلّد اللهُ تعالى إشراق أنوار العناية، وإغداق أنواء الرعاية، بمزيد عنايته لعبده الّذي اختارَهُ لسلطنةِ المشارقِ والمغَارب، وسَيّر بسعادتِهِ المناقِب، واختارَهُ لحمايةِ بيتِهِ الحرام، وخِدْمَةِ نبيِّه عليه أفضل الصلاة والسلام، وصلى الله وسلّم على أشرف الأنبياء الكرام، والمُرْسَلين العِظام، الحبيب المحبوب، الذي عنده المطلوب، محمد وآله وصحبه، وشيعته ووارثيه وحِزْبه، ما سَجَعَتِ الحَمائم، ونفحت الكمائم، وغَدقَت الغَمائم، ولاحت أنوار العناية مُشْرقة، وسَحَّتْ سحائبُ المطالب مُغْدِقة، وخَطَت الأقلام بتبليغ المرام، وخَطَتِ الأقدامُ إلى ذلك

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٤.

(٢) السما: ذهاب الصيت وبعد الصوت، يقال ذهب صيته في الناس وسماه: صوته، وذلك في الخير لا في الشر.

(٣) الناسع: العنق الطويل.

المقام، والحمدُ للهِ في الأوَّلِ والآخر، والباطن والظّاهر، قال ذلك عَلى وَجَلٍ: محمد أبو المواهب بن محمد بن أبي الحسن، غفر الله له ولوالديه آمين. انتهى ذلك.

ومما قاله في مدح قاضي المحلة

ومما دعت إليه الصناعة الأدبية، وأنا بالقاهرة المُعِزِّية، ما كتبت به لقاضي المحلة، أعلى اللهُ قَدْره، ورفع محلَّه، عبد الباقي الشهير بالجمالي، وقد تشرفَتْ بقدومه مِصر وغَدَا جيدُها منه حالي، لما اجتمعتِ الآراءُ على مدائحه، وقد غمرها بغامِرِ منائِحه، قولي:

أشرقتْ مصرُ مُذْ أتاها الجَمَالي ... واكتستْ ثَوْب بَهْجَةٍ وجَمَالِ
وأنارَتْ أقطارُها من مُحَيَّا ... قد أعَارَ البدورَ عند الكمالِ
عالمٌ عاملٌ تقِيٌّ نقيٌّ ... طاهرُ الذَّيْلِ مستفيضُ النوالِ
فخرُ آلِ الجمالِ قومٌ عُلاَهُم ... مثلُ شمسِ النهار بين المَوَالِي
نسبٌ طاهرٌ وأصلٌ زكيٌّ ... وفروعٌ نَمَتْ بحُسْن الخِصَالِ
منهمُ العالمُ العليُّ مقاماً ... طاب مثواهُ في الجنان العوالي[1]

---

(١) يعنى به العلامة علاء الدين علي بن أحمد الرومي الحنفي الجمالي، مفتي السلطنة على عهد السلطان بايزيد، وكان السلطان شديد الإكبار له، ولما بنى مدرسته بالقسطنطينية ضمها له إلى الفتوى، وكان رجلاً كريم الأخلاق منصرفاً إلى التلاوة والعبادة، وحظي لدى السلطان سليم أيضاً حتى إنه أراد أن يكون قاضي العسكر فوق منصبه فرفض قائلاً: لقد أعطيت الله عهداً ألا تصدر عني لفظة حكمت. توفي الجمالي عام ٩٣٢ هـ، أقول: وما زال القضاة إلى يومنا هذا يتفادون هذه الكلمة.

انظر شذرات الذهب ٨/ ١٨٢.

قــد مَضَوْا سادةً ولكنَّ بــاقٍ منهمُ شَمْسُهُمْ بأفـــق المَعَالِي
مَنْ لـه في البـلاد صَيْتٌ بعيد بنوالٍ يلقـــاكَ قبْــل السُّؤَالِ
دامَ في نعمـــةٍ ورفعـــةِ شأن وسرورٍ عـــلى المـــدى مِنْوَالِ

حضرتُ مجلسه مراراً باستدعائه، وقد حُفَّ بفضلاءِ من أُدبائهِ، وهو المجلسُ المُطِلُّ على بِركة الفيل، وقد جَرى لُجَيْنُ مائها على ذَهَبِ الأصيل، عكس ذلك التمثيل والتشبيه الذي قيل[1]، فكم ليلةٍ سامرتُ فيها قمرَ طلعته، إلى أن أشرف صَبَاحُها بضياء غُرَّته، في أدباء أكياس، وأرآمِ كناس:

من كـلِّ أغْيَـدَ كالقضيـبِ إذا انثنى وأخِي الغَزالـةِ إن تَلَفَّتَ أو رَنَا

يطوف على جُلّاسه بقهوةِ إيناسه، كأن فنجانها بياضُ اللُّجَين، وهي فيه تحكي سواد العَيْن، أو كما قال أديبُ الحجاز، على الحقيقة لا المجاز، جمالُ الدِّين بن إسماعيل بن المولى عصام، جاد مثواه صوبُ الغمام:

فنجـانُ قهوةِ ذا المليح وعَيْنُهُ الـ ـكَحْلاءُ حارتْ فيها الألبابُ
فسوادُهـــا كسوادِهِ وبياضُـــهُ كبياضِهـا ودُخَانُهـا الأهـدابُ

أنشدنيها بمنزلي بدمشق الشاب الفاضل اللَّوْذَعِيِّ الكامل عبد العزيز المكِّي القاضي خاني عام سبعٍ وسبعين وتسعمائة، ولا يَخْفَى حُسْنُ تشبيه الدُّخَان الصّاعد من الفِنجان، بأهداب الأجفان، فلِلَّهِ دَرُّه من أديبٍ شاعر، لمثله يُقال: كَمْ تَرَكَ الأوَّلُ للآخِرِ.

---

(١) يعني به قول الشاعر:
والشمس تجنح للمغيب وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء
وما أتى به من كلامه عكس ذلك القول.

يتأهب للعودة إلى الشام

هذا ولم أزلْ مدة إقامتي بالقاهرة، يختصُّني بِنِعَمِهِ السافرة الوافرة، حتى أعملتُ للسَّفَر الركاب، نحو دمشق الشام منزل الأحباب، أنشدني في موقف التوديع، حالة التَّشْيِيع:

ولما صَحَّ توديعي سُلَيْمى ورأيي أنْ أُخَلِّفَها ورائي
بكتْ شَجناً لفُرْقتنا وقالتْ جه بودي كربنودي اشنائي

ولم تزلْ تَخِدُ بنا تلك القلاص النجائب، وتَطْوي بنا في سيرها المهامِهَ والسَّبَاسِب، حتى أرتْنا غُرَّة الشام غَزَّةَ هَاشِم[٢]، واستبانتْ منها رُبُوعُها والمعالم:

أقَمْنا بها يوماً ويَوْماً وثالثاً ويوماً له يومُ التَّرَحُلِ خامسُ

فكتبتُ أثناء ذلك لأمير لوائها، وشمس أفقها المنير وبدر سمائها، مُقَنْطِرُ الفرسان يومَ الطِّعان، بألسنةِ البيض وأسِنَّةِ المُرَّان، بل مُعَطِّر ذلك القُطر بعطر الإحسان، الأمير أحمد بن أمير الأمراء رضوان[٣]،

---

(١)

(٢) غزة: مدينة أشهر من أن تعرف، وهي في أقصى الشام مما يلي مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل وهي من نواحي فلسطين، وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها قبره ولذلك سميت غزة هاشم، معجم البلدان ٣/ ٧٩٩.

(٣) هو الأمير الكبير صاحب القدر الخطير والجود الغزير أحمد بن رضوان، تولى إمارة غزة ما يقرب من ثلاثين سنة من غير عزل، واستوطنها فطابت له وطناً.

كانت القافلة المصرية بوجوده تجد الأمن والإحسان، ولولاه لأخافتها عصاة الغربان، انتشر في أيام إمارته بغزة علماء وفضلاء.

تقاعد سنة ١١٠٩، وصير إمارة غزة لبعض أولاده.

انظر تراجم الأعيان ١/ ١٩٢.

تغمده اللهُ برضوانه، وأسكنه فسيح جنانه، بهذه القصيدة الفريدة، والقوافي المتناسقة النَّضِيدة، ذاكراً فيها ما اشتمل عليه الطريق من المنازل والمراحل، والمناهل، الآهل منها وغير الآهل، وهي هذه:

ولما أَرَتْنا العِيسُ غَزَّةَ هَاشِمٍ ... عِيانا أَنَخْنَاها بتلك المَعَالِمِ
رَواجعُ من مصرٍ نوازعُ للحِمَى ... حِمَى الشَّام تُهْدَى بالبُروقِ البَواسِمِ
وقد هجرتْ فُسْطاطَ مصر وأعرضتْ ... بجانبها عن نِيله المُتَلاطِمِ
وفارقتُ بالمقياسِ والنيلُ طافحٌ ... تصافحُه كفُّ الرياحِ النَّواسِمِ
وروضتِه الغناء طاب مَقِيلُها ... تغرّد فيها ساجعاتُ الحمائمِ
وسارتْ عن الأهرام أرفع بنيةٍ ... تخبِّرها عن عصرها المتقادِمِ
وصدَّتْ عن النيل الفراتِ صواديا ... تَؤُمُّ مياهَ الشام مِيلَ الجماجمِ
تُجَاري نَعَامَ الدَّوِّ طَوْراً وتارةً ... تُباري بأعلى الجوِّ سَيْر النَّعَائِمِ
وما ذاك إلّا أنها قد تذكّرتْ ... مَرَابعها بين الغُوَيْر فجاسِمِ
ومنبجساً في ظِلِّ أحْوَى كأنّه ... وقد نسجتْه الريحُ وشيُ أراقمِ
على أنَّ بالفسطاطِ أبقتْ معاهداً ... تحنُّ لذكراها حنينَ الرَّوَائِمِ
سقاها وحيَّاها الإلهُ مَعَاهِداً ... سَحَابَ دُنُوِّ العَهْد من أمِّ سَالِمِ
أضاء لها البَرْقُ الشآمِيُّ مَرَّةً ... فأثَّر في أخفافها والمناسِمِ
حننتُ وحَنّتْ إذْ أضاء وإنما ... حنيني لو تَدْرِي لبَرْق المبَاسِمِ
وأعْدَى حِصَانِي قطعُها البيدَ فانثنى ... يجوبُ الفلا جَوْبَ النياق الرَّواسِمِ
فودّع ربعَ العادليَّةِ سائراً ... ولم يُثْنِهِ عن سيره لَومُ لائمِ
فوافى رُبُوع الخانقاةِ عشيَّةً ... ومَرّ على بِلْبِيسَ مَرَّ النَّسائمِ
وأصبح خَطَّاراً بخطارة المُنَى ... وجاز بها كالبَرْق لاح لِشَائِمِ

وجاوز وِرْدَ الصَّالحيَّة كالقَطَا لِقَطِّيَّةٍ ليلاً قبلِ ورد الحَوَائِمِ
ترفَّع عن بئر الدُّوَيْدارِ قَدْرُه وخلَّفها مَطْرُوقة للسَّوَائِمِ
وأهوى لبئر العَبْد كالنجم غائراً لأُمِّ الحَسَا والليلُ وَحْفُ القوادمِ
وقابله رَمْلُ العَريش فعافَهُ عن السَّيْر إذ خانته إحدى القوائمِ
وغيَّبَه عن حِسِّه هولُ صَعْقَةٍ تَخِرُّ لها كُومُ المطيّ الرَوَازِمِ
فودَّعْتُه طِرفاً أغرَّ مُحجلا كريمَ السجايا من عِتاقِ كرائمِ
وقلتُ له هَلَّا حَمَلْتَ على وجىً فتى سيرُه للشَّام ضربةُ لازِمِ
فقال مَقالاً كنتُ أجهلُ قدرَهُ وعيناه فاضتْ بالدُّموع السَّوَاجِمِ
أتشكو الجوى إذ جئتَ غزَّةَ هاشمٍ وفيها أميرٌ أرْيَحيُّ المكارمِ
سَمِيُّ نبيِّ اللهِ أحمدَ مَنْ غَدَا حديثُ نَداه ناسِخاً ذكرَ جَاتِمِ
كثيرُ رمادِ القِدْر دَان نَوَالُهُ طويلُ نِجاد السَّيفِ ماضِي العزائم
سليلُ الملوكِ الصِّيدِ من خَضَعتْ لَهُ قبائلُ من تَيْمٍ وقيْسٍ ودَارِمِ
وذو النَّسَبِ الوَضَّاح والجوهر الذي أقام فَريداً في مُتُونِ الصَّوارِمِ
أميرٌ تَرَدَّى المجدَ دِرْعاً وشاحُها طِوالُ العَوَالِي في طوال اللهاذِمِ
وقد أَلِفَ البيضَ الصَّوارمَ والقَنَا وقَتْلَ العِدَا من قبل عَقْدِ التمائمِ
اخو الحربَ يَغْشي اللَّيْثَ والليث مُشْبِلٌ
وتخشاهُ في الهيجاء أُسْدُ الضَّراغِمِ
ترى بابَه للوافدين مَحَطَّةً فمِنْ راحلٍ مُثْنِي وآخرَ قادِمِ
وردتُ وصحبي مستفيضاً نواله فرحَّلني عنه بأسْنى الغَنَائمِ
فلا زَالتِ الأقدارُ تَخْدُمُ سَعْدَهُ بغزَّةَ في عِزٍّ مَدَى الدهر دَائِمِ

الخطيب التَّمرتاشي

وممن لقيتُ في خاتمة مطافي وجَوْبي البلاد وتَطْوافي، وقد أنختُ بغزَّة هاشم، مطايا الهِمم الرَّوَاسم، من العلماءِ الأعاظم، والأفاضل الأفاخم، عَلَّامةُ زمانه، وفَهَّامةُ عصره وأوانه، رئيسُ علمائها، وشيخ مشايخ إسلامها، والمُعَوَّل عليه في تمييز حلالها من حرامها، إمامُ المعقول والمنقول، والمرجعُ إليه في الفروع والأصول، صاحب التآليف العديدة، والتصانيف المفيدة، شيخ مذهب النعمان، والمشارُ إليه في ذلك بالبَنَان، بل قطبُ دائرة تلك الديار، ومركزُ محيط ذلك الدوَّار، والمتخلِّق بالأخلاق الإلهية، والمتصف بالصفات الربَّانية، من أصبح صيتُ علومه ومعارفه في جميع البلاد المصرية والشامية فاشي، شمسُ الملة والدين محمد بن محمد بن محمد الخطيب التَّمرتاشي[1]، مد الله ظلّه الوارف، ولا برح ذَرَّافَ العَوارف والمعارف، تمتعتُ بلقائه واستمتعتُ بآلائه، وقد استجزتُ منه أثناء لقائه، مَتَّع الله العالم بطول بقائه، وأدام للطلاب عِلْقَ[2] ارتقائه، رواية ما يرويه عن مشايخه الكرام، وأساتذته الفِخام، من كُتُب المذهب المعتبرة، وعيونِ المذاهب سِيَّما مما اختاره من مصنفاته، وما وقع عليه اختياره من مؤلفاته، كتنوير الأبصار، الجامع بين مسائل

---

(١) اسمه محمد بن عبد الله بن محمد كما ورد في خلاصة الأثر ١٨/٤، الخطيب العمري التمرتاشي الغزي الحنفي، شمس الدين، شيخ الحنفية في عصره، ولد بغزة سنة ٩٣٩ هـ، وتوفي بها سنة ١٠٠٤ هـ.

من مؤلفاته، تنوير الأبصار وجامع البحار في الفقه، وشرحه منح الغفار، والوصول إلى قواعد الأصول، والفتاوى، وعقد الجواهر النيرات في بيان خصائص الكرام العشرة الثقات. انظر خلاصة الأثر، الأعلام ١١٧/٧، معجم المؤلفين ١٩٦/١٠.

(٢) العلق: النفيس من كل شيء يتعلق به القلب.

الهداية والمنار، وغير ذلك مما له من جميل الآثار، وجليل الاختيار، فأجاز لي عنه رواية ذلك كله، وأن أحدِّثَ به عنه جُلَّه وقُلَّه، وسائرَ ما يجوزُ له روايته من العلوم والمعارف، وما يتْبع ذلك من نوادر الشِّعْر وأنْواع اللطائف، حسبما استَنّ به في المضمار طِرفُ يراعته[1]، وافتنّ به مُنعماً لَطِيفُ براعته، وسأوردُ صورة ما رَقَمَه بيده ووشَّاه، وأضعه في موضعه كما رسمه، إن شاء الله.

العودة إلى دمشق

وحين بانتْ لي من دمشق الشام أعلام قَاسْيُون، أجريتُ لرؤيتها من العيون مياه الشُّئُون، لكنها كانت دُموعَ فَرَحٍ بها العين قَرّتْ، لا دموعَ تَرَحٍ غيرُ الأفراح أقرت:

هَجَم السُّرُورُ عَلَيَّ حتى إنَّني ... مِنْ عُظْمِ ما قد سَرَّني أبْكَانِي

فطفقتُ أنظمُ بها شملَ الأصحاب، وأتعاهدُ منها منازلَ الأحباب، ولم أخاطبها بما خاطب به الشَّريفُ الرَّضِيُّ ديارَ أحبابه، واستفهامه عن عهود لِدَاتِهِ وأترابه:

يا ديارَ الأحبابِ كيفَ تَغَيَّرْ ... تِ ويا عَهْدُ ما الَّذي أبْلَاكَا[2]

ولم أزلْ على تلك الحال بُرهة من الزمان، ونُهْزةً[3] من العصر والأوان.

---

(١) استن الفرس ونحوه: جرى على نشاطه في جهة واحدة، والطرف بكسر الطاء: الجواد الكريم.

(٢) ديوانه.

(٣) النهزة: الخلسة والفرصة.

كتابه إلى داود الأنطاكي

فمما كتبتُ في أثنائها وأنفذتُه للديار المصرية، من دمشق المحميّة، إلى الأستاذ العلّامة شيخ العلوم الرياضية، سيَّما الفلسفة والطِّبِّية، من انتظمتْ جواهرُ مآثره في سلك هذه العقود، شيخُ عصره وعَلَّامة مِصره الشيخ داود، في تاسع عشر رجب من شهور سنة تسع وتسعين وتسعمائة:

لنا بِحِمى فسطاط مصرَ شُجونُ ... وذكرى لَمَغْنَى ربعها وحنينُ
حنينُ رَؤومٍ بان عنها وحيدُها ... فما هي إلّا أنَّةٌ ورنينُ
وذاتُ جَنَاحٍ غاب عنها هَدِيلُها ... فتَسْجاعُها فوق الأراكِ أنينُ
تُباري حَمَام الغوطتين بِشَجْوها ... وفي قلبها داءُ الفراق دفينُ
ويَذْكِرُها المقياسُ والرَّوضةُ التي ... بشاطئه عذبٌ هناك مَعِينُ
إذا ضربتْهُ الريحُ خِلْتَ بمتْنِهِ ... مُضاعَفَ سَرْدٍ أحكمتْه قُيُونُ
جرى فوق حَصْباء اليواقيت أشبهتْ ... لآليءَ دَمْعٍ يوم بان قَرينُ
ذكرتُ به من أمِّ سالمَ معهداً ... به القلبُ إذ سار الركابُ رهينُ
فتاةٌ أناةُ الخَطْوِ صَفْرٌ وشاحها ... بألحاظها جيشُ الغَرامِ كمينُ
ولم أنسَ يوم البَيْن وقفةَ ساعةٍ ... ولي ولها عند الفراق شُئونُ[1]
وقد حلفتْ أن تحفظَ الوُدَّ بيننا ... وليسَ لمخضوب البنانِ يمينُ[2]
ترحلتُ عنها والفؤادُ بربْعها ... مقيمٌ وهل يرعى الوداد خدينُ

---

(١) الشئون: مجاري الدمع من العين.

(٢) تضمين لبيت مشهور لابن الرومي هو:
وإن حلفت لا يخلف النأي عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين

وفارقتُ فيها مَنْ أُحِبُّ وجيرةً لهم بين أحناء الضلوع شجونُ
ولا سيما شيخُ الفلاسفة الذي تَسَلَّمُ يونانٌ له وتَدِينُ
سَمِيُّ نبيِّ اللهِ داودَ مَنْ أتى على فترة فاستعبدتْه ظُنُونُ[1]
وظن فيه غيرُ ظَنٍّ مُرَجَّمٍ[2] على أن ظنَّ الألمعيِّ يقينُ
عليه سلام الله ما ذَرَّ شارقٌ ورَوَّى حِمَى فسطاطِ مصرَ هَتُونُ
وما غردتْ ورقٌ سواجعُ بالحمى ومالتْ بترجيعٍ لهنّ غُصُونُ
أسُكَّانَ قيسون لئن جارَ بعدكُم عَلَيَّ زمانٌ باللقاء ضنينُ
فواللهِ ما فارقتكم قالياً لكم ولكنّما يُقْضَى فسوف يَكونُ[3]

صورة النثر: شَوْقِي للقاءِ سَيِّدي الأجَلّ، عَمَر اللهُ بذكره رباعُ الفضل، كما غَمر طلاب العلوم الحقيقة نائله الجَزْل شوقُ الوامِقِ بعُذراه، وعُرْوة بعَفْراهُ[4] بل شَوْقُ غَيلان لمَيَّة[5]، والحَادرَة سُمَيَّة[6]، أو كحمامةٍ

---

(١) يشير بذلك إلى قوله تعالى ﴿وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب﴾

(٢) المرجم: الظن من غير دليل.

(٣) وهذا شاهد نحوي شهير.

(٤) يعني بعروة، عروة بن حزام بن مهاجر العذري، وهو شاعر من متيمي العرب، كان يحب ابنه عم له اسمها عفراء، ولما كبر خطبها عروة فطلبت أمها مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له باليمن وعاد فإذا هي قد زوجت بأموي من أهل الشام فلحق بها فأكرمه زوجها فأقام أياماً ثم ودعها وانصرف، فضنى حباً ومات قبل أن يرجع إلى حيه، نحو سنة ٣٠ هـ.

انظر مصارع العشاق ١٣٢، الشعر والشعراء ٢٣٧.

(٥) وغيلان هو غيلان بن عقبة العدوي المعروف بذي الرمة، وهو شاعر من الفحول في عصره، وكان يعشق مية المنقرية ويشبب بها حتى اشتهر أمرها، وله ديوان شعر طبع عدة مرات، توفي سنة ١١٧ هـ.

انظر الشعر والشعراء ٢٠٦، وخزانة الأدب ٥١/١.

(٦) الحادرة لقب لقطبة بن أوس بن محض الفزاري الغطفاني، ومعناه الضخم، وهو شاعر جاهلي مقل، كان حسان بن ثابت معجباً بقصيدته التي أولها: =

أضلّتْ هَدِيلا، وفارقتْ بعد المواصلةِ خليلا، وأنا أُهْدي لحضرته سلاماً كالرَّاح، تبعثُ مَيِّتَ الأرواح، يزيدها القِدَمُ طِيباً، ولا يُوجد صريحاً قطيباً[1]، والمحلَّاتُ وإن كانت مُتَقَاصِية، فإن الخلات كما يشهد وُدُّه مُتَناصية[2]، وها أنا مُذ سُيِّرتُ عن حضرته الجليلة، ما نسيتُ أياديه الجميلة، وهل ينسى المُدلجُ قَمَرَ ليلِه، وساكنُ اليَمَنِ مَطْلَعَ سُهَيْله، على أنَّني لم أزلْ بالشام أسوقُ من أَرْجه طيبَ بَشَام[3]، وهو بالفسطاط، والمنزل شَطَاط، شاكراً فضل أياديه، وشَرَف مجلسه ونَادِيه، وإن قلتُ إنّ أفواه الحمائم، أو بروق الغمائم، تقدِرُ أن تصفَ ما أُجِنُّه من الارتياح لقُربه، والانتظامَ إلى شِيعته وحِزْبه، فقد شهدتُ أنها أبلغ من سحبان، وأفصح من صعصعة بن صُوحان[4]، على أني أسأل وَهَّابَ الصُّوَر، وخَلَّاقَ القُوى والقُدَر، فياضَ المعارف، ذَرّافَ العوارف، أن يهبَ أقراباً[5] صافياً من الكَدَر، مُغْنياً عن وُرود المكاتبةِ والصَّدَر، وأنا أُجِلُّ سيدي

= بكرت سمية غدوة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يرجع

وهو يعد من شعراء الغزل المحبين، من أمثال قيس بن الملوح وذي الرمة وكثير وجميل، فقد كان شغفه بسمية كشغف هؤلاء بحبيباتهم.

انظر ديوان شعره تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد.

(١) الصريح: الصرف غير الممزوج بشيء، والقطيب: الممزوج، والمعنى أنه ثابت قوي، لا يكون صريحاً مرة وقطيباً أخرى.

(٢) المتناصية: المتصلة، يقال: هبت الريح فتناصت الأغصان أي اتصلت وتضامت.

(٣) البشام: شجر طيب الرائحة والطعم، يستاك به، وهو صغير الورق لا ثمر له إذا قطع ورقه أو غصنه سال منه لبن أبيض.

(٤) العبدي، من سادات عبد القيس، من أهل الكوفة، كان خطيباً بليغاً عاقلاً، وله شعر أيضاً، شهد موقعة صفين مع علي، وله مع معاوية مواقف، قال الشعبي: كنت أتعلم منه الخطابة، توفي سنة ٦٠ هـ.

انظر الإصابة الترجمة ٤١٢٥.

(٥) الأقراب جمع قرب وهو الدنو، أو القرابة، يقال: بيني وبينه قرب.

الشيخَ إجلالَ الأمَةَ بُنيَّها، والأم الشفيقة صبيَّها، وفي القلب إلّا أن تدنو الديارُ أُوَار، ولكلٍّ سائلةٍ كما يعلمُ الله قَرَارُ.

تقريظ قصيدة للعلموي

ومما قلته متلفِّظاً، وكتبتُ به مُقَرِّظاً، لقصيدةِ الفاضل الأديب، الكامل الأريب، جمال الأدب وطراز حُلَّته، والراقي من هضابه أعالي ذروته، من كادت قَوَافِي الشعر تُثني عليه بألسنة الرَّوِي، جمال الدين يوسف العَلْمَوي[1]، وقد امتدح بها قاضي قضاة دمشق الشام، مصطفى أفندي الشهير والده بأحمد القاف بين الأنام، المتخلِّصُ يومئذ بفيضِ الله[2]، دامت عليه نعم الإله، وذلك عند قدومه أواسط ذي الحجة الحرام، عام تسع وتسعين وتسعمائة قولي:

سمةُ رياضٍ أطلعتْ أَنْجُم الزَّهْرِ ... تلوح على الأَغصان كالأَنْجُم الزُّهْرِ
أقامتْ نعام الأفقْ فيه رَوَائِماً ... وقدعطفتْ فيه الزَّبَانِيعلى الغُفْرِ[3]
أَمِ الحُورُ قُلِّدْنَ النُّحورَ بمثل ما ... حَوَتْه الثغورُ اللُّعْسُ من وَاضِحِ الدُّرِّ

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) هو فيض الله بن أحمد، المعروف بابن القاف، أحد فضلاء مشاهير الروم، ولد سنة ٩٥٠ هـ، وتولى في ابتداء أمره قضاء حلب، ثم قضاء الشام سنة ٩٩٩؛ ثم عزل عنها، وتولى قضاء الغلطة، ولم يزل يترقى حتى تولى قضاء العسكر، وله شعر وأدب.

توفي سنة ١٠٢٠ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٣/٢٨٨، نفحة الريحانة ٣/٩٣.

(٣) النعام أو النعائم، منزلة من منازل القمر، صورتها كالنعامة، والزباني: الإناث تدفع أبناءها عند الرضاعة بأرجلها، والغفر: ثلاثة أنجم صغار، من منازل القمر.

تَبَسَّمْنَ عن مثل الأقاحِي كأنّما ... سَقَتْه النُّعَامى من سحائبها الغُرِّ[1]
يجولُ بـه مـاءُ الحيـاة وإنمـا ... يُسَمِّيه ظَلْماً[2] ظالمٌ وهو لا يدري
أم اللؤلؤُ الرَّطْبُ البديعُ نظامُه ... من الغِيدِ ما بين الترائب والنَّحْرِ
فَوَحَّدْنَـهُ عقـداً فريـداً كأنّـه ... نظامُ عقودِ العَلْمويِّ أخِي البِشْرِ
وأعـني عُقُوداً زان سِلكَ نظامِها ... مدائحُ فيضِ اللهِ عَلاَّمة العَصْرِ
مؤيِّـدُ شَرْعَ اللهِ ناصرُ دِينـه ... بسُمْرِ يَرَاعٍ دُونها عاملُ السُّمْرِ
إمـامٌ لـه سِرُّ البلاغـة مثل ما ... إليه انتهى عِلْمُ الشريعة بالحَصْرِ
همامٌ جليـلٌ من مَبـادِي عُلُومِه ... علومُ المَبَادِي الخاليات عن الفكرِ
قضى في دمشق الشام بالحقِّ فاغتـدتْ ... على سُنن الشيخين أحكامُه تجرِي
وأحيا بدَرْسِ العِلْمِ دَارِسَ رسْمها ... فأصبحَ مَعْمُور الجوانب بالذكرِ
وشاع لـه عـددٌ به ملأَ المَلاَ ... فنُجْبُ الفلا في الخافقين به تَسْري
فسلْ حَلَبَ الشهباءَ عن عَدْلِهِ بها ... وعن لُطْفِ ما أوْلَى بنيها من البِرِّ
فكم عَمَّ منـهُ فيضُ جُودٍ لها ... وخَصَّ لَعَمْري أهلها بالندي الغَمرِ
مرقاه على الفِرْدَوْسِ بابُ جنانها ... وناح لغير الحُزْن من دَوْحها القُمْري
ومـذْ سار عنها نحو حِلَّقَ أصبحتْ ... كأفْـقِ سماءٍ غاب عنه سَنَا البدرِ
وحـلَّ دمشقَ الشام رُكنَ هدايةٍ ... يؤيـدُ أحكـام الشرائـع بالنَّصْرِ
فقـام خطيبُ الدّوح فيها مغرِّداً ... على مِنبر الأغصانِ بالحمد والشكرِ
تجاوبـه وُرْقُ الحمامِ سَواجعـاً ... لـدى روضةٍ غناءَ طيبةَ النَّشْرِ
تدفَّـقَ فيهـا كاللُّجَـين جـداولٌ ... جَرَت فوق حصباء الحُماقِ من التِّبْرِ

---

(١) النعامى: ريح الجنوب، وهي في جزيرة العرب أندى الرياح وأطيبها.
(٢) الظلم بفتح الظاء: ماء الأسنان وبريقها.

يَصِلُّ حصاها تحت كوثر مائِها ضليلَ حُلِيِّ الغانياتِ على الصَّدْرِ
وأطربَ في الخَلْخَالِ ساقٌ وألبَسَتْ أسَاوِرَها ريحُ الصَّبا مِعصَمَ النَّهْرِ
فما إرَمٌ ذاتُ العِماد سَمَت على الـ ـبِلاَدِ سِوى مَغْنَى دِمشْقٍ بلا نُكْرِ
فخُذْ من فَتًى وَصَّافِ بعضَ صفاتِها وإنْ هِيَ جلَّتْ في الإحاطة عن حَصْر
هو العَالِمُ الفَرْد الذي سار ذكرُه مسير الرِّيَاح الهُوج في البَرِّ والبَحْرِ
تردى رداء الفضل بُرْدًا غدَا به يُجرِّر أذيالَ الفخارِ على الفَخْرِ
له النَّسَب الوَضَّاحُ والحَسَبُ الذي أنافَ على هَام السِّمَاكَيْن والنَّسْرِ
له المشربُ الأصْفَى له العِلْمُ والتُّقَى له المنطق الأحْلى يفوقُ على السِّحْرِ
لـه هِمَمٌ لا مُنتهى لكبارها وهمته الكبرى أجلُّ من الدَّهْرِ
له الخُلُقُ الأزكَى الّذِي ضاعَ عطْرُه وفاح بِقُطر الشام كالمَنْدَلِ الشّحْرِ
أقام على أبْوَابه الفَضلُ سَائِلاً معاملةَ الأقوامِ بالعَفْوِ والسُّرِّ
ولا زال محرُوس الجناب مؤيَّداً بسعدٍ له الإقبالُ منه مَدَى العُمْرِ
بقيتَ جمالَ العصرِ شاعِرَ عصرنا تديرُ على الأسماعِ راحاً من الشِّعْرِ
فهاك قريضاً طالَوِيًّا مُقرِّظاً مدائحِ فيض الله فيَّاضِها البحرِ
تساقَطُ في الأسماع لُؤْلُؤُ لفظِه تساقُطَ أنداءِ الغَمام على الزَّهْرِ

فقيهٌ له نَهْجُ البلاغة مذهبٌ وشيخٌ سلوك سَيْرُهُ في العوالِمِ
فمن فاضِلٍ فوق المجرة قَدْرُه وآخَرَ تحت العَرْشِ ماضي العزائمِ
ولاسِيَّما القُدْسِيّ أستاذُنا الذي لـه رُتْبَةٌ في العلم فوق النَّعائمِ
كذا شيخنا شيخ الطريقة والـ ـحقيقة منصورٌ على كلِّ ظالم
هُمُ أسْرَتي و« المرءُ مع من أحبَّ » في شريعتنا حكمٌ لأعدل حاكم
رعى اللهُ أياماً بظلِّ جنابهم خَلَتْ ثم مَرَّتْ مثل أحْلاَم نائمِ

وسَرَى إلى المِقْياسِ والنيلُ طافحٌ تصافِحُه كفَّ الرياح النَّواسِمِ
لدى الرَّوْضة الغَنّاءِ والسرحة التي رَقَتْ عَرْشَ ماءٍ مائج مُتَلاطم
بحيث ظلالُ الدَّوحِ فوقَ نَميرِه تُخَالُ على الكُثبانِ سُودَ أراقِم
سقاها وحيّاها الإله مَعَاهداً سَحابَ دُنُوِّ العَهْدِ من أُمِّ سَالِمِ
ولازال خفّاق النسيم مُبَلِّغاً سَلاَمِي عليها مثْلَ نَشْر اللَّطَائِمِ

وقلت صدر كتاب آخر:

على ساكني فُسْطاطِ مِصْرَ تحيةٌ من المُغْرِم المشتاقِ والوَالِه الصَّبِّ
أقامُوا وسِرنا والفؤادُ لديهم وما حالُ جِسْمٍ في الهوى سَارَ عن قَلْبِ

خبر الشيخ بهاء الدين القزويني وبعض أشعاره

ومن لطائف الأسمار وظرائف الأخبار، وما حدثني به - والحديث كما قيل شُجُون - بالبيت المقدَّس، والحرم الأقْدس، أيامَ زيارتي مَرَاقِدَ الأنبياء، وتعهدي معاهد الأصفياء، الشاب الفاضل زين الأفاضل رضيّ الدين بن الشيخ العلامة جمال الملة والدين يوسف الشهير نسبه الخطير بابن أبي اللُّطْفِ الشافعي[1]، أدام الله توفيقه، وجعل زاد التقوى رفيقه، أوانَ اجتيازي إلى الديار المصرية، وارتيادي رياض القاهرة المعزيّة، قال:

---

(١) محمد بن يوسف بن أبي اللطف المقدسي (رضي الدين)، أديب، مفسر، من مؤلفاته: حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، وشرح جواهر الذخائر في الكبائر والصغائر للغزي.
توفي سنة ١٠٢٨ هـ.
انظر خلاصة الأثر ٢٧٢/٤، شذرات الذهب ١٦١/٨.

ورد علينا من مِصْر رجلٌ من مهابته محترم، فنزل من بيت المقدس ببناء الحرم، فناء المسجد الأقصى، ولم يُسند أحدٌ مدّة الإقامة إليه نقصاً، فألقى في روعي أنه من كبار العلماء الأعاظم، وأجِلَّةَ أفاضل الأعاجم، فما زلتُ لخاطِره أتقرَّبُ، ولما يرتضيه أتحبَّب، حتى أَنِس بي واطمأنّ إليّ، وظهر من حاله لديّ، فإذا هو ممن يُرحل إليه للأخذ منه، وتُشَدُّ له الرحال للرواية عنه، يسمى بالشيخ بهاء الدين الحارثي القزويني فسألتُه عند ذلك القراءة في بعض العلوم، فقال: بشرط أن يكون ذلك مكتوم، فأجبتُه لسؤاله، وقرأت عليه شيئاً من العلوم الرياضية كالهيئة والهندسة، ثم سار إلى الشام نحو أراضيها المقدسة، قاصداً بلاد العجم، وقد خَفِي عنّي أمرُه واستعجم، هذا ما حدثتُ عنه بحرم القدس الشريف، ومهبط الوحي المنيف، ولما جثمت بفسطاط مصر، وأنخت بها المطيّ ملقياً عنها أثقال الإصر، سألتُ عنه بعض فضلائها فأخبرني عن بعض أخباره حسبما شاهد منه، ورآها عنه، من أنه كان يجتمع مدة إقامته بالأستاذ الأعظم، والمقتدى المعظَّم الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي، قدّس اللهُ رُوحَه، وأجزل من نُزُلِه فُتوحَه، وامتدحه بقصيدةٍ بديعةِ المباني، كاملة الأوزان والمعاني، وَقَعتْ من الأستاذ إبن أبي الحسن، ذلك الموقع الحسن، ثم إني لما رجعتُ إلى دمشق الشام، سألتُ عن أخباره مِمّن له بها إلمام، فأخبرني عنه أنه أقام بدمشق ليال دون الثلاث، فاجتمع به ليلة ودارت بينهما نفائسُ الأبحاث، صحبة مولانا الحافظ الحسين الكربلائي القزويني أو التبريزي نزيل دمشق صاحب كتاب الروضات الذي صنفه في مزارات تِبريز، لما كان بينهما من المؤاخاة في تلك الديار.

ثم أن ذلك الفاضل استنشده شيئاً من مقاطيعه وأشعاره، واستعلمه

عن اسمِهِ وكُنْيتِه ومالَقِيَه في أسْفاره، فذكرَ له أنّ نسبتَه إلى حارث هَمْدان قبيلةً، وأن جَدَّهُ هو الذي خاطبه أمير المؤمنين بقوله: يا حار همدان، وسرد عليه من بعض أخباره.

وهذه صُورةُ ما أملانيه حيث قال:

ورد سنة ٩٩٦ قافلاً من مصر الشيخ الفاضل الأفضل، العارف الأكمل، الحَبْرُ النِّحريرُ، ذو الفَضْل الغزير، والعِلم الكثير، الجامعُ لأشْتات العلوم، المُطَّلع على ما تضمَّنَته من منطوقٍ ومفهوم، سيدنا الشيخ بهاء الدين شمس الدين من الشامي أصلاً الخراساني مولداً، رحل والده الحسين بن عبد الصمد إلى عراق العجم، ثم إلى خراسان وصار بها شيخ الإسلام، ومقتدى الأنام، ونشأ ولدُه هذا فاضلاً كاملاً، نبيلاً جليلاً، بالغاً في الفضل الغايةَ القُصْوى، وفي الذكاء النهاية التي لا تُسْتَقْصى، ورحل إلى الأقطار، وتفنّن في تنقيحَ الأنظار، وحجّ البيت الحرام وأتى القدس الشريف وزار معاهده، وورد موارده، واجتاز بدمشق ولم يقم بها إلا بمقدار أن قيل له: أهلاً وسهلاً، ومرّ قاصداً عراق العجم مُرْتَبَعَ شَبابه، ومنتجعَ أخْوانه وأترابه، وهو الآن مقيمٌ بقزوين عند ملك العَجَمِ عَبّاس، وله بها الكلمة النافذة في الناس، والحَظْوَةُ التامة، والاعتبارُ الكلّي عند الخاصّة والعامة، كما أخبر به القادمون من تلك الدِّيار، وتواترتْ بذلك الأخبار، وله التصانيف الرائقةُ الحسنة، والتحريراتُ المتقنة المستحسنة، سِيَّما في العلوم الرياضية، التي هي عند العقلاء راضية مرضيّة، سُئل عن معنى كونه حارثيًّا، فقال: نسبه إلى حارث همدان قبيلة معروفة، وحارث هذا هو الذي كان موالياً أمير المؤمنين عليًّا كرَّم الله وجهه، وخاطبه بقوله: يا حارِ ويا حارثُ، تارة بالترخيم، وأخرى بالتفخيم، وقِصَّتُه على التفصيل مذكورة في كتاب

الأمالي لإبن بَابَوَيْه[1]، فمن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع ذلك الكتاب، والله أعلم بالصواب.

فمن شعره الرائق الحسن الرقيق، النائب مَناب سُلاَفة الرَّحيق، قوله متغزلاً ولمعانيه مُجْزِلاً:

يـــا نديمي بُهْجَتِي أفديـــك ... قُمْ وهات الكُئُوس من هَاتيكْ
خمرةً إن ضللـــتَ ساحتهـــا ... فسنا نورٍ كاسهـــا يهديـــكْ
يـــا كلـــيمَ الفؤاد دَاوِ بهـــا ... قَلْبَـــكَ المُبْتَلَي لكي تشفـيكْ
هي نـــارُ الكلـــيمِ فاجتلهـــا ... واخلَعْ النعلَ واترُكِ التشكيكْ
صـاح ناهيـك بالمُـدَامِ فَدُم ... في احتساهـا مخالفـاً ناهيـكْ
لـتُ أنساه إذْ أتـــى سَحَراً ... وحْـدَه وَحْـدَه بغـير شريـكْ
طرقَ البـــابَ خائفـــاً وَجِـلاً ... قلـتُ من؟ قال: كلّ ما يرضيكْ
قلـتُ: صَرِّح، فقال: تجهلُ مَنْ ... سيـــفُ ألحاظـــه تحكَّم فيـكْ
قـال لي مـا تريـدُ قلـتُ لـه ... يا مُنَى القلب قبلةً من فِيكْ
قـال خُذْهـا فمـذ ظفرتَ بهـا ... قلـتُ: زدني فقـال: لا وابيـكْ
ثم وَسَّدْتُـــــه اليمـــــينَ إلى ... أن دَنـا الصُّبْحُ قال لي يكفيكْ

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبو جعفر، المعروف بالصدوق، مفسر، فقيه شيعي، أصولي، محدث، عارف بالرجال، من أهل خراسان، ورد بغداد وتوفي بالري عام ٣٨١ هـ.

من تصانيفه: الأمالي الذي ذكره المصنف، وهو مطبوع باسم أمالي الصدوق، والجمعة والجماعة، والمواعظ والحكم، ومن لا يحضره الفقيه، وغير ذلك من الكتب التي يقال إنها بلغت ثلثمائة كتاب.

انظر: معجم المؤلفين لكحالة ٣/١١ وفهرس المخطوطات المصورة ٣٣٧/١.

قلتُ مهلاً فقال قمْ فلقد فاحَ نَشْرُ الصَّبا وصاح الدِّيكْ

والقصيدةُ التي امتدح بها حضرة الأستاذ الشيخ محمد البكريَّ روّح اللهُ روحه في الجنان، وسقي ضريحه شآبيب الغُفران، وأنشدها له بمصر قوله: يا مصر سقياً لك من جَنّة، فلما تَمّ إنشادُها سأله من مَحْتِدِه، فقال: قزوين، قال له: عَرَبيّتك عزيزة، أو كما قال، يريد أنك عربيُّ الأصل، كذا أخبرني عنه بعض تلامذته من فضلاء العجم بدمشق الشام، وهو قافل من الحجاز أواخر صفر المظفر سنة خمس بعد الآلف، وذكر لي أن مطلع هذه القصيدة كان هكذا وأنشده:

سقيا لكَارِزْكَاه من جنة

وهو مكان منتزه بقزوين، فحُوِّل إلى مصر، فقال منشداً:

يا مصرُ سُقياً لك من جَنَّةٍ قطوفُها يانعةٌ دانيهْ
ترابُها كالتِّبرِ في لُطْفِهِ وماؤُها كالفِضة الصَّافيةْ
قد أخجل المسكَ نسيمٌ لها وزهرُها قد أرخص الغَالِيهْ
دقيقةٌ أصناف أوصافها ومَالَها في حُسْنِها ثَانِيهْ
منذ أنختُ الرَّكْبَ في أرضها أُنْسِيتُ أصحابي وأحبابَيهْ
فيا حماها اللهُ من روضةٍ بهجتُها كافيةٌ شافيهْ
فيها شِفَا القَلْبِ وأطيارُها بنغمةِ القانون كالزَّارِيهْ
تركتُ مُذْ حلَّ ركابي بها الحساب والهيئةَ من ناحِيهْ
والطبَّ والمنطقَ من جانبٍ والنحوَ والتفسيرَ من زاويهْ
كذا معانٍ وبيانٍ لهُ أسهرتْ عيني بُرْهة وافِيهْ
وحكمةً ثم كلاماً به فُقتُ أهل الأعصر الماضيهْ

فـذا زمـانٌ ليس يُرْجى به ... لصاحِب الفضل سوى بَارِيَه[1]
من شاءَ أن يَحْيَا سعيداً به ... منعَّماً في عيشةٍ راضيـــــــهْ
فليـــدع العـــلمَ وأصحابَـــهُ ... وليجعـل الجهـلَ لـه غاشِيـهْ
وليـــترك الـــدرسَ وتدريسَه ... والمتْنَ والشرحَ مـع الحاشيـهْ
إلى مَ يـا دَهْرُ وحتَّـى متى ... تُشْقـي بأيامِـــك أيَّامِيَـــه
تُحقّـــقُ الآمـــالَ مستعطفـاً ... وترفـــعُ النقـــصَ بآماليَـــه
وهكـــذا تفعـلُ في كـلِّ ذي ... فضيلـــةٍ أو هِمَّـــةٍ عَالِيـــه
فـــإن تكنْ تحسَبُـــني منهُم ... فهي لَعَمْري ظنَّـــةٌ واهيـــه
دعْ عنـك تعذيـبي وإلا فأشـ ... ـكُوكَ لـدي ذي الحَضْرة العاليه
سيدُنـا الأستـاذُ كهفُ الورى ... منقذُهُمُ من دَرَكِ الهاويَـــــه
ومرشدُ الخلقِ إلى الحقِّ ذي الـ ... مناقـــبِ الطّاهِرَةِ الساميَـــه
وسَرَتْ مـع الركبـانِ في مشرق ... ومَغرب أكرمْ بهـــا سَارِيَـــه
إن كنـتَ تبغي أن ترى جنة الـ ... ـفِردَوْسِ فاحْضَرْ سَاعَةً ناديَهْ
والثُم ثَرَى أعتابِـــه خاضعـاً ... وعَفِّر الخَـــدَّ مـع النّاصِيَـــه
وشنِّـــف الآذانِ بألفاظِـــهِ ... إن كنـــتَ ممن أُذْنُـــهِ واعِيَـــه
لتشهـــد الفَيـــضَ اللدني والـ ... أسْرَار مستكشِفَـــةً بادِيَـــه
يـا سيِّدي إنِّي أمرؤٌ لم أزلْ ... إلى العُـــلا ذا قَـدَمٍ سَارِيَـه
قـد طفتُ في الأرضِ بأكنافها ... من حَضَرٍ فيهـــا ومن بَادِيَـــه
وأبصرتْ عينـاي كـلَّ امرئ ... في فَنِّـــه ذا قـــدم رَاسِيَـــه
وكـــلَّ طودٍ شامـــخ يُهتـــدى ... بنوره في الظُّلمـــة الدَّاجيـــه

---

(١) البارية: الحصير.

حتى توصلتُ إلى خدمة الـ أستاذِ مِن مَمْلكة نائِيَه
أطْوِي الفَيَافِي قاصداً نحوه مُيَمِّماً سُدَّتَهُ العالِيَه
فاستحقَرَتْ عيناي من كنتُ قَد أبصرتُه في الأعْصُر المَاضِيَه
من أبْصر البحرَ فمِنْ شأنه أن يستقلَّ النهر والسَّاقِيه
مولاي عُذْراً إنَّ فكريَ غَدَا مشتَّتاً من سُوءِ أحوالِيَه
صفاتكُمُ أعْلى مثالاً من أنْ تَخْطُرَ مولاي على بَالِيه
وهذه الأبياتُ كاللّغْوِ والـ أستاذُ لا يستمع اللاَّغِيَه
خَلَتْ من المَعْنَى فكُنْ قَانِعاً مولاي بالوَزْنِ مع القافية
لازال حُسَّادُك في ذِلَّةٍ ومُقْلَةٍ دَامِعَة دَامِيَه
ولا بَرِحْتَ الدَّهْرَ في عِزَّةٍ ونعمةٍ واسعةٍ ضَافِيَه

ومن الدُّوبيت قوله:

أهْوَى رَشَأً عَرَّضَني للبَلْوى ما عَنْه لِقَلْبِيَ المُعَنَّى سَلْوَى
كم جئتُ لأشتكي فمذْ أبْصَرَنِي من لَذَّةِ قُرْبِه نسيتُ الشكْوَى

قلت: وهذا المعنى مُعَرَّب عن الفارسية، وكذا نقل عنه، وله في المعنى من ذلك:

يا غَايب عن عِيني لا عَنْ بالي القُرْبُ إليكَ مُنْتَهى آمالي
أيامُ نَواك لا تَسلْ كيف مَضَتْ واللهِ مضتْ بأسوأ الأحْوالِ

وله غير ذلك من الأشعار الرائقة، والمُرَبَّعات الفائقة، فلنَكْتَفِ بهذا القدر منها إذ ليس الرِّي عن النُّشَاف[1].

---

(١) النشافة: الرغوة تعلو اللبن، جمعها نشاف.

تهنئة إبن بستان بمنصب الفتوى

ومما كتبتُ به في أوائل ربيع الآخر سنة ألف، زمان وصولي، وأوان حصولي، بدار السلطنة السنية، قُسْطنطينية المحميّة، خَلد اللهُ مُلْكَ مالكها ظِل الله في العالم، صَفْوَةُ اللهِ ومُرَادُه من بني آدم، لجناب المولى الأعظم، والأستاذ الأكرم، المؤيد باللُّطْف من الملك المنان، محمد أفندي إبن المولى بُسْتان، وقد تشرَّف منصب الفتوى بتقْليده، لازالت الأحكام الشرعية مؤيدة بتأييده، هذه القصيدة الفريدة، وإن اشتركتْ مع غيرها في حُسْن الديباجة، فلأمرٍ دَعَتْ إليه الحاجة، قولي:

ولما أرتْنا العِيسُ غَزَّةَ هاشمٍ ... عِيَاناً أنَخْناها بتلك المَعَالِمِ
رواجعُ عن مصرٍ نوازعُ للحِمَى ... حِمَى الشام تُهْدَى بالبروق البواسِمِ
وقدهجرتْ فسطاط مصروأعرضتْ ... بجانبها عن نيلِهِ المتلاطمِ
وفارقت المقياسَ والنيلُ طافحٌ ... تصافحه كفُّ الرياحِ النواسمِ
وروضتُهُ الغناءُ طاب مقيلُها ... تغرِّد فيها سَاجعات الحمائمِ
وسارتْ عن الأهرام أرفعُ بنية ... تخبِّرنا عن عصرها المتقادمِ
وصَدّتْ عن النيل الغزاة صواديا ... تؤمُّ مياه الشّام مِيل الجماجمِ
تُجاري نعام الدَّوْ طوراً وتارةً ... تُباري بأعلى الجَوِّ سَيْر النَّعائِمِ
وما ذاك إلاّ إنّها قد تذكرتْ ... مراتعهَا بين الغُوَير فجاسمِ
ومنبجساً في ظل أحْوى كأنَّه ... وقد نسجتْه الراحُ وَشْيُ أراقمِ
على أن بالفُسطاط أبقت معاهداً ... تحنُّ لذكراها حنينَ الروائمِ
سَقَاها وحَيّاها إلالهُ معاهداً ... سَحَاب دُنُوّ العهدِ من أمِّ سَالِمِ
أضاء لها البرقُ الشآميُّ مَرَّةً ... فأثّر في أخفافها والنَّواسِمِ

حننتُ وحَنَّت إذ أضاء وإنّما حنينيَ لو تدري لِبَرْقِ المباسِمِ
وأعدي حِصاني قطعه البيد فانبرى يجوبُ الفَلاَ جَوْب النَّياقِ الرواسمِ
فودَّع رَبْع العادلية سائراً ولم يُثنه عن سَيرِه لومُ لائمِ
ووافَى رُبُوع الخانقاهِ عشيّةً ومر على بلبيس مَرّ النَّسائمِ
وأصبح خطاراً بخطَّارة المُنى وجازَ بها كالبَرْقِ لاحِ لشَائِمِ
وجاوز وِرْدَ الصَّالحية كالقَطَا لِقَطيّةٍ ليلاً قبل وِرْدِ الحَوَائمِ
ترفّع عن بئر الدويدار قَدْرُه وخلَّفها مطروقَةً للسَّوائمِ
وأهوى لبئر العَبْد كالنجم غائراً لأمِّ الحَسَا والليلُ وَحْفُ القوادم
وغيّبه عن حِسِّهِ هولُ صعقةٍ تخرُّ لها كُومُ المطيِّ الرَّوازِمِ
وآنَسَهُ في خان يونس نفحةٌ سَرَتْ من رياض الشام غِبَّ السَوَاجِمِ
سرتْ منه مَسْرى الرّوحِ في الجسم فانبرتْ
تُباري الصَّبَا من بعد ضعفِ القوائمِ
وحلَّ رياضَ الشَّامِ مُخْضَلَّة الرُّبَا سَقَتْها الغَوادي المُزْنُ صَوْبَ الغمائمِ
أبِحتُ له فيها الإقامة بعدما وصفتُ له بالرُّومِ رَوْضَ المكارمِ
فحرَّمها واجتازَ يلتهمُ المَدَى إلى الرُّومِ لا يَلْوي لِلَوْمِ اللَّوائمِ
له من هلال الأُفق نعلٌ مُفَضَّضٌ ومِن ذهب الآصال حُلَّة رَاقمِ
ومن أنجم الجَوْزَا عليه قلائدٌ ونَجْم الثُّرَيَّا فيه عِقْدُ تَمائِمِ
ومازال مثل البدر يطوي منازلاً إلى الرُّومِ حتى خِلتُهُ غيرَ راجمِ
ولما دنا من روضةِ الفضل رَاعَهُ على سنا إشراقةٍ في العوالمِ
فأحجمَ عنها هَيْبةً ثم قَادَهُ رَجَاءُ عَفْوِ مَوْلًى للمساكين رَاحِمِ
صفوحٍ عن الجاني وقد جاء تائباً عَطُوفٍ على إحْسانه غير نَادِمِ
وأهْوَى بأجفان الجُفُون مُقَبِّلا ثَرَى رَوْضِ علمٍ من يدِ الفضلِ باسمِ

وأعْنِي به رَوْض إبن بُسْتانِ مَلْجأ الـ ـعُفَاةِ إمَامِ العصرِ مولى الأعاظِمِ
مُؤَيِّدِ شَرْعِ اللهِ ناصرِ دينهِ بِسَمٍّ يَراعٍ مِثلِ بيضِ الصَّوَارِمِ
إمامُ الهُدَى بَحرُ النَّدى قامعُ العِدَا مُفيضُ الجَدَا في الوقتِ ماضِي العزائم
مُرْسِي طودَ عِلْمٍ شامخ القدرِ رُكْنَهُ لنا من صُروف الدهر أمنعُ عَاصِمِ
أقام بناء الشَّرْعِ بعد انهدَامِهِ فكانتْ لـه أقلامُهُ كالدَّعَائِمِ
وقام بأمْرِ الشَّرْعِ يَنْشُرُ في الورى شريعةَ خير الخلق مفخرَ هاشِمِ
فَتَاوَى سَرَتْ في الخافقين مع الصَّبَا يحدِّثُ عنها راحلٌ إثْرَ قادِمِ
يقرُّ بها النعمانُ عيناً ولم يَزَلْ لَعَمْرِيَ إعجاباً بها مثلَ هَائِمِ
فيا أوْحَدِيَّ العَصْر يا أعْلَمَ الورى ويا ذا العطايا الجَمِّ ياذَا المَراحِمِ
تعطَّفْ على درويش بَابِكَ راحماً ولا تأخذنْه بالظنون الرَّوَاجِمِ
فما اجتابَ قُطْرَ الأرض إلا لنَشْرِه مَدِيحَك فيها مثلَ نشر اللَّطَائِمِ
بسيَّارة مثل النّجوم طوالع قوافٍ لَعَمْري افحمت كلَّ ناظِمِ
تساقَط في الأسْماع لُؤْلُؤ لَفْظِها تَسَاقُطَ طَلٍّ فوق زَهْرِ الكَمَائِمِ
ودُونَك من وصافِ مَدْحِك ما أتى به عَنْ إمامِ الوقت لا وَهْمُ وَاهِمِ
وقرَّ به عيناً وطِبْ فيه مُهْجَةً فقد عُقِدَ الإجماعُ من كلِّ عالِمِ
بأنّكَ من يأتي على الألفِ قائماً يجدِّدُ هذا الدين يا خيرَ قائِمِ
بقيتَ بقاءَ الدَّهْرِ في عَزِّ دَوْلةٍ لها شَرَفٌ فوق السُّهَا والنَّعَائِمِ
جَنَابُكَ محروسٌ وبابُك مَلْجَأٌ بسعدٍ وإقبالٍ مَدَى الدَّهْر دَائِمِ

قصيدته في مدح محمد المصاحب

ومن أملح الشعر وأبدعِه، وأعزِّه عند الأدباء وأرْفَعِه، ما نظمتُه

أيضاً بدار الخلافة، قُسْطَنْطِينِيَّةَ حُمِيتْ من كلِّ آفَة، لجنابِ منتجع الفضائل والفواضل، ومَرْجعِ أعْيان الأفاضل، صاحبِ الهمّة العليّة والرأي الصائب، حضرة محمد أغا المصاحب، وقد بَنَى بشاطىء البحر سبيلاً، وأجْرَى فيه ماءً سَلْسَبيلا، بمحلة طُوْبخَانه قُرْب منزلهِ الشَّريف، ومَحلِّه المُنيف، غُرّة رجب الفرد عام ألف قولي:

سَبيلُكَ في الدنيا سبيلٌ إلى الأخرى ... وما كلُّ من أجْرَى سَبيلا حَوَى أجْرا
ويَسَّرَهُ المولى لمثلـــك والـــذي ... يعامـلُ وجـهَ الله يُسِّر لليُسْرى
قصـدتُ به وجه المهيمنِ خالصاً ... ومن أخلص الأعمال كانتْ له البُشْرى
ولم ترضَ ماء الأرض وِرْداً لشاربٍ ... وهمتك العلياء تستنزلُ النَّسْرا[1]
فأجريـتَ من نهر المَجَرَّة جَدْوَلا ... غـدا سائـلاً ما ردَّ سائلَه نَهْرا
تودُّ النجومُ الزُّهْرُ في الليـل أنها ... تقابلُه فَخْراً ولا تدركُ الفَخْرَا
وتَهْوَى نعامُ الأفق وهي شواردٌ ... تَرَى حَوْضَه الصَّافِي ولو عَدِمَتْ بَحْرَا
كـذاك عُقَابُ الجَوِّ والنَّسْرُ واقعٌ ... على الحَوْضِ أن يجريَ به ذلك المَجْرَى
ومـا هو ماءٌ بل رحيقٌ خِتَامُهُ ... لشارِبيـــهِ مِسْكٌ يفوحُ لهم نَشْرَا
رجوتَ بـه من كوثر الماءِ شَرْبَةً ... يسقِيكَها من حَوْضه صاحِبُ الإسرا
سميُّـك خـيرُ الأنبيـاء محمـدٌ ... أبو القاسِمِ المحْمُودُ أعْلى الورى قَدْرَا
ذمامُـك منـه إذْ سَمَـاكَ محمـدٌ ... ومَنْ مثلُه أوفَى ذماماً ومن أحْرَى
سيسقيـك مختومَ الرحيق فتغتَدِي ... مع الملأ الأعْلَى ولا تنظر الحَشْرا
جزاءً بما أجريتَ في سُبُل الهُدى ... ومنـه سبيلُ الماء أجْرَيْته نَهْرا
يُرَوِّي عِطَاشاً في الهجير فتنثني ... ولا مُهْجَةٌ عطشى ولا كبدٌ حَرَّى

---

(١) النسر: مجموعة من النجوم معروفة بمشابهتها للنسر، في النصف الشمالي من القبة السماوية.

وصَوَّرتَـهُ في العقـل ثم وضَعْتَـهُ فجاء بحمد اللهِ قد طابق الفِكْرَا
بِنَـاءٌ رفيعُ القدر أعدلُ شاهدٍ عـلى أن بانيه له الآيةُ الكبرى
وساعدك المقـدارُ حيـث بنيتَه بعصرِ إمامٍ رأيُه صَرَفَ العَصْرا
سليـلُ السَّلاطين العظام أجَلُّ من على قَدَمِ الأقْدام قد وَطِىءَ الغَبْرا
مُرَادٌ مُراد الله صَفْوةُ خَلْقِـــهِ أدام لـه الإقبالَ والعِزَّ والنَّصْرا
هو المُصْدِرُ الأفعالِ في الخلق والـذي ينـازعُ فيما قلتُ قد جهل الأمـرا
هو القـائمُ الموعودُ بالنصر والهُدى ولكنْ عيونُ القوم عن دَرْكِهِ حَسْرى
ولولا حجـابُ القوم قلتُ لصاحبي ولكنّـه لن يستطيعَ مَعِي صَبْرا
١ من عـاش لا يَدْري إمامَ زمانهِ وماتَ فَفِي الدُّنيا لقد خَسِرَ الأخرى
سَوّاك فأنت الصاحبُ المجتبى الذي بِهِ رُفِعَتْ في الخافِقَيْن لك الذكْرى
وكنـتَ لهـذا الملك سَلْمانُ بَيتِهِ وصاحبُـه لا شكَّ في كونه أدْرَى
ولا زال فيَّاضاً ولا زلتَ قائلا إذا ما اغْتَدى شمساً يلوحُ به بَدْراً
فيـا أيها البَانِي سَبَيلاً إلى العُلاَ لَهُ الخَبَرُ المرفوعَ بين الورى طُرًّا
رُوِينـا حديث الماء فيه مُسَلْسَلا عن مَعِـينٍ صَحَّ من طُرُق أخْرَى
وأسنـــده لابن الفراتِ بَنَانُـهُ عن القَطْرِ عن كفٍّ له تخْجِلُ القَطْرا
أبحتَ بـه عَيْنَ الحيـاةِ لشاربٍ فما عُذْرُ من يلقاك ألاَ يَرَى الخِضْرَا(١)
وفي كَوْنـه في سِيفِ بحرٍ إشارةٌ إلى مجمع البَحْرين يُمناك واليُسْرا
وثقتُ وأرْسَيْتُ فُلْكَ مطالبي بـه أنَّهـا وقـد أشْحِنَتْ تِبْرا
وعَـامَ بـه غَوّاصُ فِكْرَتِيَ التي متى شِئتُ نَظْمَ الشِّعْر تنتظِمُ الشِّعْرى

---

(١) يشير بذلك إلى ما يقال من أن الخضر عليه السلام قد شرب من عين الحياة ومنح بذلك الخلود.

فجاء بعقد الشعرِ فيك مُنَضَّداً فَخُذْه وقلِّدْه الترائبَ والنَّحْرَا
نظامـــاً بديعـــاً طَالوِيَّـــا نِجَـــارُه
بمدْحِك أضحى يُخجل الزَّهْرَ والزُّهْرا
من الشام وافى بحر جُودِك قاصداً وقد جاء في شِعْرٍ ومن قَصَدَ البَحْرا[1]
بقيتَ لهذا المُلْكِ سيفاً مُهَنَّدا يبيحُ به ثغراً ويحمي به ثَغْرَا
بحُرْمَـــةِ خـير الأنبيـاء محمـد سَمِيِّك من نال الزَّمانُ به فَخْرَا
وقَصَّرَ عن علياك كلُّ مماثلٍ وطوّل ربُّ العالمين لَكَ العُمْرَا

تهنئة لابن روح اللهِ بتولي قضاء العساكر

ومما كتبتُ أيضاً بقسطنيطينية دارِ العدل والأمان، حماها الله من طوارِق الحدثان، إلى الجناب المولى الأفضل صدر العُلماء العظام، وذُخْر الفضلاء الفِخام، المحفوف بعون عناية الملك الباري، مولانا أحمد بن روحِ الله الأنصاري، وقد ولى قضاء العساكر المنصورة، بولاية روم أيلي الآهلة المعمورة، وذلك أوائل شهر شوال عام ألف قولي:

عروسُ الرياض بدتْ تَنْجلي بزَهْر الـــلآلي وزَهْرِ الحُلِي
كَسَاهَـــا الحَيَـا وَشْيَ ديباجـة وكلَّـلَ هـامَ رُبَاهـــا الوَلِي
والبس أعْطافَهـــا حُلَّـــةً مُطَرَّزةً بيدِ الشَّمْأَلِ
تُضَاحِـــكُ نَوّارهـــا إذ بكـى بها المُزْنُ عن طرْفِه المُسْبِلِ

---

(١) يشير بذلك إلى بيت المتنبي:
قواصـــد كافور توارك غـــيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
والشطر الثاني مثل سيار.

وشَقّ بهـــا الزَّهْر أكمامَـــهُ وقـــد هَاجَـــه نَغْمَـــةُ البُلْبُـــلِ
فمن نَرْجَسٍ ناضرٍ ناظرٍ إلى وَجْنَـــــةِ الورد كالمُجْتَلِي
وجيـــدِ عُرارٍ لـــه لَفْتَـــةٌ إلى لَحْـظ جَوْذَانِهـا الأشهَـلِ
وثغرِ أقـــاحٍ غـــدا باسِماً لِخَـــدِّ الشقيـــقِ بحُسْنِ مَلِي
بهـــا النَّهْرُ كافورُ أمْواهِـــهِ جَرَتْ فوق أرضٍ من الصَّنْدَلِ
كـــأنّ حَصَاهـــا ببطْحَائهـــا لآلٍ نُثِرْنَ عـــلى جَـــدْوَلِ
وحـــاك النسيمُ لـــه لأُمـــةً مضاعفـــةَ السَّرْدِ لم تَخزَلِ(١)
يَمُرُّ الصَّبَـــا بـــين أغْصَانِهـــا فتحمـــلُ عنهـــا شَذَا المَنْـــدَلِ
وبـــاتَ يُغَنِّي عـــلى عُودِهَـــا بشيرُ الهَزَارِ بَصَوْتٍ عَلِي
سُرُوراً بأحمدَ مَوْلىً وَلِي قضـــاءَ العساكر في رُومِ إيلِي
سَمِيَّ نـــبي الهُـــدى الأفضـــلِ شفيـــعِ الوَرَى أحمدَ المرسلِ
سُلاَلَـــة أنصـــاره من غـــدا لُحُلَّتِهـــــــا كالطِّرازِ الجَلِي
كريمُ السَّجَايَـــا لـــهُ هِمَّـــةٌ لَدَيْهـــــا القناطرُ كالخَرْدَلِ
وَهُوبُ العَطايـــا، لـــه سِيمَـــةٌ زكـــتْ مثـــلُ صَفْو من السَّلْسَلِ
لـــه راحـــةٌ مـــا لهـــا راحَـــةٌ سوى في عَطـــــاءٍ ولم تُسْأَلِ
إمـــامٌ هُمَـــامٌ تردَّى الحِجَـــا ولاَثَ التُّقى وهو أبْهَى حُلِي
لـــه هَضْبَـــةُ العِلْم لو وَازَنَـــتْ برضْوَى لخـــفَّ ولم يَثْقُـــلِ
يبيـــتُ بـــه الحـــلم مستعصماً إذا طـــاشَ يومـــاً ذُرَى يَذْبُلِ
لـه المنطقُ العَذْبُ يَرَوي لنـا بلاغَتَـــه السِّحْرُ عن بَابـــلِ
فـــكَمْ قـــد جَلَـــتْ غُرَّ ألفاظِـه دَقَائِـــقُ للفكر لم تَنْجَـــلِ

---

(١) تخزل: تقطع.

وأوضح بالكشف عن غَامِضٍ وجَلَّ عن المبحث المُشْكِلِ
مباحثُهُ الزُّهْرُ سَيَّارَةٌ طوالعٌ في الدَّهْر لم تَأْفَلِ
فنَجْمُ القَريض هَوَى للحضيـ ـيض بها وهي في الأوْج ما تَأْتلي
أمولايَ يا مَنْ لأعتابه غَدَتْ نسبتي وهو أمْرٌ مَلِي
نوالُك كالغَيْثِ عَمَّ الوَرَى وأرْبَى على الهَيْدَب الأهْطَلِ
ولم يَبْقَ بالباب من سَائِلٍ سِوَى دَمْعِ دَرْويشِك السَّائِلِ
وجُدْ بِتَرقٍّ له فَاصِلٍ كَعَزْمِك أو حُكْمِكَ الفاصلِ
فكم وعدِ صِدْقٍ له قَدْ وَعَدْ تَ فعجِّلْ بإنجازه عَجِّلِ
ودُمْ عَالِي القَدْر في مَنْصِبٍ وأعْداك بالعَزْل في أسْفَلِ

ومما كتبه إلى المولى سعد الدين

ومن ذلك ما كتبتُ به أيضاً وأنا بالروم إلى جناب الحضرة السَّامية، والدَّوْحَةِ المنيفة العالية، سَعْد الملة والدنيا والدين، مَلْقَن ظِلِّ اللهِ في العالمين، أسْبَغَ اللهَ ظِلاَلَهُ، وضاعَف اقْتِدَاره وجَلاَلَه، غُرَّةَ ذي القعدة عام ألف، قولي:

بين سِقْطِ اللِّوَى ومَعْطَفِ بانةِ وأُثَيْلاَتِ[1] مُلْتَقَى كُثْبَانِهِ
ظبياتُ غيد الطِّلاَ قاصرات الطَّرْ فِ ترنُو بأوْطَفِ وَسْنَانِهْ
ناظراتٌ عن نَرْجَسِ الرَّوْضِ غضٍّ باسماتُ الثغور عن أُقْحُوَانِه
مُشْرِقَاتُ الوُجُوه أقمارُ حُسْنٍ مُخْجِلاتٌ للبَدْرِ في عُنْفُوانِه

---

(١) الأثيلات تصغير الأثلات جمع أثلة وهي شجرة معمرة طويلة مستقيمة، جيدة الخشب.

كُـلُّ خمصانـة الوشاح ثَنَتْـهُ عِقْـدُ دُرٍّ مُفَصَّـلٍ بِجُمانِـه
وبأجيادهـا من اللؤلؤ الرَّطْـ ـبِ عقودٌ نُظِمْنَ في مَرْجَانِـه
قد كساها الشبابُ دِيَباجَ وَشْيٍ خِلْتُ وَرْدَ الخدود من أُرْجُوَانِه
فهي تهتزُّ فيـه حُسْنـاً وفي آ خر تحكي الرِّياضَ عن أَلْوَانِه
لي فيهنَّ مائسُ العِطْـف أَلْمَى ناعسُ الطرف نَـدَّ عن غُزْلانِـه
كالقضيـب الرَّطيبِ يَعْلُوهُ بَدْرٌ فوق دِعْـصٍ من الصِّبَـا رَيَّانِـه
يـرتـعي حَبَّـة الفؤادَ بَدِيـلاً عن بَرِيرِ الأَراكِ في أغْصَانِـه[1]
لا تَسُمْهُ سَرْحَ الرِّياضِ وذَرْهُ عن حِمَاهُ واسْتَكْفِ وَقْعَ سِنَانِه
وتجنَّبْ مراتعَ الظَّبْي واحْذَر لفتـةَ الرِّيم في مراتـع بَانِـه
لا تُعِرْ نظرة لساحِرِ طَرْفٍ قَـطُّ يومـاً واسألهُ حِفْظَ أمانِه
قـد رَمَانِي من بَيْنها ذلك الرِّيـ ـمُ بسحر اللِّحَاظ من أجْفَانِـه
ملك القَلْبِ فهو سُلْطَانُ حُسْنٍ كامـلٍ فيـه جـلَّ عن نُقْصَانِـه
فقلوبُ العُشَّاقِ بـين يَدَيْـهِ صِرْنَ مثل الكُرَاتِ في صَوْلَجانِه
لم يزلْ بي حـتى تملَّـك لُبِّي فجفـاني وَلَـجَّ في هِجْرَانِـه
أنـا والله هَالِـكٌ مِنْ جَفَـاهُ وَهْوَ لاَهٍ عَنِّي برفعـةِ شانِـه
والـذي حَفَّ يَانِعاً وَرْدَ خدَّيْـ ـهِ بآس العذار من رَيْحَانِـه
وأحـالَ الرُّضَـابَ راحـاً بثغرٍ رَصَّـع الـدُّرَّ منـه في عِقْيانِـه
لا أطعتُ الوشاةَ فيه ولو اسـ ـرَفَ في ظُلْمِـهِ وفي عُدْوانِـه

---

(١) الأراك: شجر المسواك وهو كثير الفروع لين العود متقابل الأوراك، وله ثمر أحمر داكن يؤكل يسمى البرير، والأراك ينبت في البلاد الحارة، ويوجد في صحراء مصر الجنوبية الشرقية.

غـير أنّي أشكُو جَفَـاهُ لمولىً ... هو قُطْبُ الزَّمان سَعْدُ زَمَانِه
الإمـام الجليـل غوثُ البَرَايا ... غَيْثُهـا المُرتَجَى نَـدَى إحْسَانِه
ناصرُ الحـقِّ والشريعـةِ والـدِّ ... ين بغَرْبَيْ سِنانِـهِ ولسانِـه
ذُو سَجايا مثلُ الرياضِ سَقَاهَا ... وابـلُ القَطْرِ من نَـدَى تَهْتَانِه
بحرُ جودٍ لـهُ جـداولُ عَشْرٌ ... في يديـه تَدَفَّقَـتْ من بَنَانِـه
عـالمٌ عامـل تَقِيٌّ نَقِيٌّ ... خاشعٌ للإلـهِ في رِضْوَانِـه
سار في الخافِقـين ذكرُ عُـلاَهُ ... وعَـلاَ قـدرُه عـلى كِيوانِـه
فائـضُ العـلم عن رَوِّيـة فكرٍ ... كـادَ يَجْلُو سِرّ القَضَـا لِعيَانِه
ثاقـبُ الفهم كم خَبَابـا عُلُومٍ ... قـد جَلاَها بالكَشْفِ من بُرْهَانِه
بسَنَـا منطـقٍ فصاحـةُ قُسٍّ ... عنـده باقـل لـدى سَحْبَانِـه
فهو كشافُ مُشْكـلاتِ مَعَـانٍ ... حَلْيُ ألفاظهـا بديعُ بَيَانِـه
أيُّهـا السَّعْـدُ قـد سَمَوْتَ مَحَلًّا ... قَصَّر المدحُ عن بُلُوغ رِعانِه
كيـفَ يتلُو المَقَال آيـةَ وَصْفٍ ... كدرجاتٍ في الذكر من قُرآنِه
فـإذا قلـتُ والحديـثُ شُجُونٌ ... فاستمعْ منه فيك بعضَ حِسَانِه
أنـت عـينُ الوُجُودِ من أعْيانه ... بـل محـلُّ الإبصـار من إنسانِه
وأرى أنـك المرادُ من الكَوْ ... نِ وقَصْـدُ المحيـطِ من دَوَرَانِـه
عـلم الله كيـف أنـت فأعْطَـا ... كَ المحـلَّ الجليـلَ من سُلْطانِـه
ظلُّـه الوارفُ الجليلُ مُرادُ الـ ... ـحَـقِّ مَجْلَى الوُجُودِ من أكْوَانِه
قَرَّبِهِ اللهُ مُلكَـهُ بـك سعـداً ... فَلَكـاً دَائِراً بَسْعـد قَرَانِـه
خَطتْ اركانُـهُ بعَزْم وحَزْمٍ ... قـد أقامـا المُنَـآد من بُنْيَانِـه
كـان لولاك ركنُـه يَتَدَاعى ... - لا تَدَاعَى - وشِدْتَ من أركانه

ما يراه أولُو النُّهَى غير جسْمٍ أنتَ رُوحُ الحياة في جُثْمانِه
ورآك العبادُ من نعم اللّـ ـهِ عليه وطَوْلِهِ وامْتنانِه
إيه سعدَ الورى لعلَّك تُصْغِي نحو وَصَّافِ مَدْحِكُمْ حَسّانِه
عبدُك الطَّالَويّ مَنْ قيل فيه شَاعِرُ العَصْر بُحْتُريُّ زَمَانِه
كم لهُ فيك من فَوَائِد غُرٌّ كالدَّرَارِي يُخْجِلْنَ دُرَّ جُمَانِه
مثل سَيَّارةِ النُّجومِ زَوَاهِ سِرْنَ في الخافِقين مَعْ رُكْبانِه
فهي حَلْيُ الزّمان في جِيدِه العا طِل باقٍ والشَّنْفُ في آذانِه
أنت سَعْدُ الوَرَى ونَيِّرُها الأعْـ ـظَمُ والسِّر سَفَّ عن كِتْمَانِه
عجبَ القَوْمُ من سَناك وقَدْ أشْـ ـرَقَ هذا الوُجُودَ من لَمَعَانِه
وأضاءَ الأكوانَ شَرْقاً وغرباً وتوارَى عن مَنْزِلي ومَغَانِه
ما توارى أستغفرُ الله ضَنًّا بلْ لِحَظٍّ ما زال في حِرْمَانِه
فعسى نظرةٌ من السَّعْدِ تُدْنِي عينَ حِرْمانه إلى رَحْمَانِه
دُمْتَ للعالمين سَعْدَ البَرايَا باهرَ الفضْلِ في عُلُوٍّ مكانِه

ومما كتبه لأسعد أفندي في طلب شفاعة

ومما كتبتُ به لولده أفضلِ العلماء، وأسْعَدِ الفُضَلاء، مولانا أسعد أفندي، وهو يومئذٍ مدرسُ السُّلَيمانية، راجياً من هِمَّتِه العلية، شفاعته لنيابة محمود باشا بقسطنطينية المحميّة، قولي:

أسعدَ شُهْبِ السَّماءِ أسْعَدُها وأسْعَدُ الفاضلين أسْعَدُها
إمامُها صَدْرُها مُهَذَّبُها سَيِّدُها سَعْدُها مُسَوَّدُها

ربيعُهـــا غيثُهـــا مُؤَمَّلُهـــا صَمْصَامُهـا في الوغـى مُهَنَّدُها
شمسُ ضحاهـا هـلالُ ليلتهـا دُرُّ مقاصيرِهـا زَبَرْجَدُهـــا
أرْوَعُهـــا منطقـــاً وأوْرَعُهـا نُطْقاً وفي البحث فهو أجْلَدُها
بمنطـــقٍ لو وَعَـى فَصَاحَتَـه قُسُّ إيـــادٍ لَرَاح يَحْسُدُهـــا
من دوحة السَّعْدِ طاب مَغْرِسُها وقـد زكـى فرْعُها ومَحْتِدُها
ذو هِمَّـــةٍ في السماء هَامَتُهـا حيث سُهاها وحيثُ مَرْقَدُها
وعزمـــةٍ في الأمور ماضيـــةٍ أقرب شيءٍ إليـــه أبْعَدُهـــا
تأبـى سَجَاياه غـير مَكْرُمَـةٍ أقرب منّي إليّ موردُهـــــا
قصـدتُ عـالي ذُراه يشفعُ لي في خدمـةٍ منـــه لي يقلِّدُهـا
جيـدُ رجـائي كطوق سَاجِعَـةٍ بحُسْنِـــه يَزْدَهي مُقَلَّدُهـــا
محمود باشا وتلـك منـــه يـدٌ أشكرُهـــا مُدَّتِي وأحْمَدُهـــا
لا برح الدهرَ رُكْنُ ساحَتِـــه كعبَـة فضـلٍ والنـاسُ تقصُدَها
في دولـــةٍ سعدُهـــا يؤيِّدُهـــا إذا نقـض دَوْرُهـــا يجدِّدُهـا

ومن شعره في الحنين إلى الشام

صدر مكاتبة من الداعي بقسطنطينية المحميَّة، إلى الديار الشاميّة، وقد شِمْتُ من نحوها بَرْقاً لَموعاً، فأتبعتُه دموعاً، عام ألف:

إيـه يابرقُ قُلْ حديثاً عن الشَّا مَ فحيَّـا الإلـهُ عنّي الشَّامَـا
أهُرِعْـتَ الآفـاقَ تحمـلُ نحوي من سُليمان حِفْظَ الوِدادِ سَلاَما
أم حكيـتَ ابتسامَها لِيَ حَتى لم أزلْ هائماً بهـــا مُسْتَهامَـــا
يـا سميري شِمْ بارِقَ الشَّامِ عَنِّي إنَّ طَرْفي بدمعـه قـد أغَاما

وسَلِ العَـارض الجنوبيّ يَحْـدِي بالنَّعَامِـيَّ هـل زار داراً اماما
فسقاهـا ريّـاً ولا رِيَّ بعـدي يـا سَقَاها دُنُوّ عهـدي سِجَامـا
أنـــا بالرَّومِ والمنـــازل بالشا مِ وقلـبي حيـثُ الغَرامُ أقَامَـا

صدر مكاتبة إلى الأستاذ علي بن غانم المقدسي

ومنْ ذلك ما كتبتُ به صدرَ مكاتبةٍ من الديار الرُّومية، إلى القاهرة المُعِزِّيَة، إلى الأستاذ بركةِ العباد والبلاد، شيخ مشايخ الإسلام، عَلاَّمة العالم ومفتي الأنام، عليٍّ بن غَانم المقدسِيٍّ أعلى الله قدره، وأنفذ في العلوم العربية أمره، وذلك في عام ألف، قولي:

من العَالَمِ القُدْسِي الى العَالِمِ القُدْسِي مُنير مَنَار الشَّرْع بالرأي والحَدْسِ
سَلاَم كزَهْرِ النَّرجَسِ الغض ايقظت لوا حظُهُ الوَسْنَى صَبَا مطلع الشمسِ
لـدى رَوضـةِ المقيـاسِ والمُشْتَهـى الذي
غَـدَا دون رَوْضَاتِ المُنى مُشْتَهى النفسِ
بحيـث أفـاءَ الظِـلُّ فوق نَمِيرِهِ وغَنَّ حَمَامٌ بالحمى طَيِّبَ الجَرْسِ
فما الليـلُ إلاَّ السِّرُّ فوق لُجَيْنِهِ يسيلُ أو البَيْضَاءُ في حُلَّةِ وَرْسِ
سقاهـا وحَيَّاهـا الإلـهُ معاهـداً لحُسَّانَـةِ الآرامِ والرشأِ الأنسي
ولا زال خَفَّـاقُ النسيم يطيفُ في مَعَالِمَ رَوْضِ الفَضْلِ والحَرَمِ القُدْسي

وصدر مكاتبة إلى الشيخ زين العابدين البكري

ومن هذا القبيل، وما يجري مجراه في التمثيل ما كتبتُ به من دارِ

الخلافة السنيّة، قسطنطينيَّة المحميَّة، صدر كتاب للقاهرة المعزّيّة، لمظهر الكمالاتِ الإنسانيّة، ومصدر المقامات العرفانية، شيخ العارفين الكاملين، الشيخ زين العابدين البكري سنة اثنين بعد الألف، قولي:

على ساكِنِي فسطاطِ مصر تحيةٌ ... من الصَّبِّ يزكُو نَشْرُها وسَلَامُ
وخَصَّ مَغَانِي العِلْم والحِلم والحِجَى ... بها والتُّقَى والزُّهْد منه غَمَامُ
مَغَاني كراماتٍ مَعَاني ولآيَةٍ ... مَبانِيَ آيٍ وحُيُّهُنَّ كلامُ
تحلَّى بها شيخٌ بوارقُ كشفِهِ ... يلوحُ سَنَاها للنُّهَى ويُشَامُ[1]
أقام بمصرَ الجودُ قطباً بعصره ... وفي كُلِّ عصرٍ للأنام إمامُ
هو الفردُ زينُ العابدين الذي به ... لجمع البرايا عُرْوَةٌ وعِصَامُ[2]
به دَوْحَةُ الصِّدِّيق طابتْ وأصبحتْ ... لها فوقَ طُوبَى رُتْبَةٌ ومَقَامُ

كرامة للعارف بالله محمد بن أبي الحسن البكري

آية باهرة، وكرامة ظاهرة، وهي ما حدّثني به بدار السلطنة السنيّة، قسطنطينية المحميّة، عام اثنين بعد الألف الوليُّ المهذَّبُ الخِيم، الشعراوي الشيخ عبد الرَّحيم[3]، عن الأستاذ الأعظم، والعارف الأفخم، محمد بن

---

(١) يشام: يرى من بعيد.

(٢) العصام: سداد فم القربة.

(٣) هو عبد الرحيم بن عبد المحسن بن عبد الرحمن الشعراني المصري، الشافعي، نزيل القسطنطينية، وأحد مدرسي المدرسة الأحمدية بها.

من مؤلفاته: إيقاظ الوسنان من سنته في بيان الموصول وصلته، وله شعر. توفي سنة ١٠٤٨ هـ

انظر خلاصة الأثر ٤١٠/٢، هدية العارفين ٥٦٣/١.

أبي الحسن البكريّ الصِّدِّيقي، قال: كنتُ في خدمته بالحرم الشريف في بعض مجاوراته عند منزله بباب إبراهيم، وقد طلب منه نفقةً بعضُ خُدَّامه، فقال: نُرسل إن شاء الله، فعاد الخادم فأنْه بما أجابه أولاً، وتكرر الطلب من الخادم مراراً، فنهض الشيخُ إلى الطَّوافِ وأنا معه، وهو يقول ويكرِّر هذين البيتين، وهما:

صَوَّحَ النَّبْتُ فاسْقِهِ قَطْرَةً من سَحَائِبَكْ
وأغِثْنَا فإنَّنَا في ترجيٍّ مَوَاهِبَكْ

ولم يزلْ يكرِّرُهما، فبينما هو في الطواف كذلك، وإذا بشخص هنديٍّ قد أقبل على الشيخ وقبّل يده، ودفع له صرة مختومة من الدنانير،وقال: يا سيِّدي هذه هديةٌ أرسلها لك ملكُ الهِند معي، فتناولها وسجد شكراً لك تعالى، وكانتْ له كرامة، أحلّه الله دار المقامة.

قلت ومن هذا القبيل الأبيات المشهورة لبعض أكابر الصوفية وهي مما يستعان بها في الملمات، وتكشف بها الكُرُبات، كذا حدثني عنها بعض مشايخي من أهل الطريق، وهي هذه:

يا مَن تُحَلُّ بذكره عُقَدُ النَّوائِبِ والشَّدَائِدْ
يا مَنْ إليه المُشْتَكَى وإليه أمْرُ الخَلْقِ عَائِدْ
يا حيُّ يا قيَّوم يَا صَمَدٌ تعالى عن مُضادِدْ
أنت العليمُ بما بُلِيـ ـتُ به وأنت عليه شَاهِدْ
أنتَ الرقيبُ على العِبَا دِ وأنْتَ في الملكوتِ وَاحِدْ
أنت المنزَّهُ يا بديعَ الْـ ـخَلْق عن وَلَدٍ ووَالِدْ
أنت المُعِزُّ لمنْ أطا عَكَ والمُذِلُّ لكلِّ جَاحِدْ

إمِّن دعوتُـــــــــك والهمو مُ جيوشُهـــا قَلْبِي تُطَـــارِدْ
فامزُج بَحْولِـــــــكَ كُرْبَتِي يـــا مَنْ لَـــهُ حُسْنُ العَوائِـــدْ
فخفيُّ لُطْفِـــــك يُستَغَـــا ذُ بـــه عـــلى الزَّمَنِ المُعَانِـــدْ
أنـــــــت المُيَسِّرُ والمُسَبِّـ ـبُ والمُسَهِّـــلُ والمُسَاعِـــدْ
أنـــــــت المفرجِ لِلهمو م إذا تعاسرت المقاصـــــدْ
يَسِّرْ لنـــــا فَرَجـــاً مُريـ ـبـــاً يـــا إلهي لا تـباعِدْ
كُنْ رَاحِمِي فلقـــــد أيِسْـ ـتُ من الأقـــارب والأباعِـــدْ
يـــا ربِّ صَـــلِّ عـــلى النَـــبيِّ (م) وآلـــه مـــا خَرَّ سَاجِـــدْ

أديب مغربي في زيارة القسطنطينية

ورد علينا قسطنطينية العظمى، ودار الخلافة الكبرى، عام إحدى وألف، الشابُّ الفاضل، اللَّوذعي الكامل، شمس الدين محمد الأديب المغربي[1]، الفاسيّ المالكي، فأنشدنا من لفظه الرائق، وحفظه الفائق، الأبيات الحسنة، المشتملة على النكات المستحسنة، وكان حسن الإيراد،

---

(١) هو محمد بن ابراهيم الفاسي، المعروف ببديع الزمان، كان أديباً شاعراً ذا نظم رائق ونثر فائق.

رحل من المغرب إلى المشرق ودخل الروم واجتمع بعلمائها، ثم ذهب إلى مصر حيث انتهى به المطاف إلى الإقامة بمدينة المحلة لدى قاضيها الذي يسر له المقام وأكرمه. ولكنه ما لبث أن توفي سنة ١٠٠٦ هـ.

ويقول الخفاجي في ذلك: إنه لم يزل باللهو معروفاً، وبغزلان النقا مشغولاً مشغوفاً... حتى أذهب هذا الأمر خبره وخبره، ومحا بيد الضنا عينه وأثره.

انظر ريحانة الألبا ٣٣٣/١، ونفحة الريحانة ٢١/٥، خلاصة الأثر ٣١١/٣.

مقبول الإنشاد، مع قافية من رقّةِ الحضارة، ودقة البداوة، قد جمع بين حسن البادرة، ولطف النكتة والنادرة، كتب إليّ من نظمه هذه القصيدة الغرّاء، والفريدة الزّهْرَاء، وهي قوله[1]:

لِدَمْعِيَ بعـــد بُعْدِهِمُ انْهِمالُ ... فكمْ عن حفظ عَهْد الصَّبِّ مَالُوا
وحَلُّوا القلـبَ داراً واسْتَحَلُّوا ... دَمِي عَمْداً وعن وُدِّي استحالُوا
وحان الحينُ حين البينُ بانَتْ ... مطاياهُمْ وأعلاهـا الرجـالُ[2]
وقال القلب مع صَبْرِي وعَقْلِي ... وأفْرَاحِي لنـا عنـكَ ارْتِحَالُ
وأبقـتْ لي النوى جِسماً كأنِّي ... لفرطِ السُّقْم حَـالٌ أو مُحَـالُ
أُفدِّيهِمْ بأموالي ونَفْسِي ... وهـل لي في الهوى نفسٌ ومَالُ
أأسلوهُمْ مَـدَى الدنيـا سَلُوهُم ... ولو أَصْلَوْا فؤادي ثم صَالُوا
شعـاري حُبُّهُمْ والمـدحُ دِينِي ... لمولى الفضـل دَرْويشِ بن طَالُو
هو النحرير بحرُ العـلم مَهْمَـا ... أهمَّ الأمر أو أعْيَـا السُّؤَالُ
ذَكِـيٌّ أَلْمَعِـيٌّ لَـوْذَعِـيٌّ ... سَرَى مالـه حَقًّـا مِثَـالُ
لـه عـلْمٌ حنيفيٌّ محيـطٌ ... وحِلْم أحنفيٌّ واحـتمالُ
وفكرٌ عنـد ذي التحقيق ذكرٌ ... بشكر اللهِ مُغْرًى لا يَزالُ
حَوَى كُـلَّ المعـاني والمعـالي ... بعقـلٍ مالـه عنهـا[3] انْعِقَالُ
له نَظْمٌ كدُرٍّ في نُحُورِ الْـ ... ـغواني دُونَـه السِّحْر الحلالُ
مزيـدٌ في العُـلاَ[4] من غير نِدٍّ ... فَـدَعْ ما قيل أو ما قد يُقَالُ

---

(١) القصيدة التالية في نفحة الريحانة ٥/٢٢، ٢٣، وخلاصة الأثر ٣/٣١٢، ٣١٣.
(٢) في الريحانة: الرحال.
(٣) في الريحانة: عنه.
(٤) في الريحانة: المعالي.

فَيمِّمْ دَارَهُ وانزل ذُرَاهُ[1] إذا جـارَ الأعـادِي واسْتَطَالُوا
وقُـل للمدَّعي هَلْ حُزْت أصلاً لـــه بالطالوِيِّـــين اتِّصَـــالُ
لقينـــــاه بإسلامبول لَمَّـــــا عَدِمْنـــا فيـــه حُرًّا يُسْتَمَـــالُ
فَولاَّنـــــا وأولانـــــا بَشَاشاً وبشراً دُونَـــه العَـذْبُ الزُّلاَلُ
وأنسانـــــا بإينـــــاسٍ أُنَاساً لهم في القلـــب حِـلٌّ وارتحالُ
ألا يـا ابن الأُلَى قد حُزْت فخراً لـه في وَجْنَـةِ البـدر انتعالُ[2]
وسُدْتَ اليوم أهـل الأرض فَاهْنَا بِعِزٍّ مالَـــهُ عنـــك انتقـــالُ
فخذْهـا مثـل خُلْقٍ منك سَهْلٍ عَلَـى الأعـداء صَعْبٍ لا يُنَالُ
كساهـا مدحـك المحمودُ حُسْنـاً لهـا فيـه ازدهـارٌ واختيـالُ
فتبـــدي تـــارةً دلاًّ لديكُمْ ويَعْرُوهـــا عـلى الدنيـا دَلاَلُ
ترجِّي أن تُنيلُوهـــــا قَبُولا عَسَى يبـدُو بها منـك احتفالُ
فـإن أحسنتَ كان الأمرُ بِدْعاً وإلا منـــــكم يُرْجَى الكمالُ

ثم أعقب هذا النظم بنثر[3] بديع، وشَذَر منيع، أبدع فيه كلَّ الإبداع، وأتى بما يروق النواظر ويشنف الأسماع، وهو[3] قوله:

رَضِيَ اللهُ عنك وأرضاك، وأخْصب في مربع المحامد مَرْعَاك، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سلاماً يتخذُه البدرُ بَرْقَ مُحَيّاه، وقام لإجلاله سنا شمس الضحى وحَيّاه، وَافَتْكَ حَاسِرةً حَسِيرَة، ونُزْهة يسيرة، يُشَرِّفُها ذكرك، ويكرِّمُها شُكْرك، والعُذْر واضح، وتَفْسِيرُ الواضح فاضح، فإنْ

---

(١) في الريحانة: حماه.
(٢) في الريحانة: له في جنة الدهر انتقال.
(٣) لم ترد هذا العبارة في الريحانة.

لي خاطراً متى تفكَّر تفطّر، وإن راجع وتدبّر القدر تصبّر، والحُرّ خِلٌّ عَاذِر، واللئيم خِبٌّ غادر، ومثلك يَغُضّ ولا يُغضي، وحلمُك لا شك إلى الرضا يُفْضي، والسلام.

وكتبه المحب الأكبر، والفقير الأصغر، النائي عن الإخوان والأوطان، محمد المدعو بين فضلاء الأوان، ببديع بل بشنيع الزمان. لطف اللهُ به آمين[1].

وحنَّ يوماً إلى وطنه، حنين النجيب إلى عَطَنِه، والمهجور إلى سكنه، وقد ذكر مسقط راسه، ومُشْتَعل نبْراسِه، وهي البلدة البيضاء أعني فاس، فتصاعدتْ منه لفُرقتها الأنفاس، حتى ذرفتْ عيناه بالدُّموع، شوقاً إلى تلك المنازل والربوع، فلما أن رأى الحاضرون حاله، رَقّ كلٌّ ورثى له[2]، فقلت على لسان حاله، وقد توجه لمنزلة ببلباله، قطعة سبقته إلى النادي، وكانت عندي كبعض الأيادي، مع لُغْزٍ في اسم بلدةِ مُرَّاكُش وكان قد جرى شيءٌ من ذكرها، فنظمتُ ذلك أيضاً في إثرها:

رَبَعَتْ على تلك الرُّبوعِ هَتُونُ ... وطْفَاءُ فيها للبروقِ حَنِينُ
مَسْفُوحةُ العبراتِ سَفْح مَدَامِعِي ... نحو الدِّيار كأنّهنَّ عُيُونُ
فسقى معالم فاس حيث صَبَابتي ... وصَدَايَ[3] فيها صاحبٌ وخَدِينُ
فارقتُها وأنا الضَّنِينُ وربَّما ... يَسْخو الفتى بالرُّوح وهو ضنينُ

---

(١) يرد النص التالي برمته في الريحانة، مصدراً بقوله: وحكى الطالوي أنه... وكذلك يرد في خلاصة الأثر.

(٢) في الريحانة: رق كل له ورثى له.

(٣) في الريحانة: وصباي.

فَعَلى مَعَالِمها تحيَّةُ مُغْرَمٍ في قلبهِ لَهَوى الديارِ شجونُ
وأما اللغز فقولي
وما اسْمٌ خُمَاسِيٌّ مُسَمَّاهُ بلدةٌ تركَّبَ من شَكَّيْنِ وهو يَقِينُ
فَشَكٌّ تراهُ العينُ بادٍ بِلاَ مِرَا وشَكٌّ بقلبٍ لا تراه عُيُونُ

فكتب إليَّ بسُرعة، لما وصلتْ إليه الرقعة: وما زال العبدُ من حين مُفَارقتكُمْ لا يَقَرُّ له قرار، إلى أن وَرَدَ شَذَا نَظْمكم المِعْطار، فقال طالباً القَبُول، على استعجالٍ من الرسول:

مولاي لا زِلْتَ فَرْداً في المكارم يا أبا المعالي ودُمْ في أرْفَعِ الدَّرَجِ
ألْبَسْتَ فَاساً وأهليها ثيابَ عُلاً قد نمَّقَتْها يَدَا تقريظِك البَهِجِ
لما جَرَى ذكْرُها في رُحْبِ خَاطِرِكُمْ أنشدْتها قولَ صَبٍّ بالهَوَى لَهِجِ
لتَهن يا فَاسُ واخلع ما عَليك فَقَدْ ذُكِرْتِ ثَمَّ على ما فِيكِ من عِوَجِ

وأما لُغزكم السَّهْل المُمْتَنع، فهو في بلدةٍ هي لقلب الصَبِّ الحَبِيب المُمْتنع، وعاجلني الرَّسُول، على نَظْمِ بعض الفُصُول، ولكنْ إن شَاء الله في غَدٍ يَقَعُ الإتمام، وعالماً ومُقِرًّا أن لَيْس له[1] بساحةِ اقتِداركم والله إلْهام، فعطفتُ عنان اليراعة ثانياً، وكتبتُ إليه ثانياً، قولي:

ما ذاتُ عودٍ لها لَحْن من الهَزَجِ باتَتْ تُغَنِّي به في رَوْضِها البَهِجِ
لها بدعوةِ نُوحٍ طَوْقُ غَانيَةٍ على وِشَاحٍ من الأزْهَارِ مُنْتَسَجِ
مخضُوبةُ الكفِّ لا مِنْ عَنْدم خُضِبَتْ ذاك البنان ولكنْ من دَمِ المُهَجِ

---

(١) في الريحانة: أن له.

مُدَّتْ قوادمُ ليلٍ فيه لاحَ لنا بيضُ الخَوافِي كصُبْحٍ منهُ منبلَجِ
يوماً بأحسن مرأى من نِظام فَتىً بذكر فاسَ ومَغْنَى رَيْعِهَا لَهِجِ[1]

وخرجنا يوماً من المنزل المعهود وهو دار التعليم بمحلَّةِ سُلْطان سَلِيم، في وقتٍ غَابَ واشِيه، ورقَّت حَوَاشِيه، فكأنما هو الزَّمان الذي غَنَّاه الطَّائِيُّ[2] بقوله:

رَقَّتْ حَوَاشي الدَّهْرُ فهي تُمَرْمِرُ وغَدَا الثَّرَى في حَلْيِه يَتَكَسَّرُ[3]

لبعض الحدائق المعمورة، وهي باللِّذَّات مَغْمورة، تُعرف بأرض قاسم باشا، والوقتُ يُصَرِّفُنا كيف شا، وقد جَلَتْ علينا السَّمَا من عَرائسها من بنات فخر، فقابلَتْها الأرضُ بخمائِلِ الزهر، فافتتحت المقال، بنظم واقعة الحال، في ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وألف:

سِرْنَا بإسْلاَمْ بُولَ نَبْغِي نُزْهَةٍ دَعَتْ النُّفُوسَ إلى الفَضَاءِ المُطْلَقِ
ثم امتطينا البَحْرَ في نُوحِيَّةٍ تجري بنا في لُجِّ مَوْجٍ مُطْبِقِ
نَشَرتْ قَوادِمَ طائرٍ ومَشَتْ بنا فيه كنَسْرٍ في السماء مُحَلِّقِ
بَارَتْ عُقابَ الجَوِّ إذ طارتْ بِهِ بمثالِ قَادِمَتَيْ جَنَاحِ العَقْعَقِ[4]
فكأنها بازٍ ونحن بمَتْنِها تَهْوي بنا طوراً وطَوْراً تَرْتَقِي
حتى رَسَتْ في شاطىء ورَمَتْ بنا تلك المَذَانِبُ[5] وسط روضٍ مُونِقِ

---

(١) إلى هنا ينتهي ما ورد في الريحانة والخلاصة.
(٢) هو أبو تمام، والبيت صدر قصيدة يمدح بها المعتصم، انظر ديوانه ١٥٦.
(٣) تمرمر: تتمايل، ويتكسر: يتثنى.
(٤) العقعق: طائر نحو الحمامة طويل الذنب فيه بياض وسواد، وهو نوع من الغربان.
(٥) المذانب: جمع مذنب، وهو مسيل الماء إلى الأرض.

فإذا بأرضٍ في الصفاءِ كمَسْجَدٍ والمَنْـــدَلُ الشحْرِيّ في المُتَنَشّقِ
حُفَّـتْ بسَرْوٍ كالقِيَـانِ تَلَفَّعَـتْ خُضْرَ المُلاَ وكَشَفْنَ عن سَاقٍ نَقِي
نَصَبَـتْ كأمثـال الزَّبرجَدِ دَارَةً في صَحْنِ تبْرٍ بالزُّمُرُّدِ مُحْـدَقِ
وكأنهـــا وَقَفَـــتْ لردِّ تحيـــةٍ منّـا على قَـدَم بطَرْفٍ مُطْرِقِ
في روضـة بـات السِّمَاكُ يُظِلّها والنجمُ باكرَهَـا بغيـثٍ مُغْـدِقِ
وشقائـقُ النُّعْمان وَسْطَ لِقَاحِها مثـلُ العقيقِ بصحنِ دُرٍّ مُشْرِقِ
وغـدا الهزار بها يُحاكي صَوْتُـه ألحـــانَ قُمْرِيٍّ وسَجْـــعَ مُطَوَّقِ
والغـــيمُ في وَسْطِ السماءِ كأنَّـــهُ قِطَـعُ اللُّجَيْن على بِسَاطٍ أزْرَقِ
ونَدِيمُنـا لَـدْنُ المَعَاطِـفِ جسْمُـهُ رَيَّانُ من مَـاءِ الصَّبَا المُتَرَقْرِقِ
قيـــدُ النَّواظِرِ حُسْنُـهُ ولِحاظُـهُ شَرَكُ المَهَـــا وحبالَـةُ المُتَعشّقِ
وخليلُنـا من أهل فاسٍ فاضلٌ لكنَّـــه للنُّسْك غـــيرُ مُوَفَّـــقِ
مـازال يذكر فاس والدَّوْحَ الذي فيهـا وشاطـىء نهرها المُتَدَفِّـقِ
حـتى لخلنـــا أننـا منهـا عـلى وادِي الجواهر أو بِرَبْوَةِ جِلَّـقِ

فكتب تقريظاً لهذه الأبيات بأبيات بديعة، كأنها في رَوْض الأدب وشيعـة [1]، وهي قوله:

أنسيمُ روضٍ طـابَ في المُتَنَشَّقِ أمْ نَقْرُ عُودٍ أم هَدِيرُ مُطَوَّقِ
أم قطعـةٌ من نظم شعرٍ حَاكَهَا فكرُ المجيـــدِ الطالويِّ المُفْلِـقِ
أم نسبـةٌ يسْمو بهـا أوْجَ العُلاَ كـلآلِئٍ في الجيد أو في المَنْطِقِ
يَرْقَـى بها دَرَجَ المفاخِرِ مَنْ لَهُ فيهـا انتسابٌ نحو رفعـة أُرْتُقِ
وأبو المعـالي وابنُهـا وخَليلُها من زَهْرِهَـا مِثْلُ الهلال المشرقِ

(١) الوشيعة: الألوان في الثوب من حمراء وصفراء.

وجاءنا يوماً وقد ضاعت له سُبْحة كانت معه، وقد جزع عليها جزعاً أسال مدمعه، فأنشدته على البديه، من غير تمويه، مضمناً بيت العجاج، وهو لمفارقتها في انزعاج:

وصاحبٍ أضاع يوماً سبحة أصبح منها في اضطرابٍ وقَلَقْ
قلنا له صِفْ شَكْلَها قال لنا: فيها خُطُوطٌ من سَوَادٍ وبَلَقْ

فنسي بها تسبيحه، وجعلها ورده وتسبيحه.

وضَمّنا معه مجلسٌ بديع المعاني، رفيع المباني، وسط روض ناحتْ أطْيَارُه، وفاحت أزهارُه، وقد مَرّ النسيمُ فيه على بِركةٍ ماؤُها كالنسيم، وبها نَوْفَرَةٌ[٢] فَوّارة قد أسرف الماء من شُرُفاتها، وكان يسيلُ من حافّاتها، فقال: يا سيدي أنظر إلى هذه النوفرة والماء فيها إلى فيها، بالله إلاّ قلت شيئاً فيها، فقلت على البديه:

ونَوْفَرةٍ كعينِ الصَّبِّ سَكْرَى تَجُمُّ الماءَ[٣] خَشْيَةَ أن يُرَاقَا
ذكرتُ لها النَّوَى يوماً ففاضتْ وصَارتْ كُلُّها للدَّمع مَآقَا

فكاد أن يطير فرحاً، وازداد نشاطه مرحاً.

ومما أنشدنا له وقد أغضبه إنسان بفاس، فتوجه إلى تلمسان، وقال مُنْشداً:

---

(١) الشطرة الثانية لهذا الشطر من شعر رؤبة:
كأنه في الجلد توليع البهق

(٢) النوفرة: الفسقية، وهي حوض من رخام مستدير غالباً، تمج الماء فيه نافورة، ويكون في القصور والحدائق والميادين.

(٣) تجم الماء: تحفظه وتجمعه.

فارقتُ فَاساً وأهْلِيها وقلتُ لَهَا ما أنتِ دارٌ لِحُرٍّ بلْ لإنسانِ
كم من وضيعٍ وذِي خَرَقٍ ومَنْقَصَةٍ يَحْظَى لديك ويُفْضِي خلف إحسانِ
إليك عني وعن مِثلي الثبات فقد أصبحتُ منكِ مهيناً في تِلْمِسانِ
والنفسُ آلتْ وعينُ اللهِ تحرسُها حتى تُبَلِّغَني أقْصَى خُراسَانِ

ومما أنشدنا من حفظه لإبن حَمْدِيس الصِّقِلِّيِّ، وهو بديع، من قصيدةٍ يصفُ فيها النُّوق:

ونوقٍ حَنَاهُنَّ الهُزَالُ كأنَّها حَنِياتُ نَبْعٍ في أكُفٍّ جَوَاذِب[1]
إذا وردتْ من ذَرْفَةِ الماءِ أعْيُناً وقَفْنَ على أرْجَائِها كالحَوَاجِبِ

وأنشدني من قصيدة لمحمد بن هانىء شاعر الأندلس، في جعفر بن عليّ أمير المسيلة والزاب[2]:

المُدْنَفَانِ من البريةِ كُلِّها جِسْمِي وطَرْفٌ بَابِليٌّ أحْوَرُ
والمُشْرقَاتُ النيِّراتُ ثَلاثَةٌ الشَّمْسُ والبدرُ المنيرُ وجَعْفَرُ

ومما أنشدنا لصاحب الريحانة إبن الخطيب[3]، قوله:

تَقَلَّدَنِي دَهْرِي حُسَاماً مُهَنَّداً لَهُ في رِقَاب الدارعينَ صَليلُ

---

(١) حناهن: ثناهن، والنبع: شجر تتخذ منه القسي والسهام، والقوس تنثني في يد الجاذب فشبَّه النوق الهزيلة المحنية بها.

(٢) هو جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي، أبو علي، ابن غلبون، أمير الزاب (من أعمال إفريقية) كان جواداً، ولابن هانىء فيه مدائح، ونشأت فتنة بينه وبين زيري بن مناد الصنهاجي فقتل زيري، فقام ابنه بكلين بن زيري، فانقلب جعفر إلى الأندلس فقتل فيها، وهو باني المسيلة من بلاد المغرب.

انظر وفيات الأعيان ١١٣/١، (الأعلام ١١٩/٢، ١٢٠).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله. لسان الدين، وزير مؤرخ أديب، كان يلقب بذي الوزارتين: القلم والسيف، ويقال له ذو العمرين لاشتغاله =

وما زال يُلْفَى في الحوادث ضَازِباً ففيــه لأحــداثِ الزمـان فُلُولُ

وأنشدنا قال: أنشدها إبنُ الخطيب صاحبُ الريحانة في كتاب له سَمَّاه «السِّحْر والشحر» في جواد:

ومن جُودِهِ يَرْمِي العُـداة بأسْهُمٍ من الذَّهبِ الإبْريز صيغَتْ نُصُولَها
يُدَاوِي بها المجروحُ مِنْها جراحَهُ وتتخـذُ الأكْفَـافَ منهـا قتيلُها

وأنشدنا غير ذلك، هاجر للقاهرة المعزية، فاخترَتْهُ المِنْية، رحمهُ الله.

وقال في الحنين إلى الشام وسكانها

ومما كتبتُ به غُرةَ شعبان عام إحدى وألف من الديار الرومية إلى دمشق الشام، لا أَغَبَّها صوبُ الغمام، متشوقاً لسُكَّانها من الفُضَلاء، وحُمَاةِ سَاحَتِها من الأمراء، ومشايخها من الصُّوفيّة، قولي:

أنُسَيْمَـــةَ الروضِ المطـــير بالعَهْـــــد من زَمَن السُّرُورِ
وأنيـــق أيَّـــام الشَّبَـــاب وعيشهِ الغَـــضِّ النَّضِـــيرِ
ووثيـــقِ أوْقَـــاتِ التَّصَـــابي يَـــا لَمَعْهَدِهـــا الخَطـــيرِ

= بالتصنيف في ليله وبتدبير المملكة في نهاره، وزر لأبي الحجاج يوسف بن اسماعيل سلطان غرناطة ولابنه الغني بالله، وانتهى به الأمر إلى الهجرة من الأندلس إلى تلمسان، حيث قتل بأحد سجونها سنة ٧٧٦ هـ.

وله مؤلفات كثيرة منها ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب وهو مجموع رسائل ديوانية وإخوانية، والسحر والشعر الذي يذكره المؤلف باسم السحر والشحر، وكان رسالة لأحد الإخوة الجزائريين لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة عين شمس.

انظر في ترجمة ابن الخطيب الكتاب القيم الذي ألفه باسمه المقري وسماه «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب»، وقد طبع مراراً.

ومعاهـــدٍ كـــان الشَّبَـــابُ وشَرْخُـــه فيهـــا سَمِـــيرِ
هَوَّمْـــتُ فيـــه فصـــاح بي دَاعِي الصَّبَـــاحِ المُسْتَنِـــيرِ
فطفقـــتُ أنظرُ منـــهُ في أعقـــابِ بَرْقٍ مُسْتَطِـــيرِ
قـــد كـــان حُسّانُ المرَا بـــع فيـــه حُسَّانَ البُـــدُورِ
أيّـــانَ غُصْنُ شبيبـــتي رَيّـــانُ من مَـــاءِ الغُرُورِ
وذُؤابـــتي شَرَكُ المَهَـــا وحُبَـــالَـــةُ الظَّبْيِ الغريرِ
حيـــثُ الشَّبيبـــةُ رَوْضَـــةٌ عَنَّـــاءُ صَافِيَـــةُ الغَدِيرِ
فَنّـــاء رائدُهـــا المَهَـــا ة الرُّودُ من رِيمِ الخُـــدُورِ
من كـــلِّ مخطفـــة الحَشَا كـــأخي الرَّشَا أُخْـــت الغَزيرِ
طلعـــتْ بليـــلٍ ذوائـــبٍ أبْهَـــى من القَمَرِ المُنِـــيرِ
بيضـــاء وشحَّـــتِ التَّرا ئـــبَ والنُّحورَ من الصُّـــدُورِ
وكسا معاطفهـــا الشبـــا بُ الرُّوقُ حُسَّانِ الحَبِيـــرِ
تمشي أنـــاةَ الخَطْوِ فيهـــا رَوْعـــةُ الظَّبْيِ النَّفُورِ
قَوِيَـــتْ عـــلى قَتْلـــي وفي ألحاظهـــا ضعـــفُ الفُتُورِ
وبمـــا جَرَى يَوْمُ النَّوَى من دُرِّ مَدْمَعِهـــا النَّثِـــيرِ
كالعقـــد أسْلَمُـــه النّظـــا مُ من التَّرائِـــبِ والنُّحُورِ
وبوقفـــةِ التوديـــع والـ أنفَـــاسُ تَصعَـــدُ بالزَّفِـــيرِ
ويَـــدُ الفِراقِ تَشُبّ في الـ أحْشَاءِ نـــيرانَ السَّعِـــيرِ
إلاَّ سَرَيْـــتِ مـــع الصَّبَـــا يـــا نَسْمَـــةَ الرَّوْضِ المَطِـــيرِ
فاجتزتِ من أرضِ العَرَا قِ عـــلى الخَوَرْنَـــقِ والسَّدِيرِ
ووقفـــتِ بالزَّوْراء وَقْـ ـفَـــةَ زائرٍ أوْفَى مَزُورِ

وحَمَلْـــــــتِ للكَرْخ التَّحِـ ـيَـــةَ من أخـي سِجْنٍ أسِيرِ
ونزلـــــــتِ من نهر الأُبُلَّـ ـةِ والصُّرَاةِ عـــلى شَفِـــيرِ
وأقمـــــــتِ في شَطِّ الفُرَا تِ بمُلْتَقـى العَـذْبِ النَّمِـيرِ
وسمعـــتِ هَيْنَمَـــة الرِّيَـــا ضِ وصَوْتَ جائِشَةِ الخَرِيرِ
وجذبـــتِ في تلـــك الحـدا ئِـــقِ طَوْقَ سَاجعـــةِ الهَدِيرِ
حُفَّـــــتْ بسَرْوٍ كالقِيَـــــا نِ تَلَفَّعـــــتْ خُضْرَ الحَرِيرِ
ولثمـــتِ خَـــدَّ الرَّوْضِ فِيـ ـهِ نَبَـــاتُ رَيْحـــانٍ طَرِيرِ
وثنيـــتِ عِطْفَـــك والصَّبَـــا حُ يكـــــادُ يُؤْذِنُ بالسُّفُورِ
وأتيـــتِ بابـــلَ فاصْطَبَحْـ ـتِ بمثـــلِ مصبـــاحٍ مُنِـيرِ
يُغنيـــــك مُتْهِمَـــــةً ومُنْـ ـجِـــدَةً سَنَاهـــا عن خَفِـيرِ
ثم انبريـــــتِ مـــعَ الجَنُو بِ وحُـدْتِ عن مَسْرَى الدَّبُورِ
حـــتى نزلـــتِ بـــذي الأرا كَـــةِ أوْ رَثَيْتِ عـلى ثَبِـيرِ[1]
فسقطـــــتِ من أرض الخُزَا مَـى والبَشَامِ عـلى الخَبَـيرِ[2]
وشممـــتِ من طفْـــل العَشِيّـ ـةِ نَفْحَـــــةً عنـــــد المُرُورِ
وطلعـــتِ نَجْـــدًا والدُّجَـى يَنْسَلُّ عن أثوابِ قِـــــيرِ
ومشيـــــــتِ فوق عُرَارِهِ مـــا بـــين حَوْذَانٍ وخِيـر[3]

---

(١) رثى: قعد ولم يستطع القيام، وثبير: اسم جبل.

(٢) الخزامى: عشبة طويلة العيدان حمراء الزهرة، طيبة الريح، ليس في الزهر أطيب ريحاً منها، والبشام: شجر طيب الريح والطعم يستاك به، والخبير: النبات أو العشب، والمؤلف هنا يستعمل ما يسمى في البلاغة بأسلوب الاستخدام، فهو يستخدم المثل القائل (على الخبير سقطت) في معنى طريف آخر غير معناه المعروف.

(٣) الحوذان: نبات عشبي من ذوات الفلقتين منه أنواع تزرع لزهرها وأخرى تنبت برية، =

وهبطتِ غَوْر تهامةٍ والشَّهْبُ مالتْ لِلغئورِ
ونزلتِ في سَفْح الأرَا ك وسُفْتِ زاهيةَ البَرير[1]
وسلكتِ من وادي العَقيـ ـقِ منابتَ العَمَمِ الشَّكِيرِ[2]
وأملتِ فيه ذوائبَ الأغـ ـصانِ من طَلْعٍ نَضِيرِ
وهصرتِ بانَاتِ النَّقا هِصْرَ الرَّوادِفِ للخُصُورِ
فحملتِ عنها من غوا لي المسكِ فَاغِمَةَ الزُّهُورِ
وعبرتِ دَارين العِطَا رِ وشُمْتِ غاليةَ العَبيرِ
وازدَدْتِ من أرج الكِباَ ءِ[3] ورَنْدِهِ عند المَسِيرِ
وجَزَعْتِ وادي الشِّحر ليلاً[4] وانثنيتِ مع البُكورِ
والصُّبحُ يَخطرُ في الدُّجَى كالوَحْيِ يَخْطِرُ في الضَّمِيرِ
والنسْرُ فيه واقِعٌ خَوْفَ الصَّبَاحِ لدى الوُكُورِ
وكواكبُ الجَوْزَاءِ مُمْسِكةُ الـ أعِنَّةِ عَنْ مَسِيرِ
خَافَتْ سُهَيْلاً فانتضَتْ سَيْفاً من الشِّعْرى العَبُورِ
والنجمُ يَهْوى للغُرُو بِ كأنَّه كفُّ المَسِيرِ
فهبطتِ رَبْعَ الشَّامِ دَا رَ اللَّهْوِ بَلْ مَغْنَى السُّرُورِ
ونزلتِ بالوادي المقدَّ سِ شاطئاً غَيْرِ الشَّطِيرِ[5]

= والخير ويقصد به الخيري، نبات له زهر وغلب على أصفره لأنه الذي يستخرج منه الدهن، ويدخل في الأدوية، ويقال للخزامى خيري البر، لأنه أزكى نبات البادية.

(١) سفت أي شحمت، والبرير: هو ثمر شجر الأراك، وقد سبقت الإشارة إليه.

(٢) العمم: النبات طال قليلاً، والشكير: الغصن أول ما ينبت.

(٣) الكباء: عود البخور أو ضرب منه.

(٤) جزع الوادي: قطعه عرضاً.

(٥) الشطير: البعيد.

وخطوتِ من بَطْحَـــــاء وا دي النَّيْرَبَيْنِ عـــلى الصُّخُورِ
ووقفـــتِ في تِلـــك الرُّبَـــا مـــا بـــين رَوْضٍ أو غَدِيرِ
وقرأتِ سُكَّـــــانَ القُصُو رِ بهـــا السَّلاَمَ بـــلا قُصُورِ
لاسِيَّما شيـــــــخُ العُلُومِ مفيـــدُ أرْبَـــابِ الصُّـــدُورِ
شمسُ الهدايـــــة والـــدِّرَا يـــةِ شَيْـــخُ جَامِعِهـا الكَبِـيرِ
كَشَّافُ أسْرارِ البَـــــــلاَ غَـــةِ عُمْـــدَة الفَتْـــحِ القَدِيرِ
مُعْلِي مَنَـــــار الشَّرْع مُغْـ ـنِي المُعْتَفِي كَنْزُ الفَقِـــــيرِ
ورئيسُهـــا قـــاضي الجَمَـــا عَـــــةِ والمُحَكَّمِ في الأمُورِ
الفاضـــــــلُ اللَّسِنُ المُفَوَّ هُ والمُنَزَّهُ عَنْ نَظِـــــــيرِ
أعـني بـه القاضي محبِّ الدِّيـ ـن ذي الرأي المنـــــــيرِ
مَوْلى أراعَ يَرَاعُـــــــه قَلْـــبَ الطُّرُوسِ مـع السُّطُورِ
ببديـــــعِ وَشْيٍ مُخْجِـــــل وَشَىَ البَدِيـــعِ أو الحَرِيرِي
وأبي الضيـــــا حَسَنٌ حَليـ ـفُ الفَضْـــل والأدب الغزيرِ
عجبـــــاً فـــــاق الأوا ئـــل وهو في الزمن الأخـــيرِ
أدبٌ يروقُـــكَ مِثْـــل زَهْـ ـرِ الرَّوْضِ غـبَّ حَيَاً مَطِيرِ
وجنـــابُ سَامِي القَـــدْرِ عَبْـ ـدِ الحَيِّ ذي الفضـلِ الشَّهِـيرِ
والأكْرَمِيُّ الأرْيَحِيُّ الألْـ ـمَعِيُّ أبوُ السُّرُورِ.
ومُشَيِّـــــدي أركانَهـــــا أُمَرَاء مَعْلَمِهـــا الخَطِـــيرِ
منهُمْ جنـــــــابُ الطَّالِو يِّ سَلِيـــلُ أرْتُـقَ ذِي السَّرِيرِ
في السِّلْمِ كالغَيْـــــثِ المَطِيـ ـرِ والحَرْب كاللَّيْـــثِ الهَصُورِ
مُحْـــــيي مكـــــارِمِ حَاتِمٍ بـــين الأنَـــامِ بـــلا نَكِـيرِ

وعـــــــــليٌّ المِصْرِيّ كَهْـ ـفُ الجودِ أمْنُ المُسْتَجـــــيرِ
والمنجكيُّ محمـــــــدُ السَّا مِي عـــلى الفَلَـــكِ الأثِـــيرِ
فهو الأمـــــــيرُ ابنُ الأميـ ـر إبن الأمـــيرِ إبنِ الأمـــيرِ
وشيوخُهـــا البُـــدَلاء[1] أهْـ ـلُ الكشفِ حَقًّـــا والحُضُورِ
وأئمةُ العِرْفـــــــان مِنْهُم شيخُنـــــا مُوسَى السُّيوري
والشيـــــخُ ناصِرٌ عامرُ الـ أوْقَـــاتِ بالذكرِ الجَهِـــيرِ
ذكرَتْهُم . الأنْواءُ ذِكـ ـرَى بالعَشَايَـــــا والبُكُورِ
وكَسَاهم خِلَـــعَ السَّنَـــا ءِ الرُّوقِ مُقْتَبَـــلُ الدُّهُورِ

مما كتبه إلى الأمين السابقي وقد شكا رمداً

ومما كتبتُ به نثراً، عام ألف وأنا بدار الخلافة السنية المحمية، قولي للأخ الفاضل المكين محمد الأمين السابقي[2] وقد شكا رَمَداً.

بقائي على وُدِّ سَيِّدي ثَبَّتَ الله وَطْئَةَ الأدَبِ بيراعَتِه، ونَضَّر رِيَاضَ

---

(١) البدلاء أو الأبدال، هم مجموعة من شيوخ الصوفية والأولياء الصالحين لا تخلو الدنيا منهم أبداً، ويقال إنهم يبلغون الأربعين عدداً، ويقال إنهم أكثر من ذلك، فلا حرج على فضل الله يؤتيه من يشاء.

(٢) العجمي الأبهري الأصل، القزويني المولد، الدمشقي السكن والإقامة، أحد ذوي النباهة والشأن، رزق الحظوة والاقبال. وكان قد ورد دمشق سنة ٩٨٣ على صورة فقراء العجم، وأقام بدمشق مدة ثم رحل إلى القسطنطينية فتعلق بخدمة معلم السلطان مراد المولى سعد الله فعلا شأنه وولاه على أوقاف عمارة السلطان بايزيد في دمشق فتأثل وبنى وعمر، وتردد إليه أكابر المدرسية وأرباب الحوائج، وكانت له صلة وثيقة بسلطان المغرب، توفي عام ١٠١٩هـ. انظر خلاصة الأثر ٤/٢٩٠.

الفَضَائِل بِصِدْقِ رَوِيَّتِه، وصَادق رِوَايَتِه، وقَرَنَ العَافِيَة بطُولِ السَّلاَمة، وزاد بصرَه نُوراً يتحدى به زَرْقَاءَ اليَمَامة، حتى يحكي به على ألْوانِ طَوْقِ الحَمَامة، بقاء نَضْرَةِ يانعِ الآس، وسط روض مئنَاس، يَزْدَهِي بحضرته كلَّ حين، على نَوْرِ زَاهِيَة الرَّيَاحين، كما قال أبو الوليد بن زيدون، والحديث - كما يعلم مولانا - شُجُون:

لاَ يَكُنْ وُدُّكَ ورْداً إنَّ وُدِّي لَـــــــكَ آسُ

أو كغانية عَذْرا، أودعها الدَّهْر جَوْفَ قَوْرَا، تُحدِّث عن عَهْد عَاد، وإرمَ ذاتِ العِماد، تزيد على القدم جِدَّة، وتزداد سَوْرتُها حِدّة، تكاد تَشْفِي من الهَرَم، وتبعثُ البخيلَ على الكرم، ثم ما شوق الرَّوائِم لفصيلها، والحمائم لهديلها، باتتْ على الأغصان، تُرجِّع الألحان، بأعظم من شوقي إلى لِقاء جنابه، والتأدب بباهر آدابه، وغير الموفق عندي من يهجرُ مَجلِسَهُ الرئيس، ولا يلتقط من دُرِّ جوهره النفيس، سوى أن المرء يعرض له أحوال يكون فيها موزع البال، فيثقل عليه إذ ذاك ظِلُّه، ويرى أن الأرض لا تُقله، وربما يعلم المولى من حال عبده الآن، بل وفي كل الأزمان، ما يقيم له به عُذْراً، لأنَّ صاحبُ البيت وصاحبُه كما قيل أدرى، وقد سبق الوعد الكريم، بالتكلُّم مع سند الفُضَلا وسَيِّد المخادِيم، أسبغ اللهُ ظلاله، وطَيَّب أسْحَارَه وآصَالَه، وأظن ما وقع التأخير إلاّ لارتقاب وقتٍ قابل، لعلم العبد أن المولى عن الحال غير غافل، وبعد إهدائي لحضرته أرْجَ سَلامٍ زكيّ، عنبريّ النشر أو مِسْكي، أودعه القلب وأنا به ضنين، على الثقة به أنه أمين.

ويجيب عنه في رسالة أتته من أسعد أفندي

وحضرتُ مجلسه يوماً وقد أتتْهُ رُقْعةٌ بيتان يتضمنان السُّؤالَ عن حال رَمَدِه، وما يعانيه من كَمَده، مع رسول سيد الفضلا، وسيد النبلا، أسعد أفندي وهو مُدرّس بالسُّلَيْمانية يومئذ، فكلفني الجواب بحضرة رسوله، فكتبت هذه القطعة على مقتضى سُولِه، وهي قولي:

أتـــتْ أبْياتُـــكَ الغُرّ اللَّوَاتِي ... أقَرَّتْ إذ قرأناهـــا العُيُونَـــا
قوافٍ والنجومُ لهـــــا قوافٍ ... تُسيِّرُهـــا سُهُولا أو حُزُونـــا
عرائسُ مثـلُ زهر الرَوْضِ بانتْ ... عَزَالِي السُّحْـب تَسْقِيه هَتُوْنَا
جَلَوْتَ بثاقِـبِ الأفكار مِنْهَا ... عـلى الألحَاظِ أبكاراً وعُونا
فحركت السواكن من ضميري ... إلى اللُّقْيا وضاعَفَت الشُّجُونَا
فـدم يا أسعـد الفضلاء بَدْراً ... امينـاً من مَحَاقٍ بـل مَصُونَا

رسالة إلى السابقي من أسعد أفندي ورد المؤلف عليها

وكتب إليه أيضاً مرة أخرى، وهو بالسليمانية أيضاً بهذه الأبيات كلفني جوابها، وهي هذه:

دُعَـــاءٌ بـــأن يُسْتجـــابَ قمين ... سَلَامٌ نَقِيٌّ كـــــــــدُرٍّ ثمينْ
إلى خِلِّيَ الخالـــصِ السِّرِّ والـ ... أمـــين الوداد محمـــد أمـــين
محبتُـــــهُ لي كحُبِّي لَـــــهُ ... ووالله في صدقِهـــا لاأمـــينْ
لندعو شفاءً لـه ما اسْتَطعنـا ... وإني لأكره حِنْـــث اليَمـــينْ
شَفَـاك وعافاك عن كلِّ ما ... يَسُوءُك لُطْـفُ اللَّطيـف المعينْ

عُيُونُ العِنَايــة والعَوْنُ منْــهُ يَقِينُك فاثبتْ على ذي اليَقينْ
فإيَّــاكَ نَعْبُــد يــا رَبَّنَــا وإيَّـاك في ذا الدُّعَا نستعينْ
تقبـلْ دُعـائي أجبْ حاجتي أمــينُ إلَــهِ البرايــا أمِينْ
بجــاه رسول رءوف رَحــيم نــبيٍّ كريمٍ شفيــعٍ أمِــينْ
عليــــه السَّلامُ سَلامُ السَّلام الاعْـلى الكبـيرُ القويَّ المَتِينْ

فكتبتُ له عن لسانه، وفُهتُ عن جنانه، بهذه القطعة السنيّة، والقوافي الأبيّة، غرّة جمادى الأولى، سنة ألف، قولي:

أطافــتْ علينـا بكأس مَعِين من اللَّحْظِ حسناء من حُورِ عِينْ
تضوَّعُ مسْكــاً وتَرْنُو طــلاَ وتَهْتَزُّ غُصْنــاً يُثَنِّيــهِ لــينْ
وتَبْسمُ عن لؤلؤٍ زَانَــــــهُ نظــامٌ بديــع سَبَـا النَّاظِرينْ
قوافٍ رَأتْهــا نجومُ الدُّجَــى سَوَار فخرَّتْ لهــا سَاجــدِينْ
فما الجوهر الفرد في حُسْنــه ولا اللُّؤْلؤ الرَّطْب بالنظم زينْ
بأحسن منهــا نظامــاً وَقَــدْ وَشَى بُرْدَهــا أسْعَد الفَاضلينْ
بطُرْز سَلاَم إلى خلِّــــه وعبــد ذُرَاهُ مُحمَّــد أمــينْ
شكرتُ أياديــه إذْ أرسَلَــتْ لي المسْكَ في صَفْحَة اليَاسَمينْ
فقبَّلْــتُ منهــا سطوراً حَكَتْ دُجَى طُرَّةٍ في صَبَاح الجَبينْ
اتتــني وعيــنيَ تَشْكُو القَــذَى فزال قَذَاهــا لوقــتٍ وحيـن
فكانـت قميص إبن يعقوبَ أو أمَرّ بهــا اللمسُ رُوحَ الأمــين
وقــد أيقنــتْ بدُعَــا سَيِّــدي وحَقِّــك بُرْءًا بعــين اليَقــينْ
فَــدُمْ أسْعَــد العَصْر فردًا بـه قَرينُــكَ سَعْــدٌ ونعم القَرينْ

وقال في استدعاء كتاب «حسن المحاضرة»

ومما كتبتُ به، أواخر القعدة الحرام عام إحدى وألف، للأخ الأمجد المكين، السابقي محمد الأمين، استدعاء لكتاب حسن المحاضرة:

قـــد جرى في المُحَـــاوره ... وغُضُـــون المُـذاكـــرهْ
ذكرُ سَيحُونَ سَيِّـــــدي ... والـــذي كـــان عَاصَرهْ
من أديـــــب وشاعر ... حيـــثُ مـــا سار سَايَرهْ
وتصفحـــتُ كـــلَّ مـــا ... كـــان عنـــدي فـــلم أرَهْ
من كتـــاب ودَفْـــتر ... غـــيرَ حُسْن المُحَاضرهْ
فتفضَّـــل بـــه وكُنْ ... إن جنـــى العَبْـــدُ ناصرَهْ
لا عَـــدَا رَبْعُـــك الغما ... مُ مليئـــاً وبَاكَرَهْ

رسالة إلى السابقي من سلطان المغرب ورد المؤلف عليها

صورة مثال ورد من المغرب عن الحضرة المَنْصُورِيَّة الحَسَنيّة[1] أسبغ

---

(١) يعني به سلطان المغرب آنذاك، مولاي أبا العباس المنصور بالله أحمد بن عبد الله بن محمد، ابن الخليفة المهدي.

وقد كان اشتغل في أول أمره بالعلم، وأظهر أنه غير طالب للملك، حتى إذا تولى ابن أخيه وعزم على قتل من بقي من أعمامه، حاربه وهزمه واستولى على المغرب وحكمه ثمانية وعشرين عاماً، وكانت العلاقة طيبة بينه وبين سلاطين آل عثمان.

وعرف هذا السلطان بالعلم والأدب وله شعر جيد، وكما هو واضح في النص فقد كان له اهتمام شديد باقتناء الكتب، وكان محمد الأمين السابقي يرسل إليه بها ويبدو أنه قد انقطع عن ذلك فترة لمرضه فأرسل السلطان من يسأل عنه.

توفي السلطان أبو العباس سنة ١٠١٢ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٢٢٢/١، نزهة الألبا ٢٨٩/١ - ٣٠٠.

الله ظلال ساحتها الوريفة، وضاعف جلال سُدَّتها المنيفة، لبعض سكان قسطنطينيّة المحمية، ودار السلطنة السنيّة، وهو الأخ الأمجد المكين محمد الأمين السابقي، وقد كان خدم تلك السُّدَّة والجناب الحسني بكُتُب وقعت الموقعَ من ذلك المقام السَّنِي، وكلَّفني الجوابَ فكتبتُ عنه ماستَطِّلعُ عليه بعد إيراد هذا المثال إن شاء الله تعالى وتقدّس[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، من عَبْدِ الله تعالى المجاهِد في سبيله الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين إبن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسني أيد الله أمره، وأعزّ نصره، بمنه ويمنه آمين، المنزلة التي لاحتْ دلائل محبَّتنا لهذا الجناب العُلويّ من سماء الطُّروس، وأنضج من شواهد وَلاَئها وأمثلة خُلُوصها ما أشرق شروق الشموس، وارتضعت في الاعْتِلاق بحبلنا الحسن طرف الصَّفَا غير حَرُون ولا شَمُوس، مثابَة الفقيه المعتبر الأمين الأرْضَى المكين، الأحْظَى الماجد الحَسِيب، الأصيل العَرِيق النَّسِيب، الزعيم الملاحظ الأثير الوجيه الأديب، الفَهَّامة النِّحْرير المثيل أبي عبد الله محمد الأمين، بالقسطنطينية العُظْمى، زاد اللهُ رتبته عُلاَ، ومُصَاعدته لمراتب الكمال ارْتقا، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد حمد الله مؤلِّف القُلوب المتنائية، تأليف الشَّرْطِيَّة في الالتئام للجَزَائِية، والصلاة والسلام على الرَّسُول الأمين سيدنا ومولانا محمد النور الذي أنقذ اللهُ به من غياهب الهلاك، وأزاح بَهْدِيه ما للزَّيْغ والضَّلال من مُدْلَهمّات الأحْلاَك، وعلى آله ذوي الفضل

---

(١) أورد المحبي الكتابين التاليين في خلاصة الأثر ٢٩٢/٤ قائلاً، وقد ذكر الطالوي الكتاب الوارد إلى السابقي من مولاي أحمد في سانحاته، وذكر في أثره جوابه الذي كتبه على لسانه، وقد عن لي أن أذكرها لئلا يخلو كتابي مما يخاطب به أمثال هذا الملك ويخاطب به... الخ.

الباهر، والسُّؤدد الظاهر، والشَّرف الذي عَزّ عن المساجل والمَفَاخِر، وصحبه الذين أجْرَوا جَدَاول السُّيوف، في رياض الحُتُوف، لاجتناء ثمر نضرة الشريعة، وفتحوا أبواب الجهاد سَدًّا لكل سبيل من النِّفَاق وذَرِيعة، والدعاء لهذه الخلافة الحَسَنية، بتأييدٍ يَهُدّ قواعد الكُفْر هَدًّا، ويَسُوق غَبَدة الصَّليب إلى مَسَاقط سَحَائب المَنَايا ورْداً، فإنا كتبناه إليكم من دارنا العلية، بحضرتنا المراكشيّة، حاطها اللهُ ومواهبَ الله مع الآناء مُتَهَلِّلة الأسِرَّة، وصنائعه الجمة كفيلة بنيل كل مسرّة، شكر الله سبحانه وتعالى هذا، وقد انتهى لمقامنا العَلِيّ من كتابكم المرْعِيّ، الذي لَجّ من سماء بلاغته كل وسْمِيٍّ ووَلِي، ما أقام لكم بنادينا سُوَق الوَلاَءِ على سَاق، ودفع لخلوصكم على صعدة الاحتفاء اللِّواء الخَفّاق، وتمكن ودّكم بهذا الجناب العُلَوي أي تمكين، واستقرَّ من وافر القبول عليه بربوة ذات قَرَارٍ ومعين وأدلى لحجج تُسْفِر عن الأعتلاق بمحبتنا إسفار الصباح، وأدلة هي في مقام الظهور كالشمس في الاتضاح، فتقرر لدينا من حسن اعتقادكم، وصريح ودادكم، على ألسنة الأرسال والأقلام، ما لا يحتاج بعد إلى دليل يقام، والتحف الأدبية التي انتقتها أيدي عنايتكم لخزانتنا العلية، وقد وافت إلينا من الهشِّ إليها، والترحاب بها قسطاً لا يُقدر على تكييفه، ولا تمدُّ أيدي الاستبرابة إلى تَحْويله وتحريفه، نتيجةً عن مُقْدّمات في شكل المضاهاة مُعْملة، غير مُعَارَضةٍ بما يناقضُها ولا مُهْمَلة، والقَدْر الذي تتصوَّرُونه من المبالاة بكم، والاعتناء بشأنكم، لكم عندنا اضعافه مبرة)، مثيرة لديكم إن شاء الله أنواع الجذل والمَسَرَّة، وحظُّكم لدينا ملاحَظَةٌ بعين الإيثار، مرعين من عَلاَئنا بكل اعتبار، واللهُ يتولَّى حرَاستكم، ويبقي نفاستكم، بمَنِّه ويُمْنه والسلام، وكتب به في أواسط جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وتسعمائة.

الجواب عن الرسالة

وصورة ما كتبتُ به على لسانه إلى تلك المواقف الشريفة، والمواطن الغربية المنيفة، أعني السُّدَّةَ الحَسَنيَّة، والأعتاب العَلَويّة، أدام الله تعالى إجلالها، وضاعف إقبالها، وذلك أواخر ذي القعدة سنة إحدى وألف.

وَرَدَ - أدام الله تعالى جلال إقبال الدولة الإمامية، الحَسَنيَّة الشريفيَّة، وضاعف كل حَيِّز جلالها، وعقد رايات آيات النَّصر والظَّفَر بألويتها العَلَويّة المجاهديّة المنصورية، وأسْبغ في العالمين ظلاَلها، ولازال مَقَامُها الشريف المكان والمكانة في الخلافة محموداً، ولواؤها الخَفَّاق بالنُّصْرة الكاملة على الأعداء معقوداً، مضروباً سرادق مجدها الشامخ على هام المجرة والنجم والسِّماك، منوطاً شرفُها الباذخ بمستقر الأفلاك، فرع الدَّوْحة الهاشميَّة العَلَويّة، المتفرع من الأغصان الزكية المرتضوية فيا لها دوحةً زكا غُصنُها الرطيب في الخلافة ونما، من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرْعُها في السماء، مَهْبط الوحي ومنزل الروح الأمين، مقامَ عصمة الإمام أبي عبد الله أمير المؤمنين، مَنْزعُ الهِمَم ومَلاَذُ الإسلام، ومفزع الأمم ومصاد الأنام مقر السيادة والعِزّ المكين، وقرار السَّعادة والنّصر والتمكين، كتاب عن ساحة علا مجدها هام الكواكب، وزاحم شرفها الجوزاء بالمناكب، طلع في سماء الخلافة كوكبها السَّيَّار، وأنار ولمع نوره فكاد سَنَا بَرْقه يذهبُ بالأبصار، نسبُ طاهر، وحَسَب ظاهر، وليس له في شرفه من مُدَان، غير بني عبد المَدان، فللَّهِ كم جَلَتْ سَوَادَ الكُفْر عن المغرب بامواهها بيضُ صِفَاحه، وارتشفتْ من ثُغور اللَمى بأفوه سُمر رمَاحه، وايْمُ اللهِ لقد تبسمتْ ضاحكةً تلك الثغور، من ذلك العَزْم النَّاصِري والرأي المنصور، لازالتْ هامُ الأعداء لسيوفها غِمْدا، يسوقهم

القَدَرُ كلَّ حين لمشرع الرَّدَى وزْداً، منوهاً باسم من تَشَرَّف بانتمائه إلى ذلك الجَنَاب سِمه، وقد شام من مخايل تلك الحَضْرة بارقَ الولا فصدق توسُّمه، فداخَلَه بذلك مَسَرَّةٌ وجَذَل، كادا يَرُدَّان عليه شَبَابَ المقتبل. حيث كان من النِّعم الجسَام، التنويه بذكره في ذلك المقام، فشكرا على نَعْمائه الظَّاهرة، والآية المتظاهرة، وأما التَّنْويهُ بشأن ما خدم به ذلك القِمَطْرِى القَيْطُون[1] الشريف، برسم الخزَانَة العلْمية والقمطر المُنيف، على يد أخينا ذلك الفاضل الأديب، الكامل الأريب، مَنْ نُورُ الفَضْل في جبينه متلالي، أبي عبد الله محمد الفشتالي[2]، خادم السُّدَّة الشريفة، والعَتَبَة المُنيفة، فأمرٌ لا تَفِي الألسنةُ بشكره والأقْلاَم، على توالي الأزمنة ومَرِّ الأيام، حيث وقع الموقع من ذلك الجناب، المُضَمَّخة سُوحُهُ[3] الشريفيّة بالإناب، هذا وإن العبد مازال رافلاً كل آن، في حلل الامتنان والإحسان، مُعْلناً في كل نادي، بشكر تلك الأيادي، التي وصلته من المقام الرفيع ناديه، الفائز بالسعادة حاضره وباديه، فيها على السندس والاستبرق مَزِيَّة، حيث وافقت شعار السادة العَبَّاسِيَّة، على يد قاصد الحضرة عبد العزيز ذلك الشيخ الجليل، فكانتْ جُمَلاً أغْنتْ عن التفصيل، وفي الأعتاب الهاشمية، والأبواب العُلَوية العلية، مكارم

---

(١) القمطرى: الرجل القصير، والقيطون: البيت في جوف بيت، انظر القاموس وشفاء الغليل.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عيسى الفشتالي المغربي، من الكتاب، كان يكتب للسلطان المنصور أحمد الشريف الحسني، الذي أشرنا إليه آنفاً، وله من المؤلفات الممدود والمقصور من سنا السلطان المنصور، ذيل به كتاب وفيات الأعيان لابن قنفذ القسنطيني، وسرور المهج والألباب في رسائل الأحباب. توفى سنة ١٠٢١ هـ.

انظر هدية العارفين ٢/٢٦٩. (معجم المؤلفين ١١/١٠٧).

(٣) السوح: جمع ساحة، وهي المكان الواسع، ويقال أيضاً نزل بساحته: أي نزل به.

أخلاق إن شاءت قامتْ بعُذْرِ خُدَّامها، في التَقْصير عما كان اللأئقَ بمقامها، من إرسال نفائِس الكُتُب الأدَبية، لتتشرفَ بانحيازها إلى تلك الخِزَانة الشريفيّة العلمية، لعارضٍ صبري[1] جَرَّ آخَرَ إليه بالجوار، سلب معهما عن الجَفْنِ الغِرَار[2] والقَرَار، ومولى بابها وعبد جنابها، مولانا عبد العزيز[3] على ذلك شاهدُ عادل بل عَدْل، وحكمُه في هذه القضيّة هو الفَصْل، سيصدق الحضرة المقال، حيث شاهَد بالعِيَان حِكَايَة الحال، والعبدُ مازال في تَدَارُك ما فَرَط في جَنَاب مَوْلاه، في العام القابل إن شاء اللهُ، مواصلاً لَثْم بساط الثَّرَى، متضرعاً لإله يسمع ويرى، أن يُخَلد ذِكْرَ الدَّوْلة المنصوريَّة على صفحات الأيام، ويربِطُ أطْنَاب مَعْدَلَتِها بأوتاد الخُلُود والدَّوَام، إلى قيام السَّاعَةِ وسَاعة القِيَام، بمحمّدٍ وآله وعِتْرته الطَّاهرين، وصَحْبه المُنتخبين، قاصراً عن فاتحةِ ثَنَائه، بنفسه في خاتِمِهِ دُعَائه.

ومما كلف به من كتابةِ تعزية وتهنئة لإبن الأعوج

ومما كلّفني بكتابته، على لسان حَضْرته، وأنا بالرُّوم دار الخلافة،

---

(١) الصبري نسبة إلى الصبر، وهو التجلد واحتمال المكروه، وفي خلاصة الأثر: لعارض جر حرماني.

(٢) الغرار: النوم.

(٣) هو عبد العزيز بن محمد الفشتالي (أبو فارس) وهو أديب كاتب شاعر، ولي الوزارة للمنصور الحسني، ولد سنة ٩٥٦ هـ وتوفى عام ١٠٣١ هـ.

من آثاره: مناهل الصفا من أخبار الملوك الشرفا، ومدد الجيش وهو ذيل علي جيش التوشيح لابن الخطيب.

انظر معجم المؤلفين ٥/٢٦٠، وانظر ريحانة الألبا في العديد من المواضع.

حَمَى اللهُ حِماها عن كُلِّ آفةٍ، غُرة شعبان المعظم سنة اثنين بعد الألف، وقد وَرَدَ عليه من لواء الشام مُكَاتَبة الشَّابِّ الفاضل، والأريحيِّ الكامل، حَسَنِ بن مُحمد الشَّهير نسبُه الخطِير بإبن الأعْوَج[1] وقد ولى لواء سَلَمِيَّة[2]، بعد وصول خبر وفاة والده مُهَنياً ومُعزياً، فابتدأتُ في ذلك والرسول منتظر في صبيحة يوم من أقصر الأيام، ودفعته إلى الرسول قُبَيل ظُهْرِهِ مع الإتمام:

أحَالَ دُموعَ العَيْن في الخَدِّ عَنْدَما[3] مُصَابٌ له سَمْعُ الفلاصُمَّ عنْدَمَا[4]
وخَطْبٌ رُدِي به المجدُ يا له مُصَاباً له ركن المعالي تَهَدَّما
لقد دَرَسَتْ بعدَ الأمير مُحَمدِ مكارمُ قد كانت لحاتم مُنْتَمَى
وكاد يُجَارِي الأسْوَدَيْن[5] ببعضها فيقصُر عنها البحر والقَطْرُ إنْ هَمَى
سَرَى ذكرُها في الخافقين مع الصَّبَا فأنْجَدَ في رَبْع البلاَدِ وأتْهَما

---

(١) هو الأمير أبو الفوارس حسن بن محمد المعروف بابن الأعوج، ولد بحماه ونشأ بها، وقرأ على علماء بلده علوم العربية وغيرها.

سافر إلى الروم في أيام السلطان مراد، واجتمع بمعلمه سعد الدين بن حسن جان فجمعه بالسلطان ومدحها بعدة قصائد فولاه ولاية حماه، ثم عزل عنها ثم ولى إمارة معرة النعمان ثم عزل، وتكررت التولية والعزل عنها مراراً.

وكان مجلسه منتدى للأدباء والشعراء من مختلف الأقطار، واجتمع عنده ما لم يجتمع عند أحد من أدباء عصره، توفى سنة ١٠١٩ هـ.

انظر نفحة الريحانة ٤٢١/٢، خلاصة الأثر ٤٥/٢.

(٢) بلدة في آخر البرية من أعمال حماه، بينها مسيرة يومين، وكانت تعد من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ١٢٣/٣.

(٣) العندم: نبات أحمر يصبغ به، يشبه به الدم.

(٤) أي عندما سمعه.

(٥) الأسودان: تثنية الأسود، ويطلقان على التمر والماء أو الماء واللبن.

أميرُ عُلاً شُلَّتْ يدُ المجدِ بَعْدَهُ ... وأمْسَى به كفُّ المكارم أجْذَمَا
وقد كان يَغْشَى اللَّبْثَ واللَّيثُ مُشْبِلٌ ... ويُورِدُ يومَ الرَّوْعِ أسْيَافَهُ الدِّما
ويَدَّرِعُ الهَيْجَاءَ درْعاً وشَاحُها ... قَناً تَخِذَتْ سَيْفَ المجرة لِهْذَما
سقت قبرَه الروض الأريض سَحَائبٌ ... تضافُ إليه لا إلى صَيِّب السَّمَا
إلى أن أباح الدَّهْرُ من بعدهِ حِمَى ... حُمَاةَ فأضْحَتْ بعده الدَّهْرُ أيِّما
وفارقَ منها الأعْوجيُّ مَرَابطاً ... وعُرِّيَ طرفُ الجُودِ عنها مُطَهَّما
وفاضتْ عيونُ الزَّور(١) فيها وجَرَتْ ... على فَقْدِه فوقَ البَسِيطَةِ عَنْدَمَا
وزاد بها العَاصي عُتُوًّا(٢) وكم أتى ... له طائعاً من قبلُ يَجري وقد طَمَا
وقد خفيتْ صوتُ النواعير بَعْدَما ... أقامتْ عليه بالنَّوائح مَأْتَما
وأظهرتِ الشَّكْوى وزادَ نحيبُها ... وأنَّتْ أنينَ المُرْزَمَات تألُّما
فإنَّ لها من فَرْعِهِ من زكَتْ به ... أصولٌ وطيبُ الفَرْعِ بالأَصْلِ قد نَمَا
فيا حَسَنَ الأفعال هُنِّيتَ منصباً ... وعُوِّضْتَ عَمَّن فات أجْراً مُعَظَّمَا
ولا زلتَ يا رَبَّ الفَضَائِلِ والعُلاَ ... تَقُودُ إلى الأعْداء جَيْشاً عَرَمْرَما
أميرُ لواءِ الفَضْلِ قائدُ جيشه ... بعَزْمٍ وحَزْمٍ في الأوامر صَمَّمَا

---

(١) يقصد بعيون الزور أفرع النهر التي تخرج من الزور، إذ هو نهر يصب في دجلة قرب ميافارقين انظر معجم البلدان ٢/٩٦٧، وهذا هو المعنى القريب أما المعنى البعيد فإنه يعني به العيون السيالة بالدموع، وهو ما يقصده هنا، وهذا ما يسمى في البلاغة بالتورية، يطلق القائل لفظاً له معنيان ويريد البعيد منها.

(٢) العاصي: نهر حماه وحمص وسمي العاصي لأن الأنهار كلها تتجه جنوباً أما هو فيتجه شمالاً، وقوله إنه ازداد بها عتوا يجوز أن يكون استعارة مكنية إذ شبه النهر بالإنسان العاصي المتجبر وحذف المشبه به ثم رمز له بشيء من لوازمه وهو العتو، كما يجوز أن يكون تورية والشاعر لا يقصد هنا النهر الحقيقي بل الشخص العاتي الذي كان متكامناً في حياة القاضي ابن الأعوج ثم تجبر بعد وفاته وعتا.

(٣) هذا البيت.

فقد قيل فيمن سُرَّ بعد عزائه وأصبح بعد الحُزْنِ جَذْلاَن في الحِمَى
هَنَاءٌ مَحَا ذَاكَ العَزَاءَ المُقَدَّما فما عَبَسَ المَحْزُونُ حَتّى تَبَسَّمَا
وهَاكَ فَخُذْهَا غادةً بنتَ ساعةٍ عَرُوساً أتَتْ تَبْغي حِمَاهُ تكرُّمَا
عَلَيْها عُقُودُ المَدْحِ دُرًّا مَنَظَّمَا وقد وُشِّحَتْ منه التَّرائبُ والغَمَا
فَمُنَّ عليها بالقَبُول فَحَسْبُها قَبُولَكَ يا مولاي لا زلتَ مُنْعِمَا

وأتبعتُ ذلك بنثر هو:

«نَبتهلُ بالضَّراعةِ إلى الله عزَّ وجلَّ أن يَلْطُف بعباده في كُلِّ فَادح أمْرٍ نَزَل: ونستلْهِمُه جميلَ الصَّبْر على بلائه، ونستنزلُه جَزِيلَ الخيرِ فيما ابْتَلَى به أولياءه، لا رَادَّ لأمْره، ولا مُعَقِّب لحُكْمه، خَلَق الموتَ والحياة، وجعل الأرضَ للأنام كفات[1]، بعد أن أجْرى على البَرِّيَّة بمشيئته حُكْم المنيّة، فما هذه الدنيا الدّنيّة، غير شَرَك البليّة، ودار مَمَرٍّ لا مَقر، مشُوب صَفْو مَشْرَبِها بالكَدَر:

دارٌ متى أضحكتْ أبكتْ غداً تُبًّا لَهَا منْ دَار

فاللهُ يحفظ لنا حُسْنَ رِضاه: ويثبِّتُنا على ما سَرَّ أو أحْزَن مما به قَضَاه، من وُرُود خَبَر الخَطْبِ الذي صَغُر كُلُّ خَطْب عنده، وهَوّن على النُّفُوس تَحَمُّل المُصَاب بَعْده، فياله خطبٌ أطَّتْ[2] عند ذكره الأضْلاع، وصُمَّتْ لدى استِماعه آذانُ الأسْماع، تَسَاوَى النَّشَاوَى والصُّحَاةُ فيه، وطَفِقَ كُلٌّ يَسْترجعُ بملْءِ فِيه، وما هو إلّا أنَّ شَامِخ طَوْدِ الأعَاظِم، وبَاذِخُ بيت

---

(١) كفات: يقال أرض كفات: أي جامعة للأحياء والأموات، وفي التنزيل العزيز «ألم نجعل الأرض كفاتاً».
(٢) أطت، صوتت، أو أنت من تعب أو ألم.

الشَّرَفِ والمَكَارم، خَارَتْ إلى الأرْضِ دِعَامَتُه، وشالتْ إلى دار النَّعِيم نَعَامَتُه، مستبدلاً بدار الغُرُورِ الفَانِية، دارَ السُّرُور الباقية، رغبةً في جِوار رَبِّه، وما أَعَدَّ له من نَعِيم قُرْبه:

وما هو شَخْصٌ قَضَى نَحْبَهُ ولكنه أُمَّةٌ قد خَلَتْ

فإنا للهِ وإنا إليه راجعون، ﴿إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتُون﴾[1]، ومع ذلك لا يخفى على عِلْم المَوْلَى - لا وجدت الحادثات إليه بعد ذلك سبيلا - أن الجزع على الغائب لا يَرُدُّ - واللهِ - فَتِيلا، كما أن الأَسَفَ لا يُحْيِي من رَاحَ بسيف المنية قَتِيلا.

يُدْرِكُ المَوْتُ كُلَّ حيٍّ ولَوْ أخفَتْه في حُضْن سَرْجَها الجَوْزَاءُ

على أنّه من بقيت في الدنيا مآثره، ونُشرَتْ بعد ما طوى فيها مفاخره، فهو حَيٌّ ما اختلف المَلَوَان، وتعاقب الجَدِيدان، فكيف بالذي ما اختار الرفيق الأعلى حتى استبقى بعده ذِكْراً حَسَناً، وهو جناب سيدنا المولى، مَتَّع اللهُ ببقائه الأيام، وشد عَضُدَه بإخوته السُّراةِ الكِرَام.

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيتُ سَيِّدهمُ مثلُ النُّجُوم التي يُهْدَى بها السَّارِي

فهو عِماد مَجْدها، وطَلَّاعُ ثنايا نَجْدِها، هَذَا ومن الأَلْطَافِ الإلهيَّةِ، وانعطافِ الأعطافِ السَّعِيديَّة، الإنعامُ عليكم بإمْرَةِ لِوَاء سَلَمِيَّة، فالحمدُ لله الذي أذْهَبَ عنّا الحَزَن، بولاية سيدنا الحَسَن، إنَّ ربنا لكريم، وبعباده رَءُوفٌ رحيم، وسيدنا يعلمُ أنَّ أول الغَيْثِ قَطْرٌ لا يُعْقِبُه رَيْب، والوداد من المُخْلص للسَّيِّد المتخصِّص، على أتَمِّ الخُصُوص، وهو كما يشهد به قلبه كبُنْيانِ مَرْصُوص، وبعد إهدائي لحضرته أرج سَلَام كالنَّسيم

(١) سورة الزمر، الآية ٣٠.

السِّحْريّ، والشَّمِيمِ الشِّحْرِي، أُودِعُه القَلْبَ وأنَا بِهِ ضَنِين، على الثِّقَة منه إنه أمين.

ومما قاله في ناسخ أبطأ عليه بكتاب

ومما اتفق لي معه، أنني دفعتُ على يده رسالةً لناسخٍ فأبطأ بها وفات الميعاد، فكتبت إليه بهذه الرسالة متعرضاً للنَّاسخ، وكان من قَرْيَةِ أيْدِيجَك، ممَّن يلوذُ بِجَنابِه، ويَنْتَمِي إلى أعْتَابه، وذلك غُرَّة شوّالٍ سنة اثنتين بعد الألف، قولي:

«إنْ كانتِ البقاعُ، لها تأثير في الطِّباع، والقُطْر الوَخِيم، له الأثر في الخِيم، والتُّرْبَة المَذْمُومة، تُؤْثِر في الأَرُومة، والبَلدُ البعيدُ عن الاعتدال، على فساد الأمزجة دَالّ، بل قال الله تعالى: ﴿والبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بإذْنِ رَبِّه، والذي خَبُثَ لا يَخْرُج إلَّا نَكِدَا﴾[1]، فَشَرُّ بَلَدٍ ما كان في هَجْمَة، ووُسِمَ بتَحَضُّرٍ وعُجْمَة، أو وقع في أرض بِنَجْوَة، بين شاهقٍ وفَجْوَة، جِيلُهُ في الأَشْكَالِ نَاسٌ، وفي الأفعال نَسْنَاس، قال اللهُ تعالى ﴿مِنْهُمُ القَرِدَةُ والخَنَازِيرُ وعَبَد الطَّاغُوت﴾[2].

يـا قَبَّـحَ اللهُ بَنِي السِّعْـلاَتِ عَمْرُو بن يَرْبُوع شِرَارُ النَّـاتِ
لَيْسُوا بأخْيَـــارٍ ولا أكْيَـــاتِ

وسيدنا لا بَرِحَ جِيدُ الأَدَب حَالِياً بعُقُودِ مآثِرِه، ورَوْضُه مُحَلَّى

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٨.
(٢) سورة.

بزَوَاخِرِ جَوَاهِرِه: مذ وَهِلَت[1] إليه شَوَارِدُ الأدَبَ بالإينَاس، يَعْلَم أن الرَّاجِزَ أرادَ النَّاسَ والأكْيَاس، فأبدل التاء من السين، وهو بلُغةِ العَرَب قَمِين، وأمَّا السِّعْلاة فَسَاحِرَة الجِنِّ في الفَلَوات، وفي قريض أديبِ مَعَرَّةِ النّعمان، لشائنه المَعَرَّة والدِّمَان، بصفة حاله ببغداد مع مطاياه، مُلَمِّحاً لما قَصَّهُ بعضُ العَرَب في حَكَاياه:

إذا لاح إيماضٌ سَتَرْتُ وُجُوهَهَا كَأَنِّيَ عَمْروٌ والمَطِيُّ سَعَالِي

وقد كان المولى ثَبَّتَ الله به وَطْأَة الأَدَب، قَصد نَهْضَة مُحِبِّه بإبْلاغ الأَرَب، فأمر بدفع تلك الرِّسَالة لشَخْص من أولئك الجيل الأَغْنَام، على أنه بنسخها كَفيلٌ بستَّةِ أيّام، فقد انقضتْ عنها شهور الصيَّف، وانصرم الوقتُ بين أسَفٍ وحَيْف، فكأنما حَلَّقَتْ بها فَتْخاء الجَنَاحين، وبذلك على القلب جَنَى الحَيْن:

تبًّا لـه من خَـادِعٍ مُحَـاذِقِ أصْفَرَ ذي وجهـين كالمُنَافِـقِ

أما الحقيقيُّ فمنْقُوب، وما قَابَلَهُ فمثقوب، لا مُسْكَةَ له ولا مَسَكَة[2]، وذاك مثل ظهر السمكة، دُوَدة كالخَنَّاز[3]، وكَفَلْكَةِ[4] مِغْزل دار:

مثـل طِـيزِ القرد في أسْفَلِـهِ شَعَرَاتٌ قـد سَكَنَّ المَخْرَجـا

---

(١) وهلت: فزعت إليه.

(٢) المسكة بضم الميم وسكون السين: الرأي والعقل، وكذلك الأصل، والمسكة بالفتح الشجاعة.

(٣) الخناز: الوزغة، وهي التي يقال لها سام أبرص، وقد جعلها بالراء المهملة مراعاة للسجع.

(٤) الفلكة من المغزل: القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تجعل في أعلاه، وتثبت السنارة من فوقها وعود المغزل من تحتها.

أو كسَلْحَة الرَّمْكَه، ثَقَبَتْها مناقيرُ الدِّيَكَة، وهو - لا زال الأدب يلهج بذكره، وينهج طريق شُكْرِه - ، يَعْلَم أن الرَّمْكة أُنْثَى البَرَاذين[1]، وأكثر مَسَارها أَشْرَاج بلواج، ومسارب أيْدِين، قريةٌ بساحل البَحْر، اجتاز بها بعضُ التَّجْر، فسأل أهلها عن دِينهم، فقالوا له: أيَّ دين؟ فسميت بذلك ثم لحقها التحقير، والكافر ذليل حقير، وفي الحديث: «اطلبوا الخيرَ عند حِسَانِ الوُجوه»، ومن أمثالهم: «قُبِّحَ اللَّكَعُ ومَنْ يَرْجوه.»، وهو - أمتعَ اللهُ الأدبَ بطُولِ بَقَائِه، ودَفَعَ السُّوءَ عن شريف حَوْبَائه - عالمٌ بأن ذلك الناسخ، قَدَمُهُ في المَيْن رَاسِخ، ومع هذا لالوم عليه ولا تَثْريب، لأنه فيما أجتهد كان مُصِيب، فإن المؤمن غِرٌّ كريم، والكافر خِبٌّ لئيم، وهل يُثبتُ العَيْرَ إلَّا شَحِيجُه[2]، ويُنبِتُ الخَطِيَّ إلا وَشِيجُه[3]، ورُبَّ سَاعٍ في وَطَر، عَرَض دُونه القَدَر.

على المرء أن يَسْعَى لما فيه نَفْعُهُ وليس عليه أن يُسَاعِدَه الدَّهْرُ

والآن شَبَّ عَمْرُو الصَّبْرِ عن الطَّوْق، وأدَّتْ الشِّرعة إلى غاية العَوْق[4]، فإن رأى المولى أدام الله له المَسَارَّ والمَحَابّ، استرجاعَ الرسالة الرَّاضية من الغنيمة بالإياب، فشِنْشِنَة أخْزَمِيّة[5]، ويَدٌ أعرفها له

---

(١) البرذون، جنس من الدواب يختلف عن الخيل العراب في أنه ضخم الجثة غليظ القوائم، وقد جعله المؤلف بالدال المهملة ليتوافق السجع.

(٢) العير: الحمار الأهلي والوحشي، وشحيجه: صوته.

(٣) الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط، وهو موضع ببلاد البحرين تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تباع به، والوشيجة: عرق الرمح الذي ينبت عليه ويتصل به، والمعنى أن الشيء الجيد لا ينبت إلا جيداً.

(٤) الشرعة: الطريق، والعوق: العائق والحائل دون بلوغ الأمر.

(٥) الشنشنة: العادة الغالبة، وفي المثل: «شنشنة أعرفها من أخزم» يضرب في قرب الشبه من الخلق.

سَابِقِيَّة، وأنا أُهْدِي سامي حضرته أبرح سلام كورد الرياض في بهجته، ورَنْدِ الحياض في نُضْرَته:

بَاتَا مَعاً في رُبَى وَشَتْ مَعَاطِفَها ... أيدي الحَيَا وكَسَتْها ثَوْبُ أزْهَارِ
كأنَّ أغْصَانها والرِّيحُ تَعْطِفُها ... معاطفُ الغِيدِ مَالتْ قَصْدَ أوْطَارِ

أبيات في رد هدية بمثلها

ومما اتفق بالديارِ الرُّوميةِ، دارِ السَّلطنةِ السَّنِيَّة، أواخر المحرم عام اثنين بعد الألف ما كتبتُ به إلى الجناب العالي، والأخ الموالي، يحيى أفندي بن الشيخ كمال الدين[1] الدفتري بالشق الثاني، مع خوخة عَسَلِيَّة، وقد تَقَدَّم منه ما أوجب ذلك، قولي:

ذَاتُ مولايَ في الذَّوَاتِ عَلِيَّه ... كيف لا والكَمَال فيها سَجِيَّه
هو فيها أصلٌ وفي الناسِ فَرْعٌ ... ولأصْلٍ على الفُروع مَزِيَّه
نسبٌ طاهر وعِرْقٌ شريفٌ ... فجميعُ الأنام فيه سَوِيَّه
وعطاءٌ مثلُ الغَمَام رَوِيّ ... وسجايا غرٌّ ونَفْسٌ زكيّه
خَصَّني منه وهو بالروم غَيْثٌ ... أذكرتْني خُلْجَانه المِصْرِيّه

---

(١) هو يحيى افندي بن زكريا بن بيرام، شيخ الإسلام ومفتي الديار الرومية في عصره وقاضي العسكر، ولد باستامبول سنة ٩٩٩ هـ ونشأ بها، وولي قضاء الشام ثم نقل إلى قضاء مصر، وعزل، وولي قضاء بروسة ثم قضاء أدرنه فقضاء استامبول، وعزل وولي مراراً، إلى أن توفي عام ١٠٥٣ في الروم ايلي، كان له في عصره الشأن الرفيع، ومدحه كثير من الشعراء، وله نظم عربي، منه تخميس البردة.
انظر خلاصة الأثر ٤/٤٦٧.

حـين وافـى مُكَرَّراً بهـاتٍ حُلْوَةٍ في مَذَاقِنـا سُكَّرِيـه
وقعدنا عن سُكر الشكر عجزاً فبعثنـا بخُوخَـة عَسَلِيّـه
ولنـا العُذْرُ في القُصُور وقَدْ قيـ ـل بقَدْر الهَادِي تكُون الهَدِيّه
والفقيرُ الحقيرُ يَصْبُو إلى الشَّا مِ ولكنْ بالقِسْمَـةِ العَسْكَرِيّـه
دَام يَحيى في ظِلِّ عيشٍ ظَلِيلٍ وبَنِيـهِ بِجَـاه خَيْر البَرِيَّـه
مـا رقت للسماء هِمَّةُ بازي الـ ـجُوِّ فصـادتْ دَجَاجَةً ذَهَبِيَّـه

قوله في الدجاجة الذهبية

قولي دَجَاجَةٌ ذهبية، تَلْمِيحٌ لما كلَّفَني به على لسانه جوابُ مكاتبةٍ وردتْ من دمشق الشَّام من بعضِ الإخوان، وهو الشَّيخُ نُعْمَانُ الإيجي، وفي صدرِ تلك المكاتبة أبياتٌ أُضَمِّن آخِرَها قول القائل:

ذَهَبَـتْ دَجَاجَتُنَـا الَّـتي كانـتْ تَبِيـضُ لَنَـا الذَّهَـبْ

صورة ذلك قوله:

من كـان ينفعُـه الأَدَبْ ويُحلُّـه أعْلَـى الرُّتَـبْ
فلقـد خسِرْتُ عليـه مَـا وَرِّثْـتُ من أُمٍّ وأبْ
كم رزْقـةٍ كانـتُ تصُو نُ الوَجْـهَ عن ذُلِّ الطَلَـبْ
أتلفتُهـا لا فِي القِيَـا ن ولا هَوَى بِنْـتِ العِنَـبْ
بـل في الحَوائِـج والحوَا دِث والعَوَارض والنُّوَبْ
كم قلـتُ لمـا بِعْتُهـا وحصلـتُ في اسر الكُرَبْ:
«ذهبـتْ دَجَاجتُنـا الـتي كانـتْ تَبِيـض لنا الذَّهَبْ»

وهذا ما أجبتُ به عن لسانه مداعباً:

خسر الَّـــذي بَـــاعَ الأدَب بالبَخْسِ في سُوقِ الطَّلَـــبْ
أو مـــا دَرَى أن القَنَـــا عَـــةَ للفـــتى مـــالٌ يُحَـــبْ
ورأى بـــــأن الحرَّ يَقْـ ـنَـــعُ بالقِليـــل من النَّشَبْ
مـــا رِزْقَـــةٌ كانـــتْ تصُو ن ومـــا الـــذي ورثـــه أب
حاشا لمثلـــك من هَوى الـ ـقَيْنَـــات أو بنْـــت العِنَـــبْ
أو ناعم أطْرَافُـــــــهِ عَـــذْب اللِّمَـــى حُلْوِ الشَّنَـــبَ
في كفـــه لَهَـــب المُـــدَا مِ وفي الحَشَا مِنْـــه لَهَـــبْ
كم من أخ كنَّـــــا نَظُنّ بـــه إخـــاءُ ذَوِي النَّسَبْ
حـــتى بَلَوْنـــاً ودّه فـــازورّ يُنْشِدُ في غَضَـــبْ
ذهبـــتْ دجاجَتُنَـــا الـــتي كانـــتْ تبيـــضُ لنـــا الذَّهَـــبْ
هَـــلاّ تذكَّر ديكَهـــا إذ صـــاح صيحتُـــه العَجَـــبْ
صُعِقـــتْ دجـــاجُ الحيِّ منهـــا فهي في قَفْـــصِ الكُرَبْ
وغَـــدَا يُقَوْقِي حَوْلَهـــا والقَلْـــبُ من خَوْفٍ وَجَـــبْ
فاشكرْ لبـــازي الجَوِحَيْـ ـثُ حَمَى الحَمَامَ مِن العَطَبْ
لولاهُ أصبحـــتِ الدّجـــا جـــةُ لا جَنَـــاحَ ولا ذَنَـــبْ

ردّ على رسالة مداعِبة

سهرتُ عنده ليلةً بداره صقيبة مسجد أيا صوفيا وجِواره، وقد كان

أرسل إليه المولى الفاضل شَيْخُ المنطِقِ والمعاني، المُنْلا تَوْفيقِ الكِيلاني[1]، رُقْعَة تَتَضَمَّن مداعبةً، وبعثها إلى جنابه مُطَايَبَةً، يذكر فيها دَجَاج، وقهوةً لم تكن أُجاج، فكلَّفني عنها الجواب، ولم أر الرُقْعة المُرْسَلة، فكتبتُ بهذه الرسالةِ عن لسانه بعد المسألة، بقولي:

« طريقُ التوفيق لسلوك الشريعة خَيْرُ منهاج، قطُوبى لمن عَرَّجَ على منيع حِمَاهُ وعاج، وأمَّ يَمَّ زاخرِ علمه العَجَّاج، وقصد مَائِر بَحره المَوَّاج، حكيم إشاراته لطَرَف المَشَّائِين مَعَاج[2]، وتَلْويحاتِ مُطَارحَاتِه لِمشَارعِ الإشْرَاقِيِّين مِعْراج، كيف لا وشفاءُ مَنْطِقِه لعليل المزاج، نجاةٌ عن كليلاتِ قانونُ العِلاج، وإشرافُ رأيه في ليل المشكل الدَّاج، مستنيرٌ مثل ضوء السِّراج، أو كمشْكاةٍ فيها مصباح في زجاجة من خالص الزُّجَاج، الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرِّيٌّ وَهَّاج، فما الليثُ عند الهياج، إذا نَصَب نفسه للبحث واهتاج، واشتدّ من الخَصْم الضِّجاج، وطال من القرْن العِنَادُ واللَّجَاج، والغيثُ وهو ثَجَّاج، صادقٌ نوءَ المِرْزَمِ نَاج[3]، مَتَحَتْه دَلْوُ النجومِ فخافها العِنَاج[4]، فَسَحَّ على الأرض الجُرُزِ[5] ذاتِ الفِجَاج.

(١) المنلا توفيق بن محمد الكيلاني، نزيل القسطنطينية، أحد المحققين المشهورين بالفضل والحذق التام والمعرفة في الفنون الغريبة كالحكميات والإلهيات والرياضيات، حصل ودأب في بلاده ثم قدم إلى آمد واتصل بحسن باشا والي الشام وأقام بها مدة، ثم رحل إلى الروم وانحاز إلى الوالي سعد الدين بن حسن جان معلم السلطان، فعينه معلماً لأولاده، واتخذه نديماً ومصاحباً فاشتهر أمره وذاع صيته، حتى توفى عام ١٠١٠ هـ

انظر خلاصة الأثر ١/ ٤٨٠.

(٢) معاج: عودة ومآب، من عاج إذا عاد ورجع.

(٣) المرزم ويقال أم مرزم هي الريح أو ريح الشمال الباردة، والنوء: المطر، وناج: صاح.

(٤) متحته: جذبته، والعناج: حبل أو سير يشد تحت الدلو ويتصل طرفاه من أعلاها بما تتصل به آذانها، فإذا انقطعت آذانها أمسكها أن تقع في البئر.

(٥) الجرز: الجدباء.

بأجرأ منه على القِرْن الهِمْلاج[1]، وأحْرَى بإغْنَاءِ الفقير المُحْتاج، وردتْ لا زالت طالعة لدى السَّعْدِ الأكبر في رَوَاج، ما نَفَق سُوقُ الأدبِ في تلك الشِّدَّة ورَاج، منه رقعة من التَّاج على الحَجَّاج، بيضاء كصحيفةِ العَاج، سوادُ سُطُورِها نَوافِجُ مسكٍ غير نَفَّاج[2]، أو مُجَاجَة حَوض المُزْن ترمي به الأمْوَاج[3]، وقذفتْ به إلى العَرين الأثْبَاج[4]، مُبَشِّرَةً بأن المولى لا زالتْ مُوافَقَة كَدْخَدَاه الهَيْلاج[5]، مُوَفَّقاً لازدراءِ الخَشْكُنة لها الكَوْكبةُ تَاج[6]، تلبَّدَتْ عليه سوداءُ كَعَرْفِ دُبٍّ بَرِقَ نَحْرُه فهاج، من أكبر دِبَابِ صَحَارِي بِلْواج، قصد زيارة مُحِبِّه وهو في وعده ليس بسَدَّاج[7]، فحصل له بذلك سُرور وابتهاج، والمنزلُ كما يعلم على عادته ليس دُونَه رِتاج، وقد فُرِشَت فيه بُسُط الديباج، والنارق مصفوفة على الرَّوابي كالأدْرَاج[8]، وقد أخْضر من سمين الدَّجاج، ولحم طيرٍ مما تشتهي الأنْفُس كالأوِزِّ والسُّمْن

---

(١) الهلاج: السريع السير في خفة وتبختر.

(٢) النوافج جمع نافجة، وهي وعاء المسك من جسم الظبي، وغير نفاج أي غير نفاذ الرائحة شديدها.

(٣) مجاج المزن: المطر.

(٤) الاثباج جمع ثبج: والثبج: وسط الشيء تجمع وبرز، ومنه: ثبج البحر وثبج الصدر.

(٥) الكدخدا والهيلاج: هما كوكبا المولود، فالأول لرزقه والثاني لعمره، فإن ولد في صعوده كان زائداً فيه، وإن كان في هبوطه كان بعكسه: وهذا مما ذكره الحكماء والمنجمون وأرباب المواليد وعربوه قديماً. قال ابن الرومي في الربيع:

ذو سماء كأدكن الخز قد غيمت وأرض كأخضر الديباج
فتجلى عن كل ما يتمنى موضع الكدخداه والهيلاج

(٦) الخشكنة أو الخشكنان خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة وتملأ بالسكر واللوز والفستق وتقلى، والكوكبة: النجم أو الزهرة خاصة.

(٧) السداج: الكاذب.

(٨) الأدراج: جمع درج، وهو السلم.

والدُّرَّاج[1]، مع ما يلي ذلك من نفيس الأطعمة التي توافقُ المِزَاج، كالتطماج[2] والإدماج، والزيرباج والسّكباج[3]، ونفائس الأشربة السُكَّرية مع الكُلاّج[4]، مصفوفة في صحون العِجَاج، عليها معالقُ من فِضَّة قَدَّرُوها للإمْلاج[5]، وفُقَّاع[6] الزَّجاج، كذَوْبِ تِبْرٍ رَجْرَاج، فيه غَوَالِي الطِّيب أمْشَاج، والقهوةُ قد مُزِجَتْ بالصَّنْدل الشِّحْري أيَّ امتزاج، فمسكُ دَارِين لنَكْهَتِها مُحْتَاج، كزَبَادٍ في زَبَادٍ[7] ذاب فَمَاج، يطوفُ بها ولدانٌ مَخَلَّدُون، بأباريقَ وصحافِ جُون، وفي ذلك فليتنافِس المُتَنَافِسُون، وقد أحضر العُودَان، فأما ما يحرَّكُ فهو من السَّاج، وأما ما يُحَرَّقُ فماريّ النتاج[8]، إلى غير ذلك مما المجلسُ إليه مُحْتاج، من مقدماتِ ضَرُورية الإنْتاج، وبقدُوم سيدنا المولى يتمُّ المَرام، فليتفضل مُنْعِماً بالحُضور والسلام.

---

(١) الدراج: طير يدرج في مشيه يشبه الدجاج الرومي.

(٢) التطماج: نوع من الطعام، ووقع في بعض كتب الأطعمة تسميته لاكشه، وورد في شعر عرقلة:

ألا رب طاه جاءنا بعد فترة بأطباق ططماج أشف من الثلج

انظر شفاء الغليل ١٨٠.

(٣) السكباج: طعام يعمل من اللحم والخل والبصل والكراث والعسل مع توابل وأفاويه القطعة منه سكباجة.

(٤) الكلاج: نوع من الفطائر يصنع من طبقات رقيقة جداً ويحشى باللحم ويحلى بالسكر.

(٥) الاملاج: الامتصاص.

(٦) الفقاع: شراب يتخذ من الشعير يخمر حتى تعلو فقاعاته.

(٧) الزباد: الطيب.

(٨) ماري النتاج: أي هو دخان متردد في الهواء.

مكاتبة من المولى أبي السرور البكري وجوابها

ومما دعت الضَّرُورة لكتابَتِه بالديار الرُّوميّة أيضاً على لسانه، والتفوض به عن جنانه، جوابُ مكاتبةٍ وردتْ عن الديار المصرية والقاهرة المُعزِّية، صدرت إليه عن شيخ الإسلام المشهور بالمولى أبي السرور البكري الصديقي، أمتع الله الأفاضل بوجوده، وأسبغ عليهم من ظلال كَرَمِهِ وجُوده، وذلك عام ثلاث بعد الألف، قوله:

لو أذِنْتُمْ لطيِّبٍ من نَسِيم ... بسَلَامٍ يُحْيي فُؤَادِ السَّلِيمِ[1]
لتلقّاه من وَدَادِي قَبُولٌ ... قانِعاً من شَذَاكُمُ بشَمِيمِ
أولو أنَّ الرَّسُولَ وافي برَقْمٍ[2] ... لحبٌّ من شَوْقِهِ في جَحِيمِ
كانت النَّارُ مثلُ نارِ الخليل ... تَنْطَفِي بالسَّلام والتَّسْلِيمِ
حين وافى الإخْوانَ منكم طُرُوسٌ ... نظمُها فائقٌ كَدُرٍّ نَظِيمِ
ثم جاء الأنامُ نحوِيَ سَعْياً ... يسألُوا الصَّبَّ عن نَبَاكِ العَظِيمِ
هل تَنَاسَى الأميرُ منكم وِدَاداً ... أو ثناه الحُسَّادُ بالتَلْوِيمِ
قلتُ كلاَّ فإنَّ وُدَّ أمِيري ... مُحْكَمُ النَّصِّ كالكتاب القدِيمِ
إنّ يَحيى الأميرَ أعظمُ مَوْلًى ... لا يُبالي بعاذلٍ أو زَنِيمِ
إنما الكُتْبُ للمباعدِ مَعْنًى ... يكتفي بالرُّقُومِ أهْلُ الرُّسُومِ[3]

---

(١) السليم: الملدوغ، وهو يسمى بالسليم تيمنا بشفاءه وسلامته.

(٢) الرقم بمعنى المرقوم والرقم: الخط.

(٣) أهل الرسوم: أي أهل الدواوين، والرسوم: الأشياء الرسمية التي يهتم أصحاب الدواوين بأن تأتي إليهم مكتوبة.

ثم أعقب هذه القطعة البديعة بنثرٍ هو لطراز حُلّة الأدب وشِيعَة[1]، بل كأنه سَنَنُ الفريد[2]، قد وَهَى من نَحْرٍ وجِيد، هو قوله - أسْعَد اللهُ جَدَّهُ، وأدام عِزَّهُ ومَجْدَه: «خَلَّد اللهُ تعالى لدولةِ المجدِ والسَّعَادة، وعُدَّة الفَخْر والسِّيَادة، وسُمُو مَرَاتبٍ يَعْتَذِرُ عن لَحَاقِها طَائِرُ الجَوّ، وعلوّ مناقب تَكِلُّ عن بلوغها رياحُ الدَّوّ، وسُبُوغ نِعَمٍ لو أُذِنَ لسُكَّانِ الجَنَانِ سمعتْ أنباءهَا لطاب إليها الخَبَر، وبُلُوغ آمالٍ هي العينُ بل إنْسَانُها وسَوَادُها الأَثَر، بقاءُ سَيِّدنا ومولانا وحبيبِنا وعزيزنا المقرَّ الكريمُ العالي، فَخْرُ أربابِ الرُّتَبِ العَوَالي، عينُ أعيانِ أُمَراءِ الدَّولة السُّلْطانية، وكبراء الخلافة الخَاقَانِيَّة، حضرة مولانا يحيى أفندي، ولا زال يُسْدِي المعروف لأحبابه ويُهْدي.

فكتبتُ على لسانه، وأنا على جَنَاح سَفَرٍ إلى الشام، بما يُخْجِلُ الدُّرَّ التُّوَام، في سلك النِّظَام، وهو قولي:

أسلام من قول رَبٍّ رَحِيم ... فَغَمَ الرُّوحَ منـــه رُوحَ نَسِيمِ
جازَ بَانَ الحِمَى وكُثْبَ المُصلى ... واللِّوى وانْثَنى بعَرْفٍ نَمُومِ[3]
فيــه من بَانَتَيْ زَرُودٍ وحَزْوَى ... نَفْحـةٌ شَمَّهـا شفـاء السَّقِـيمِ
فكـأن الصَّنَا ثنتْ[4] مِسْكَ دَارِيـ ... ـنَ إليـه في جُنْـحِ لَيْـلٍ بَهِيمِ
أو خَطَـتْ مَطْلَعَ الغُوَيْرِ فمرَّتْ ... بـين بانـات روضـةِ المَرْهُومِ[5]

---

(١) الوشيعة: التطريز الملون.

(٢) السنن: المثال والطريقة، والفريد: الدر إذا فصل بين حباته بغيره من نحو فضة أو ذهب.

(٣) العرف: الرائحة الزكية والنموم: المنتشرة الفائحة.

(٤) نثت: أذاعت ونشرت.

(٥) المرهوم: الذي أصابه الرهام وهو المطر.

أو مَشَتْ بالأراك من سَفْحِ نَجْدٍ فانثنتْ من عراره بشميمِ
بل أتَتْ قسط اللِّوى[1] حَيْثُ رَيَّا سفرت فيه عن مُحَيَّا وَسِيمِ
فإذا ما انثنتْ فعن غُصْنِ بَانٍ وإذا ما رَنَتْ فعن لحظ رِيمِ
أم رياضٌ باتَ السِّماكُ يُعَاطِي ثغر أزهارها كُئُوس الغُيُومِ
فغدتْ كالسَّماء غِبَّ غَمامٍ زَهْرُها النَّجْم مثلُ زُهْرِ النُّجُومِ
وكأنّ الغصونَ في الدار صَبٌّ حارَ بين الوداع والتَّسْلِيمِ
فرعتْها وُرْقُ الحمائم تَشْدُو فوق أغصانها بصوتٍ رَخِيمِ
أذكرتْني بشجوها رَبَّة العُو دِ تَغَنَّتْ عليه بالمَزْمُومِ
بين رَبْعيْ فُسطاط مصر ومَجْرى نيلها العَذْبِ راق كالتَّسْنِيمِ
ألْبَسَتْهُ الصَّبَا مُضَاعَفُ سَرْدٍ نَسَجَتْهُ باللُّطفِ أيدِي النَّسِيمِ
حيثُ شَرْخُ الصِّبَا إلى العين عَوْنِي وشَفِيعي إلى ظِباءِ الصَّرِيمِ
والهوى قَائدي إلى رَوْضة المِقْـ ـيَاسِ مَغْنَى الهَوَى مَقَرَّ النَّعِيمِ
مَعْ سُعْدَى وزَينبٍ ورَبَابٍ وسُلَيْمى وفَرْتَنَا وظَلُوم
كلُّ خُمْصَانَةِ الوشاح رداح كَرَشَا الرِّيم بالحَشَا المَهْضُومِ
يا خليليّ والهَوَى غَيْرُ خَافٍ عَنْكُمَا والمُحِبُّ غَيْر مَلُومِ
خَلِّياني ووَقْفَة في الرُّسُوم أَقْضِي بَعْضَ بَثِّيَ المكْتُومِ
كم أُسَلِّي الفُؤادَ عن سَاحةِ القصـ ـرَيْنِ والقَلْبُ فيه نارُ الجَحِيمِ
فَصِفَا لي تلكَ الرُّبُوعَ لَعَلِّي أجْتَلِيها بَطْرفِ قَلْبٍ كَلِيمِ
واذكُرَا لي رَيْحَانَةَ العُمْر فيها فَهَواها رُقْيَا لقَلْبِ السَّلِيمِ
يا سَقاها دُنُوّ عَهْدِيَ منها صادقَ النَّوْءِ من وَدَادٍ قَدِيمِ

---

(١) المسط: الوادي السائل بالماء القليل.

وترعَى مَنْ بَها لِعَهْدِيَ يَرْعَى ... من وَلِيٍّ وصَاحِـب وحَمِـيمِ
سِيَّما ذلـك الجَنَـاب المُفَـدَّى ... عُمْدة الفَاضِلِينِ شَيْخُ العُلُومِ
منتهاها أبو السُّرور أخُو المَجْـ ... ـدِ ومَوْلاَهُ ذو النَّوَالِ الجَسِيمِ
صَدْرُ مصْرَ البَهَا وبَدْرُ سَمَاها ... مُسْتَقِيدُ للعُدَاةِ مُرْدِي الخُصُومِ
والإمامُ الذي له الرأيُ مَا زَا ... لَ مُنيراً في الخَطْبِ كُلَّ بهيمِ
هَذَّب المَذْهَبَ الجديدَ وأحْيَا ... لابن إدْرِيسَ قَوْلَـه في القَدِيمِ
وأزالَ الخِـلاَف عَنْـهُ بفِكْرٍ ... مُنْتَـجٍ للصَّوابِ غَيْرِ عَقِـيمِ
مُحْرِزُ السَّبْق من بني الصِّدْق وفضلاً ... وقـد اسْتَجْمَعُوا مَكَارِمَ خِيمِ
هكـذا أشْرَفُ الخَلاَئِـق طُرًّا ... من قُريشٍ والفَضْل فَوْقَ النُّجُومِ
جاء منـهُ مع الرَّسُولِ كتـابٌ ... قَابَلَتْـهُ الأكـفُّ بالتعظِـيمِ
وفَضَضْنَـا ختامَـهُ فدُهِشْنَـا ... بـين دُرِّيٍّ نَثِيـرِه والنَّظِـيمِ
وشَهدنـا سِحْرَ البَلاَغـة يَبْدُو ... من حَوَاشِي سُطُورِه والرقـيمِ
فامتثلْنـا لمـا بـه قـد أمِرْنـا ... وابتدَرْنـا للسَّعْيَ في التتميمِ
وسَلاَمٌ من خالِـص الوُدِّ يُحْيـي ... منـه عهدٌ على الجَنَابِ الكَرِيمِ

وفي ذيل ذلك من النَّثر ما صُورته:

«أيَّدَ اللهُ أصُول الشريعةِ النبويّة، وأيَّد فُرُوعها المُصْطَفَوِيّة، ولا برحت أعلامها مرفوعة اللِّواء، منصوبةَ المَحَلِّ من غير اسْتثناء، جاريةً أحْكامُها في الخافِقَين، باقية على الدهر بقاء الفَرْقَدين، ببقاء سيدنا بَحْر العُلوم الزَّاخِر، فخر الأوائل والأواخر، الذي أزْهر به جامعُ الفَضْل وأنار، وأشْرَفَ برأيه المُنير مُعَلَم العِلْم واستنار، واطَّلَع من سَمَاءِ الإفْتَاء نَجْمُ الأحْكَام زَاهِرَة، فأصبحتْ بين عُلَماء مِصر القَاهرة، لأعْدَائِه

قَاهِرَة، ولأَوِدَّائِه بَاهِرة، منْهَج الطُّلاَّب، وبَهْجَة الأصْحَاب، فياله مَوْلًى بَذَّ بمَنْطِقِه الشَّافِي العِيّ، كُلَّ مَنْ نَاظَرَه من أصحاب الشَّافِعِيّ، ولهذا أصبح [حظه][1] من العُلُوم سِيَّما الدِّينِيَّةِ مَوْفُور، وسَعْيُه في تهذيب عُيُون المَذَاهب مَشْكُور، سَيِّدنا وسَنَدنَا العلاَّمة الشَّيخ أبي السرور حَرَس اللهُ مُهْجَتَه، وضَاعف سُرُورَه مَدَى الأيَّام وبَهْجَتَه، آمين.

رسالة أبي السرور في طلب فتوى الشافعية

وقد كان العَلاَّمة المذكور، مولانا أبو السرور، عمل رسالةً رشيقةَ الأَلْفَاظ دقيقةَ المَعاني، تتعلق بآيات السَّبْع المَثَانِي، حاك بُرُودَ طُرُوسِها على مِنْوال التَّحْقيق، وطَرَّزَ حواشِي سُطُورها ببنان التَّدْقِيق، وبَعَثَ بها من الدِّيَار المِصْرِيَّة، إلى دَارِ السَّلْطَنَةِ السَّنِيَّة، لا بَرِحَتْ دَارَ عَدْل وأَمَان، ما اخْتَلَف المَلَوَان، صُحْبَة المولى يَحْيَى المُشَار إليه، دَامَتْ نِعَم المولى عليه، لتَنُوبَ عنه في تَقْبِيل تلك الأَعْتَاب الخَوَاجِكيَّة، وتَفُوزَ بالتَّشَرُّفِ بأنْظَارها السَّعْدِيَّة، راجيةٍ حُسْن القَبُول، وبُلُوغ المَأْمُول، وهو ما لأجله حُرِّرَتْ، ومن جَرَّاه أُرْسِلَت، من طَلَب مَنْصِب إفْتَاء الشَّافِعِيَّة، بالقاهرة المُعِزِّيَّة، وقد كان يومئذٍ مَنُوطاً بشَيْخِها على الإطْلاَق، وعَلاَّمِهَا المشهورِ في الآفَاق، صاحب التَّصانِيف العَدِيدة، والتَّاليف المُتَدَاوَلة المُفِيدة.

شَمْسُ ضُحَاهـا هِـلاَلُ لَيْلَتِهـا ... دُرُّ مَقَاصِيرِهَـا زَبَرْجَدِهـا

من كادت السُّطُورُ والطُّرُوسُ قبل الأقْلام تَكْتُب ما يُمْلِي، المولى

---

(١) زيادة يستقيم بها السياق.

العَلاَّمة شَمْس المِلَّة والدِّين محمد الرَّمْلي[1]، وعُدَّ ذلك الطلب منه على المحبَّة ذنبٌ واحد لكنّه شَنِيع، وخطب عند فُضَلاء الأمْصار والأعْصَارِ فَظِيع، على أنَّ لِسَان حَالِهِ أنْشَد عَنه مُعْتَذِراً مُبرزاً من الضَّمير ما كان مُسْتتراً:

وإذا الحبيبُ أتَى بذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُه بألْفِ شَفِيع

فمن ثم اخْتَرَمَتْه المَنُون بُعَيْد ذلك، وسلكتْ به من طُرُقها أقْرَب المسالك، فافتتحتُ ما كتبتُ مُسْتَهلاً بهذه المقالة، وهو قولي:

﴿يَسْتَفْتُونَك قل اللهُ يُفتيكم في الكَلاَلة﴾، إذْ بَيَّن لكم بعلم الشرائع حَرَامه وحَلاَلَه، حيثُ جعل العلم في الدُّنْيا نُوراً، وفي الآخرة بَهْجَةً وسُروراً، ورفع الَّذين أوتُوا العِلْمَ دَرَجات، وجعلهم أئمةً يَهْدُون سُبُلَ النَّجاة، وخَصَّ الفُقهاء الأعلام، بخُلاصة الفَتَاوَى والأحْكام، وتمييز الحَلاَل من الحرام، لينتظمَ بذلك أمرُ المعاشِ بين الأنام، لإرادة جَلَّتْ، وحكمةٍ دَقَّت، لا يعلم ذلك إلاّ الراسخُون من العِلْم الإلَهي، والكاشفُون عن حقائقِ الأشْياء كما هي، فمن ثَمَّ لم يخلُ عصرٌ وأوانٌ، ولا مِصْرٌ في جميع الأزمان، من قائم لله بحُجَّته، ومُوضِّح لعبارة نَهْج مُحَجَّته، اعتناءً بشأن هذا الإنسان، وإيماءً إلى أنه العَيْن المقصودة، من الأكوان، وكان

---

(١) هو محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي، فقيه الديار المصرية في عصره ومرجعها في الفتوى، كان يقال له الشافعي الصغير، نسبته إلى الرملة من قرى المنوفية ومولده ووفاته بالقاهرة (٩١٩ - ١٠٠٤ هـ) ولي بها افتاء الشافعية، وجمع فتاوى أبيه الشيخ أحمد الرملي (سبقت ترجمته)، وصنف شروحاً وحواشي كثيرة، منها عدة الرابح شرح على هدية الناصح في فقه الشافعية، وغاية البيان في شرح زبد ابن رسلان وغير ذلك، وله أيضاً فتاوى شمس الدين الرملي، مطبوعة.

انظر خلاصة الأثر ٣/٣٤٢. (الأعلام ٦/٢٣٥).

ممن فاز بأوفر حَظٍّ من ذلك الظهور، وأحرز قَصَبَ السَّبْق في مِضْمَار تلك الحَلَبة من أولئك الجُمهور، فريدُ زمانه، ووحيدُ عَصْره وأوانه، بل شيخُ مشايخ عصره، وعميدُ أفَاضِل مِصْره، مولانا وسَيِّدنا الشيخ محمد أبو السرور، مَفْخَرُ سبط آل الحسن، فَرْعُ دوحةِ الفَصَاحة واللَّسَن، بحرُ البيان الزَّاخِر، فخرُ الأوائل والأواخر، قُرَّةُ عين أصحاب مُحمد بن إدريس، والحَالُّ من تلك العصابة محلَّ الرئيس، والجوهر الغالي النَّفِيس، فهو الذي زَرْكَشَ مَذْهَب الشافعيّ، بمنطقه الحاوي البلاغة والشَّافِي العِيّ، فللّه مَنْطِقٌ ملَكَ آية الإعْجاز، وملَك استعارتُه جانبي الحقيقة والمَجَاز، يُصْوغُ المعنى الوجيز، كالذَّهَب الإبْريز، فإذا حَرَّر مسائل الخِلاَف، أزْرَى بزَهْر الرَّوضةِ المِينَاف، أو قَرَّرها بحُسن لَهْجَته، فيا خَجْلة الوَرْدِيّ ببهجتِه، فهو العَالِمُ الذي باهتْ به الأيام، وتاهتْ في يمينه ألسنةُ الأقلام، لذا أصبحتْ إليه نَاظِرة، وثمرة الخلاف في رَوْضِهِ نَاضرة، كيف لا وهو غُصْنُ هاتيك الدَّوحة البكريَّة، وفرع تلك الشجرة الطَّيِّبة الصِّدِّيقيَّة، فيا لها شجرةٌ أَصْلُها ثابتٌ وفَرْعُها في السَّمَا، فقد نما وايْمُ اللهِ على سَائر فُرُوعه وسَما:

قومٌ لهم في سَمَاء المجد منزلةٌ ... زُهْر الكواكب منها النُّور تَقْتَبِسُ
من كلِّ أزْهَر بادي البشْرِ غُرَّتُه ... كأنَّها في دَياجي ظُلْمَةٍ قَبَسُ
أبو السُّرُورِ سَمَا منه بينَهُم فَغَدا ... سَمَاءُ فَضْلٍ وَهُمْ من حوله حَرَسُ

وفي الرَّشْح العُسَيْلي.

يا أُسْرَة الصِّدْق والصِّدِّيق إنكُمُ ... في كُلِّ عَصْرٍ لَعَيْنِ المَجْد إنْسَانُ
طِبْتُمْ ولكنّ بَعْضَ الشيءِ يَفْضُلُه ... ألَا تَرَى أنَّ بَعْض القَوْل بُرْهَانُ

هذا والمَنْهِيُّ لتلك الحَضْرة العَالِية الشَّأن، الضَّارِبَة سُرَادِقَ مَجْدِها

على هَامَةِ كيوان، بعد عَرْضِ أَشْوَاقٍ لا يُحْصِيها قَلَمُ كَاتِب، ولا يَسْتَقْصِيها رَقْمُ حَاسِب، أنه لما أنْ سَار بِنَا الفَلَكُ السَّيَّار، وألقينا بمحْرُوسَةَ قُسْطَنْطِينية عَصَا التَّسْيَار، مَرسى الفُلْك، ودَارَ المُلْك، وأشْرَفْنا على تلك المَشَارف السَّعْدِية، وتَشَرَّفْنا بهاتيك المَواقف السَّنِيَّة، وأسبغ الله على كَافَّةِ الخَلْق ظِلاَلها، وضَاعَف كُلَّ حِين جلالها وإجلالها، عَرَضْنا عليها أمانتكم، وأدَّيْنا إليها رِسَالتكم، فَكَأن السَّعْدَ طَالَعَها، بأن السَّعْدَ طَالِعُها، فزادتْ بذلك حُسْنَا وبَهَا، وحَلَّت من الشَّرَف حيث السُّهَا، فعند ذلك وَجد المُحِبُّ للقول مَجَال، وأطلق عِنَان الوَصْفِ وَجَال، ولم يزلْ في ذلك المُقَام، يُوَشِّحُ بفضائلكم أعْطَافَ الكلام، تَقْريباً من المَرَام، وتبعيداً من المَلاَم، حتى انعطفتْ إليكم أعْطَاف السَّعْدِية، وأنعمتْ عليكم بمنصب إفْتاء الشَّافِعِيّة، بعد عَرْضِها على السُّدَّة السَّنِيَّة المُرَادْ خَانِيَّة، والعَتبة العَلِيَّة الخَاقَانِيَّة، خَلَّد اللهُ خِلاَفتها على مَرِّ الدُّهُور والأَعْوَام، ورَبَط سَلْطَنَتها بأوتاد الخُلُود والدَّوَام، وقد أخرجنا لكم البَرَاءَة السُّلْطَانية، من السُّدَّة المَحْفُوفة بالقُدْرة الصَّمدانية، حيث الأوامرُ فيها تُطاع، وهي في غاية الحُسن ونِهاية الإبداع، وجَهَّزَتْ إلى ذلك الجناب المضمَّخة سُوحُه بالإناب، على بَلَد قَاصِدِكُم فُلان، بَلَّغكُم اللهُ مآربَكُم ومَقَاصِدَكُم في كلِّ آن، بالنبيِّ وآله وعِتْرته، ومن اقْتفى أَثَرَهُم من أُسْرَته، هذا إلى آخره.

وكتب في الشوق ترجيعاً لشجو حمامة

سمعتُ بالرُّوم صَوْتَ حَمامةٍ أشجاني، فهاجتْ نحو الشام مِنْ أَشْجَانِي، فكتبتُ هذه الأبيات، صَدْرَ كتاب، ودُمُوعُ العين في الخد أَسْرَاب، وذلك غُرَّةَ شهر ربيعِ الأوَّل، سنة اثنين بعد الألف:

وهو يَـدري بأنَّـني ذلـك السَّا جِعُ في روض فَضْلِكَ البُسْتاني
لم يكنْ يَرْتَشِي وحَاشَاهُ لكن أَلِسَهْوٍ قـد كـان أمْ نِسْيَـانِ
أم عَرَتْـهُ يُبُوسَةُ الكيـف حَتّى غلبَتْـــــــه فمال للحَلْوَانِي
ميـلُ طَبْعٍ عن سُكَّر الشَّام قَصْداً وانتحـى عِقْدَه كما الزَّعْفَرَاني
وغـدا الطَّالَوِيُّ عبـدُك يَجْرِي دَمْعُـه كالعقيـق أحْمَرَ قَانِي
أهلُـــــه بالشآم ينتظرُوهُ[1] كانتظـارِ الهـلال في رَمَضَـانِ
وَعَـدَ العـامَ أمَّهُ حَجَّ بيتٍ بعـد سَبْعـين حِجَّـةٍ وثَمانِ
فهو يَبْكي لِبُعْـدِه في انتظـارٍ بدُمُوعٍ في خَدِّهـا كالجُمَـانِ
فأعِدْ لابْنها قَضَا الحجِّ تَقْضِي فَرْضَهـا قاصِداً رِضَا الرَّحْمنِ
دُمْـتَ في رِفْعَـةٍ وعِزٍّ مَنِيـع آمِنـاً من طوارِقِ الحِدْثَـانِ
وحَبَـاك الإلـهُ من كـلِّ شَيْءٍ رُمْـتَ منـه وكـان في الإمْكَانِ

ومما كتبتُ مثل ذلك لجنابه سَعْد المِلَّة والدُّنيا والدِّين، مُقْتَدى العالمين في العالمين، حضرة خواجة أفندي، مَدَّ الله في ظِلِّه في الأيَّام، حتى ساعة القيام، مُسْتَحِثًّا في ذيلها السَّاميّ، أدام الله جَنَابه السامي، وقد وَلَّى وَلَده الأفضلَ الأمْجَد، والأعْلم الأسعد، مدرسَة دارِ الحديث السَّنِيَّة، بقُسْطَنطينية العَلِيَّة، لسامي همته، وعالي إشارته، على حُصُول قضاء الركب الشآمي، أدام الله جنابه السامي، عام إحدى بعد الألف، قولي:

هاجـتْ بلابلَنـا بلابـلُ تُنشِدُ - برياض سَعْدٍ - مَدْحَهُ وتُغَرِّدُ
أملـتْ من الأوراق حُسْن ثَنَائِه ورَوَتْ حديثـاً عن عَطاءٍ يُسْنَدُ

---

(١) في هذه الكلمة خطأ نحوي، إذ صحتها ينتظرونه بغير حذف النون، ولكن المؤلف اضطر إلى ذلك لضرورة الشعر، وهي من الضرورات القبيحة.

الإمـــامُ الجليـــلُ حَـــلَّ محلّاً ... لن يُداينـــه في الأنـام مُداني
مُشْرِقُ الرأي والرَّويـــة فيّـــا ... ضُ أكـــفٌّ العَطَـاء بالإحْسَانِ
ذو مُحَيّا كالبـدر تَحْتَ جَبين ... يَجْتـــدِي من سَنَاهُا القَمَرانِ
قامـعُ الظـلم قالـعُ الجَوْر فَرْداً ... ليس يَثْنِيـه عنهما الدَّهْرُ ثَانِي
مُعلنُ الحَـقِّ والرِّمـاحُ شراعٌ ... والمواضِي يَضْرِبْنَ كُـلَّ بَنَـانِ
بسَنَـا مَنْطِـقٍ فصاحـةُ قُسٍّ ... عنـدَه باقِـلٌ لـدى سَحْبَـانِ
وفتـاوى أبْكارُهـا الغُرُ تُجْلَى ... من سَنَـا رَأيه على الأذْهانِ
غايـةً في البيـان والإتقـانِ ... قَـد رُوِي حُسْنُهـا عن الإتْقانِ
صَحَّحَتْهـا أقوالُـه بروايـاتٍ ... عن الصَّاحِبَيْن عن نُعْمانِ
مـلأ الخافقـين صيـتُ عـلاه ... وسَرَى ذكرُهـا مـع التُّرْكمانِ
يـا لهـا رُتْبـةً تضاءل عَنْها ... شَخصُ كيوان من عُلُوِّ المكانِ
جئـتُ أعتابَـه الشَّريفة أشكُو ... من زَمَـاني ومـا بـه قَدْ رَمَانِي
من لئـيم الطِّباعِ دَهْرٌ يعادي الـ ... ـفَضْـلِ جَحْداً عَدَاوَة ابنِ سِنانِ
يـا رمـى الله نحرَهُ بأبيـه ... وجَزَاه الإلـهُ غَيْرَ الجنـانِ
شيـخٌ مالـه مثـالٌ تَراهُ ... وهَيولَـى في صُورَةِ الإنسانِ[1]
وجـه في القضيـة عامِيٌّ ... قبـل تَصْويرِهِ بـلا إذْعَـانِ
وقَضَـى لَيْتَه قَضَى لي بحُكْمٍ ... كـان فيـه مُزَلْزَلُ الأرْكَـانِ
حَلَّ عَنّي قضاء رَكْب تَوَلَّى ... عَقْـدَهُ لي عُـلاك مُذْ أزْمَانِ

---

(١) الهيولى: مادة الشيء التي يصنع منها كالخشب للكرسي والحديد للمسمار، وعند القدماء: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور، وهي التي صنع الله منها أجزاء العالم المادية، أو هي التخطيط المبدئي للصورة أو التمثال.

لكن بحقِّ جنابك السَّامِي الذُّرَى ... إلّا سمعتَ فلِي سُؤالٌ يُورَدُ
كم قلتُ فيك قصيدةً طنّانةً ... غرَّاءَ تُتْهمُ في البلاد وتُنْجِدُ
وأرى جوائزها كغَيْرِي يا لَهُ ... خَطْباً تَقُومُ له النُّفوسُ وتَقْعُدُ
والآن أقْنعُ من جوائز سَيِّدي ... بقضاءِ ركب الشَّامِ منه أُقَلَّدُ
فلقد نَوَيتُ زيارة البيت الحرا ... مِ وحَجِّ بيتٍ بالرَّكائب يُقْصَدُ
أدعُو لـه عند الحطيم وزَمْزَم ... وأظَلُّ أركعُ في المقام وأسْجُدُ
وأطوفُ بالبيت العتيق مُقَبِّلًا ... أركانَهُ الحجرُ الكريمُ الأسودُ
وأزورُ أشْرَفَ مُرْسَلٍ صَلَّى به ... والكفرُ فيه تنمُّرٌ وتَمرُّدُ
وأشَمُّ تُرْب الآلِ مِمَّن حَلَّ في ... أرجاء يَثْرِب أو حَوَاه الفَرْقَدُ
هم ذخْرنا والعُرْوة الوُثْقَى لنا ... يومَ المَعَادِ ورُكننا والمُسْنَدُ
لا زالت الصَّلَواتُ من رَبِّ العُلَا ... تَتْرَى عليهم كلَّ حين تُورَدُ
واسلمْ فبابُك كعبةٌ بطحاؤُها ... فيها المُنَى يُقْضى وأنت المقصدُ

ومما دعت الضرورة إلى كتابته

ومما كتبتُ به إلى جنابه، وأمَتّ به إلى أعْتابه، وقد ألجأت الضَّرُورةُ الشِّعْرية، واقتضته الحرفة الأدبية، أواخر جمادى الأولى عام إحدى وألف:

هجم الشتاءُ وكِسْرُ[1] بيتي قد خلا ... من كِسْرَةٍ فيه ومَالِي دِرْهَمُ
ورَجَوْتُ من خَدَمِ ابن بستانٍ ومَنْ ... يَرْجُو اللئيمَ وحَقٌّ فضلكَ يُحْرَمُ

(١) الكسر: الناحية.

ورقت منابرَ أيْكها تتلو بها آيات مدح جئن فيه وترد
مثل الكَرَاين رَجَّعَتْ لحناً عَلَى عُودِ تَوَاصَاهُ الغَرِيضُ ومَعبدُ
مَطْبُوعة الأسجاع في أصْوَاتِها عَطْفٌ وفي أعْطافهن تَأَوُّدُ
ما ذاك إلّا فَرحةٌ بمن اعْتَلى هَامَ العَلا حيث السُّها والفَرْقَدُ
العالم النَّطِسُ الأغُرُّ الألـ ـمَعِيُّ اللَّوذَعِيُّ الأمْجَدُ
من دَوْحَةٍ سَعْدِيَّةٍ لِفُرُوعِها أصلُ السَّعادة وهو فيهم أسْعَدُ
هو سَيِّدُ الفُضَلاء غيرُ مُدَافِعٍ في عَصره وَهوَ الإمامُ الأوْحَدُ
مَوْلًى تَرَدَّى الحِلْمَ بُرْداً والتُّقى ثَوْباً طرازُهُما الحَيَا والسُّؤْدَدُ
بحرُ الورى إعجازُ منطقه الذي أعْيَا فآيةُ فَضْلِه لا تُجْحَدُ
متهلِّلُ الإشراقِ منهلُّ الحَيَا بيدٍ هَمَتْ فيها لراجيها يَدُ
وبها يراعٌ للندى أو للرَّدَى فيقالُ فيه رَوْضَةٌ ومُهَنَّدُ
شَرُفت به دارُ الحديث فأصبحتْ بين الرُّوَاةِ لها الحديثُ المسْنَدُ
وسَمَتْ على كلِّ المدارسِ رُقعةٌ لِم لا وعَالِمُها المدرسُ أسْعَدُ
فكأنها دارُ السلام نَبَاهةً وكأنّه فيها الإمام محمدُ
سَعِدَتْ معالِمُهَا به من بَعْدما شَقِيَتْ فأصبحتْ المعالم تُنْشَدُ
وإذا تأمَّلْتَ البقاعُ وجدتَها تَشْقَى كما تَشْقَى الرِّجالُ وَتُسْعَدُ
خُذْها إليك كبكر فكرك غادةً حَسْنَاءَ يَحْسُدها الحسانُ الخُرَّدُ
وشَّحتُها دُرَّ النظام كأنَّه فوق التَّرائِبِ لؤلؤٌ وزَبَرْجَدُ
أمَّا بَدَتْ فهي الغزالةُ بهجةً أو غَازَلَتْ فهي الغَزَالُ الأغيَدُ
لا زلتَ يا سَعْدَ البرايا فائضَ الـ أنوار مَقْهُورَ الأعادي تُحْسَدُ
بمرادِك الأقدارُ تَجْري مثل ما تَخْتارُ في أمْنٍ وأنتَ مُخَلَّدُ

باتت تعلّلُها الصَّبا وَسْط الرُّبَا وتُعِلّهـــا من حَاجِرٍ نَسَمَاتُـــه
والليـلُ غُفْـلٌ ثوبُـهُ حتى بَدَتْ مَوشِيَّـــةً لنواظِرٍ حَبْرَاتُـــهُ
فتطلعتْ نُقَبَ الغُوَيْر فصافحتْ فيـه كِلَا رَوْضٍ زَهَتْ خَامَاتُه
واستطلعتْ تَلْعَات وادي ضَارِجٍ مَجرى الجَنُوب فأورقتْ سَلَماتُهُ
وتَحرَّشَتْ بشَمِيمِ أحْقَاف اللِّوى فَزَهَتْ عـلى بَـان الفَّقا أثلاَتُهُ
وصَبَتْ لحيِّ العامِرِيَّة واكْتستْ وَشْي الرِّياض وأيْنَعَتْ ثمراتُـهُ
وأتتْ بها سَحَراً نُسَيْمةُ حَاجِرٍ رَوْضَ الحِمَـى فتعطَّرَتْ زَهَرَاتُه
وتَعطفتْ بغُصونـه حتى انثنتْ وتمايَلـتْ من بَانِـهِ عَذَبَاتِـهُ
فيهـا سواجعُ ما الغريضُ ومَعْبدٍ من |لَحْن| سَاجِعِهـا| وما نَغَمَاتُهُ
غنـت عـلى عُود ونَـاحَ مُتَيَّمٌ ذَكَرَ الصَّبـا فَتَـاقطتْ عَبَراتُه
ومَعَاهِداً كـان الشبـابُ سميرُه فيهـا فَبَـان وأبْقيتْ حَسَراتـهُ
أمْ أحور العينـين سَاجٍ طَرْفُهُ قـد رتقت في مُقلتيـه سِنَاتُـه
مـا الوُرْقُ فوق الأُقْحُوان وإنّما بِدَمِ النُّفُوسِ تَضرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ
يُبـدي أقَاح الرَّوضِ منه مُفَلَّجٌ يسْقِي اللَّمَـى مَعْسُولَـةٌ رشفاتَـهُ
فيـه المهـا بـل دُرُّ أجياد المَها نُظِمَـتْ مع اليَاقُوتِ فهي لَثَاتُه
كنظـام عِقْـد العَلْمويِّ لآلِئـا مـا هُنَّ إلاّ الـدُّرُّ أو حَبَّاتُـهُ
أو عِقْـد غانيـةٍ يروقُ بحسنـه قـد فُصِّلت في سلكـه شَذَرَاتهُ
الألمعيُّ الفهم والشهمُ الّـــذي ظَنَّـتْ بفضلٍ في البلاد حَصَاتُهُ
كم بَـذّ منطقُـه بلاغـةَ شاعِرٍ ومَحَـتْ فصاحـةَ كاتب سَجَعَاتُهُ
زان القريـضَ بفكرةٍ نَظَمَتْ له عِقْـدَ النجومِ فَزَهْرُها فَقَرَاتُـهُ
ولـه الشَّوارِدُ في البلاد تناقلتْ أخبارَهـا في الخَافِقَيْن رُوَاتُـهُ

مـع أنّـني مِمَّن يقولُ بفضلِـهِ والفضـلُ لاَ يَخْفَـى ولا يَتكَتَّمُ
لكن فهمـتُ ضميرَهُ من فِعْلـهِ إنّ الفعَـالَ عن الضمير تُتَرْجِمُ
فطفقـتُ أسْأَلُ من سواكن بيته ورأيـتُ كُلًّا في المقال يُجَمْجِمُ[1]
فعلمـتُ منـه بأنَّ ذَنْبِي نِسْبَتِي لجنابكُمْ وهو الجنـــابُ الأكرَمُ
إن كـان جُرْمِي بانْتِسَابي نَحْوَهُ فَسواي منسوبٌ وغَيْرِي المُجْرِمُ
أيعـــدُّ ذَنْبِي الانتسابَ لبابــكم وإليــه نسبتُــه الشريفة أقدمُ
هو غَرْسُ نعمتـه وخاصُ صنيعهِ واللهُ يَشْهَـــدُ والبريَّـــةُ تعـــلمُ
فاستفْتِ منـه إذن جاحـد نِعْمـة الْـ مَوْلَـى يَصِحُّ يُقـالُ فيـه مُسْلِمُ
فـاللهُ يَهْـدِي من أضـلَّ سبيلَـه منه بعدمَا ظهر الطريقُ الاقـومُ

وقال في تقريظ قصيدة للعلموي قيلت في جلوس السلطان

ولما انفصلتُ من بعض مدارس الرُّوم عن الأربعين، توجهتُ إلى دمشق الشام منزل الأحباب، ومعهد الأتراب، أواخر سنة ثلاث عام الجلوس كتبتُ بها عام أربع بعد الألف، تقريظاً لقصيدة الأديب الفاضل، والأريب الكامل، جمال الدين يوسف العَلْمَوي، التي نظمها لجلوس السلطان محمد خان ابن السُّلطان مُراد خان، عليه الرَّحْمَة والرِّضْوان، وهي عند الأدباء من سهل الشعر المُمْتِع، وأبِيُّه الذي أضحى بقوافيه إلّا عند أهله مُمْتَنع، قولي:

هَـذِي عُقُودُ السِّحْرِ أم نَفَثَاتُـهُ ووَرْدُ وادِي الشِّحْر أم نَفَحَاتُه

---

(١) يجمجم: لا يفصح بكلامه ولا يبين.

فإن المُتَّصِف بمحاسن الشِّيم، وكرم الخِيم، والكائن من بيت الشرف الأُرْتُقِيّ في الصميم، ذو السَّجايا الزَّاهرة، والمزايا البَاهرة، الصَّارِميُّ الطَّالَوِيُّ الأمير المُوَشِّحُ مُطاوِي أعْطاف هذا الكتاب، بمآثِرِ ذِكْره الجَمِيل المُسْتطاب، من بيتٍ طود مجده نحو السماء شَامِخ، وطَوْدُ فضله في العلا بَاذِخ، قد أخذ بأطراف الفَخَار، فأصبح كالشَّمس في رابعة النهار، بل طال فاعتلى هَامَ الكواكب، وزاحمتْ مصَاعِدُه الجوزاءَ بالمناكب، وسَمَتْ دعائِمُه المَجرَّة، واقتعدتْ نجومها أسِرَّة، واجتازتْ الشِّعْرى العَبُور، فلم تُطِقْ إليها عُبُور، فوسَمَتْ مَفْحِصَ النَّسْرين[1] ومَطْلَع القَمرين بالقُصُور، ولم يزل الأميرُ المذكور، لهذا البيت المعمور، عمادَ مجده، وطَلَّاعَ ثنايا نَجْده، طال ما خفقتْ على رأسه ألويةُ الولاية، وعُقدتْ له أسنى المناصب بأرفع الراية، فسار فيها سيراً حسناً، وكان في حَقِّ الرَّعايا مُشْفقاً مُحْسِناً، وكم من خِدْمة جليلة المقدار، ظهر له فيها جميل الآثار، كخدمة الحجِّ الشريف والاستقبال، اللَّذَيْن[2] في مثلها تُشَدُّ الرِّحال، وتُصرف أنفس الأوقات وكرائم الأموال، إلى ما تقدم ذلك من غرر أسفاره، المجلية عن مثل غُرَّة الصَّباح وإسْفاره، مِنْ دَفْعِهِ نَفْسَه في الملاحم والصَّوارم، تُسَلُّ ولا تغمد إلا في الجماجم، بل لقد شهد من الفُتُوحات الجليّة، عِدَّةً مشهورةً غير خَفِية، كالسَّكَدْوَارية والقُبْرصية والأَذْرَبَاجانية، في عهد السَّلْطنة السُّلَيمانية والسَّلِيميّة والمُراد خانية، أعلى اللهُ درجاتهم في أعلى عِلِّيِّين، وجعلهم للأرض من الوارثين، وخلّد في

---

(١) المفحص أو الأفحوص: حفرة تحفرها أنثى الطائر لتضع فيها بيضها وترقد فيها، والنسران: مجموعتان من النجوم معروفة بمشابهتها للنسر، النجم الأكبر في المجموعة الأولى يسمى النسر الطائر، والأكبر في الأخرى يسمى النسر الواقع.

(٢) في ب: الذين.

من كل سَاحِرةِ البيانِ كأنّها بَـدْرٌ ونقشُ طُروسهـا هَالاَتُـهُ
سيّـارة مثـلُ النجومِ بمثلِهـا صَدْر العُلَا قـد أشْرَقَـتْ لَبَّاتُهُ
فالشِّعْرُ ميـدانٌ وسَابِـقَ حَلْبَـةٍ فيـه الكُمَيْـتُ وهُنَّ فيه شِيَاتُه
والغرُّ منهـا ما جرَتْ وتَسابقتْ بمدائـحِ الملِـكِ البديعـةِ ذاتُـهُ
ظـل الإلـه محمـدٌ مَنْ دَوَّخَـتْ هـامَ الملوك من العدى سَطَوَاتُهُ
فَخْرُ السلاطـينِ العِظـام وبابُـهُ شَرَفُ الملوك رفيعـةٌ دَرَجَاتُـه
حامي حِمـى الإسلام منه بصارمٍ أمْضَـى من القَدَرَ المُتاحِ ظُبَاتُهُ
تسمُو المنابر حـين يُتـلى ذكرُه فيهـا وتُزهى إذ تُعـدُّ صِفَاتُـه
من آل عـثمان الـذين بِعَدْلِهِمْ قامتْ من الـدِّين القويم قَنَاتُه
بجلوسِه طـاب الزمانُ وقد صفتْ أوقاتُـه واستسْعـدت سَاعَاتُـه
لا زال نَصْرُ الله قائـدَ جَيْشه في عَسْكَرِ جُنْـدُ الإلـه كُماتُـه
مـا قرظت شعرا يراعة كاتب وحمت حريم الفضـل منه حماته

ومما كتبه في تزكية بعض الأمراء العظام

ومما كتبتُ وأنا بدمشق الشام، على مَحضرٍ لبعض أمرائها العِظَام، عام خمس بعد الألف، ما صُورتُه مَسْئُولاً في ذلك:

«يا مَنْ أحْصَى بلطفه الخلائق عَدَداً، وجعلهم بمشيئته طَرَائِق قدَداً، كُلٌّ يعملُ على شَاكلتهِ، في عاجلته لآجلته، صَلِّ على صَفْوتِك الدَّاعي إليـك، القائِل سُبحانك لا أُحْصِي ثناءً عليك، وعلى آله الطَّاهِرين، وعترته المُنْتَخبين، ذوي النسب الطاهر، والحَسَب الظاهر، وبعد:

حامي حِمَى الشَّرْع القويم بصارمٍ ... من عَزْمةٍ أمْضَى من الأقدارِ
سَبّاق غاياتٍ تناقَطَ دُونها ... حَسْرَى جيادُ الرِّيح في المضمارِ
مَوْلًى تَرَدَّى الفضل أبْهى حُلّةٍ ... وتَسَرْبَل المعروف خيرَ شعارِ
فهو الإمامُ المجتبَى وهو الوَلي ... المُرْتَضَى من فتيةِ الأنصارِ
قوم هُمُ نصرُوا النبيّ وطَاعَنُوا ... عنه الأعادِي بالقَنَا الخَطَّارِ[1]
وفَدَوْه بالأرواحِ مُشتَجَرَ القنا ... والموتُ بين ظُباً وحَدِّ شفارِ
وافى حمى فسطاط مصرَ وأصبحتْ ... تُزهى به مصرٌ على الأمْصارِ
فاقْعَنْسس الهَرَمانَ[2] إجلالاً له ... وهُمَا هُمَا في رِفعةٍ ووَقارِ
وكَسَا معاطِف روضةِ المقياس من ... أنواءِ رَاحَتِه حُلَى الأزْهارِ
ولذاك زاد النيلُ فوق أصابعٍ ... حتى أفاضَ على رُباً وصَحَارِي
فَلْتَهْنَ مِصرُ بعالمٍ رُفعتْ له ... راياتُ أسْنى المجد في الأقطارِ
أحْيا معالمها الدوارسَ بعدما ... كادتْ تُرى مطموسةَ الآثارِ
بشموسِ آراءٍ إذا ما أشْرَقَتْ ... خَفَتَتْ نجومُ الأفق وهي دَرَارِي
طَلْقُ المحيّا بالسَّناءِ مُبَرْقَعٌ ... لو قابل البَدْرَ اختفى بِسَرَارِ
نُورُ الولايةِ في أسِرَّةِ وَجْهه ... بادي الظُّهُورِ لأعْيُن النُّظَّارِ
عَفّ المآزِر خَاشعٌ متبتلٌ ... يحيي قيامَ اللّيل للأسْحَارِ
لا تَزْدَهيه مطامعُ الدنيا ولا ... يَظْمَا لماءِ سَرَابها الغَرّارِ
كلا ولا يَزْنُو لزُخرِف زَيْنها ... وجميع ما اشتملتْ عليه عَوَارِي
ماتت به بدعٌ تمادَى عُمرها ... كانت لديه قصيرة الأعمارِ

---

(١) القنا: هو الرمح المجوف، والخطار: الرمح أيضاً أو الطعان به.
(٢) اقعنسس الهرمان: احدودبا أو انحنيا.

بسيطها خلافة الدولة المحمديّة، المؤيدة بالنصرة الربّانية، والقدرة الصَّمدانية، ألا وإن في أعتابها السامية السلطانيّة، وأبوابها العلية العثمانية، أحيا بيت المكارم بما يَقُومُ بِبِنْيَتِه، لقوله عليه الصلاة والسلام: «كُلُّكم رَاعٍ وكلكم مَسْئُول عن رعيته»، فكيف بمن أبلى ريعان الشبيبة إبلاءَ الشَّيْبة، في شرف خدمة السلاطين العظام، والأجْدَاد الخَوَاقِين الكرام، فإنه أوْلى بملاحظة الأنظار السُّلْطانية دون الأنام، وأحْرَى بمزيدِ الإطمئنان وزيادة الإكرام، والدعاء للدول المُحَمَّد خانيّة مُوَاصَلٌ على الدوام، إلى قيام الساعة وساعة القيام.

تهنئة للأنصاري بقضاء مصر مرة ثانية

ومما نظمتُه وأنا بدمشق الشام، لا أغَبَّ حِماها صوب [الغمام]، ولا زال خَفَّاق النسيم مرفرفاً عليها، وأنواءُ السَّماءِ تُصَوِّب إليها، أواخر محرم الحرام، عام خمس بعد الألف، وأرسلتُها لمصر المحروسة، طابتْ ربُوعُها المأنوسة، لجناب المولى، قاضي قُضَاتها، أحمد الأنصاري[1]، لا زال في كَلْأَةِ البَاري، وقد وليها مرةً ثانية، قولي:

فخرُ البلاد بأحمد الأنصار ... فخرُ العباد بأحمد المختارِ
وبه سمتْ أوسٌ وخَزْرَجُها عَلَتْ ... وخَلَتْ به أنصارها من عارِ
شيخُ العلوم إمام أربابِ التُّقَى ... غَوْثُ البرية غيثها المدرارِ
مُعلِي منارَ الشَّرْعِ مختار العُلَى ... كَنْز الهداية روضة الأبْرارِ

---

(١) هو أحمد بن روح الله الأنصاري، وقد سبقت ترجمته.

وإذا وَرَدْن مياه يَمنٍ خِلْتَها فيها حواجبُ أو قصيمُ سِوَارِ
هجرتْ مياه الغُوطتين نميرةً ولفيفُ جَعْدَى حَنْوَةٍ وعَرارِ[1]
ورفيفُ نَوَّارِ الخُزَامى غَضَّةٍ في رَبْوة غَنَّاءَ ذاتِ قَرَارِ
غَنَّتْ بها وُرْقٌ روتْ عن مَعْبِدٍ ألحانَها والشعر عن مِهْيَارِ
ورمَتْ بنا أقطارَ طامِسَة القوى لا يَهتدي فيها القَطَا لِمنارِ
عن حارث الجُولَان[2] لا تَلْوِىَ عَلَى رَبْعٍ هناك ومائلاتِ دَيارِ
تُورِي الحَصَا منها زِنادَ مناسِمٍ فكأن مَرْخاً يلتقي بَعَفَارِ[3]
وهفَتْ بُروق الغَوْر فاهتاجتْ لها شَجَناً رَمَى أحْشاءها بِشَرَارِ
فتنكبتهُ وخَلَّفت بَيْسان عَنْ كَثَب فيا سُقْيا لها من دَارِ
واستوقفتْ سِرْبَ القطا منها الخُطا سَيراً به سِرْب النجوم تُبَارِي
تَطْوي لبئرِ العَبْد غَزَّةَ هاشم عَبْديّة تفلي الفلاة مَهَارِي
مُجْتَازةً رمل العريش وقد دَنا منها إلى بِلْبيس بُعْد مَزَار
لم تَرْضَ منزلة ولَو سِقْط اللِّوى تُبْدِي ذوائبَ طلحة والغارِي
تنحُو رُبوع الخانقاه وفي الحشا منها لساكِنها لهيب أُوَارِ
ومعاهداً ما إنّ لها من بَعْدها إلّا الحنينُ ولوعةُ التَّذْكارِ
شَوقاً إلى النيل الفراتِ وقد جَرَى فيه النُّضار لُجَيْنُه مُتَوارِي

---

(١) الجعدى: الأرض ذات النبات المجتمع الملتف، والحنوة: نبات سهلي أو هو آذريون البر، (الآذريون: زهر أصفر في وسطه خمل أسود، حار رطب، والفرس تعظمه بالنظر إليه، وتنثره في المنزل وليس بطيب الرائحة). والفرار: زهر ينبت أيام الربيع طيب الرائحة الواحدة عرارة.

(٢) الجولان: جبل معروف بالشام والحارث: قلة الجبل.

(٣) المرخ والعفار: شجيرتان يتخذ منهما القدح والزناد فيرع الوري بهما، وفي المثل: «في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار».

مولًى لباهر فضله كُلٌّ عَنَا فسواءٌ البادي به والقَارِي[1]
عَلَّامُ أسرارِ الكتاب وما حَوَتْ آياتُه من مُعظم الأسْرَارِ
كَشَّافُ أسرار البلاغةِ رأيُه في كشف مُشْكلها كَزِندٍ وَارِي
كم آيةٍ ظهرتْ له في آيةٍ إعجازُها أغْنَى على الأفكارِ
طَنَّتْ حصاةُ حديثها بالروم في صحنِ المدارس إذ تلاها القَارِي
للهِ مَوْلًى للعُفَاةِ يمينُه أنْدى لسائلها من الأمْطَارِ
ما حَلّ أرضاً أجدبتْ أقطارُها إلّا وحَلّ بها الغَمام السَّارِي
فكستْ معالِمَها سحائبُ جُودِه وَشْيَ الرَّبيع وحُلَّة الأمطارِ
مولاي يا ركنَ الفضائِل والعُلَا ويمينِ بيت الله ذي الأسْتَارِ
يا خيرَ من يَمَّتْ غوارِبَ يَمِّهِ شُمُّ الغَوَارب كالسّفِين جَوَارِي[2]
يَرْسُبْن في بحر الدجى فإذا انْجَلى لَجَّجْنَ في لَجِّ السَّرار الجَارِي[3]
أكل السُّرى منها الحَوَايا فانبرتْ مثل الحَنَايا في يمين البَارِي[4]
أو كالأَهِلَّةِ في سَمَاء تَنُوفَةٍ أو أشطر الآناءِ وَسْط الدارِ[5]

---

(١) لجن: تمادين، ولج السرار: معظم الطريق أو أوسطه وأفضله.

(٢) السري: السير ليلاً، والحوايا: الأمعاء، والحنايا جمع حنية وهي القوس، والباري: صانع الأقواس والسهام.

(٣) البادي: الذي يعيش في البادية وهم عادة يرتحلون كثيراً إلى حيث المياه والعشب، والقاري: المستقر في بلده لا يبرحه.

(٤) يمت: أمت وقصدت. والغوارب في اليم أعالي أمواجه، وهو يقصد بهذا جنابه العالي وساحته الفياضة الكريمة، وشم الغوارب يعني بها الإبل العالية القوية، فالغارب من البعير هو ما بين السنام والعنق.

(٥) التنوفة: الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس. الآناء: أوعية الطعام والشراب، وأشطرها: أنصافها وإذا شطر الاناء نصفين كان معوجاً كالهلال وهو ما يقصده المؤلف.

آخر ما كتب به إلى إبن بستان

ومما كتبتُ به عام خمس بعد الألف من دمشق الشام المحميّة، إلى دار السَّلْطنة السنية، لمفتي الفرق الإسلامية، حضرة المولى عَلاَّمةِ الزمان، محمد أفندي بن بُسْتان، صَدْرَ مكاتبة، وهو آخر ما كتبتُ له، قولي:

ريحَ الشمال عساك أن تَتَحَمَّلي ... خَدَمِي إلى المولى الإمام الأفضلِ
وقفِي بواديه المقدّسِ وانْظُرِي ... نُورَ الهداية مشرقاً لا يأتلي
واستوقفي نَفَسَ الصَّبَا إن الصَّبَا ... فيها لرُوح الصَّبِّ رَوْحُ تعلُّلِ
وتحمَّلي أزْكى السَّلاَم إلى حِمَى ... ذاك الجناب وفي الخطاب تجمَّلِي
ثم أبْلغي كرماً تحيةَ عَبْدِه ... لجنابه السّامي الذَّرا وتفضلي
في طيّها نشرٌ يفوقُ عبيرُها ... رَيّا رياض الحَزْنِ غَادَاها الوَلِيَ
وصِفِي لسُدّته الشريفةِ شوقه ... بتعطُّفٍ وتلطفٍ وتَذَلُّلِ
واستأنِ في خَبَر الغرام وشَرْحِهِ ... واستأنِفِي من حاله المتحوِّلِ
جملاً عن التفصيل فيها غُنْيةٌ ... لجنابه إذ عِلْمُه فيها جَلِي
منها إقامتُه بجرعاءِ الحِمَى ... أعني ربوعَ الشام أولُ منزِلِ
لا تزدهيه معالمٌ لَبِسَ الصَّبا ... فيها بُرُوداً في الزمان الأوَّلِ
بل دأبهُ فيها الدعاء لدوحةٍ ... مَدّتْ على الإسلامِ ظلَّ تفضُّلِ
من روضِ بُستان العلوم فروعُها ... طابتْ مغارسُ مجدها المتأثلِ
ضربتْ رُواق المجد مُعْترض السُّها ... يسمُو على هام السِّماك الأعْزلِ
فعسى عُلاها المولويُّ بما حوى ... من سُؤدد سامٍ ومجدٍ مُعْتلِي
يحنُو على دَرويش سُدَّةِ بابه ... عَطْفَ الرَّحيم بعبده المتذلِّلِ

في ظلِّ مقياسٍ ورَوْضَتِهِ التي صَدَحتْ عليها سَاجعات قَمَارِي
لا بل إلى فُسْطاطِ مِصْرَ وما حَوَى ذاك الحمى من سُؤْدَد وفَخَارِ
بمقامِ قاضِي العسكرين ومَنْ غَدَتْ رَشَحَاتُ راحِتِه كفيض بِحَارِ
أدْنى مواهِبَه الوُجُودُ وما حَوَى وأجلُّ ما يحويه شُكْرُ البَاري
وافتْكَ وافدةُ القَوافي فَوْقها أَوْقَارُ مَدْحكَ وَهْوَ مِسْكٌ دَارِ
فاسْتَجْلِ من أتْرَابها شامِيّة تَغْدُو لها قَيْنَاتُ مصرِ جَوَارِي
فالشِّعرُ منه مآثرٌ وأجلُّها ما كان منه طَالَوِيَّ نِجار
كم راضَ من حُسَّانِهِ حُسَّانَةً مَرْعيةَ الألحاظ ذاتَ نِفَارِ
لا زلتَ محروسَ الجناب بدولةٍ موصولةِ الأدوار بالأدْوَارِ
وأدام رُكنُ المجد قُرَّةَ عينه شمسَ العلوم وبهجةَ الأقمارِ
أحياه ربُّ العرش عُمْرَ سَمِيِّهِ نُوحٍ مُزَجّي الفلكِ في التيّار
ورأى به ما لم يكنْ يوماً رأى عَمْرُو بن شاسٍ قبله بعرار[1]
في ظِلِّ مقتبل الشَّبابِ وشَرْخِهِ صَافٍ من الأقْذَاءِ والأكْدار
بمُحَمَّدِ المختارِ أشرفِ مُرْسَلٍ هَادِي الأنام وآلِهِ الأطْهَار

---

(١) عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي، أبو عرار، شاعر جاهلي مخضرم أدرك الإسلام وأسلم، وكان كثير الشعر في الجاهلية والإسلام، وكان ذا شرف وقدر في قومه، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير، وقال إبن حجر: شهد القادسية وله فيها أشعار.

أما إبنه عرار فقد كان ذا لسن وفصاحة، وكان أسمر اللون، فحضر مجلس عبد الملك إبن مروان فلفت الأنظار ببلاغته وقوة منطقه، ولما أراد الانصراف تمثل عبد الملك بهذا البيت:

وإن عراراً إن يكن خبر واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فتبسم عرار، فاستدعاه عبد الملك وسأله عن سبب تبسمه، فقال له: لأني أنا عرار الذي يقصده الشاعر يا أمير المؤمنين، فأعجب عبد الملك بهذه المصادفة وأجزل صلته.

وعهدي أنّ مغانيها مغاني الشِّعْب طيباً في المغاني، ورُبُوعها بمنزلة الربيع من الزمان، وقد كانت لرائيها جَنّة، فأصبحت الآن مَلاَعِب جِنّة.

عـلى أن الفـتى العَرَبيّ فيهـا غريـبُ الوَجْه واليَدِ واللِّسَانِ[1]

ألا وهي مسقط راسه، ومُشتعل نبراسِه، وهو تشتيتُ حاله، وتوزُّعُ بالِه، يُشهد اللهَ على قلبه، وكلَّ من حضر من آله وصحبه، أنه مُذْ فارق أعتاب سيِّدِه التي سَمَتْ بعلُوِّها هامَ البُدُور، ووسمت مدرج النعائم ومَفْحِصَ النَّسْرين بالقصور، وما برَح في هذه الأراضي المقدسة المشاهد، المُطَهَّرة المعالم والمعاهد، سِيَّما بقاع الجامع الأُمَوي المحترم، المشتهر بين الأنام برابع حَرَم، مُلاَزماً لدعاء الحضرة الإسلامية العَلاَّمية، ضاعف الله جلالها وإجلالها، وأمَدَّ على العالمين ظِلالها، وأبْدَر أعمار أقمارها في سُبُوغ البقاء، وأدام لهم في ذِرْوَة المجد والعلم الارتقاء، وجعل لهم فُضَلاء العصر من كلِّ سوءٍ الفداء، بمحمد خير الأنام، وآله الكرام وصحبه العظام».

ومما كتبه إلى القاضي محب الدين في استدعاء شعر التهامي

ومما كتبتُ أوائل ذي الحجة الحرام عام رابع بعد الألف، وأنا بدمشق دار الصِّبَا، وملاعب الصِّبا، للمولى الأخ الفاضل، والأديب

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي في وصف شعب بوان ببلاد فارس، وقد سبق فيما مر من صفحات الكتاب.

في أن يُسِر أمْرَهُ العـالي إلى قاضي العَسَاكِر في قَضاء المَحْمَلِ
ليطوفَ بالبيـت الحرام مُلَبِّيـاً ويزور في من زار أشْرَف مُرْسَلِ
ويديم عنـد المَرْوَتـين وبالصَّفا لـكُ الدُّعـاء بخشيـة وتَبَتُّـلِ
ويعودُ من حَرَمٍ إلى حَرَمٍ بـه بيـتُ الفضائِل قصد كلِّ مؤمِّلِ
لازالَ يـا مولاي بابُـكَ كعبـةً فيها المُنَى وحِمَاكَ أحْصَنَ مَعْقلِ
وعَـلاَ بك الإسلامُ أرفعَ هَضْبَةٍ ورَسَى عَدُوُّك في الحضيض الأسْفَلِ
بمحمَّـدٍ هـادي الأنـامِ وآلِهِ الْـ ـعَشْرِ الكرامِ ومن لَدَيْهم قد وَلِي

أسبغ الله ظلال الدوحة البستانية على مفارق الإسلام، وبسط بآرائها الصائبة بـاط الشريعة المحمدية لكافة الأنام، ولا برحتْ أعلامُ الهدى بنـائم لُطفها خفّاقة اللِّوى، ومعالم الدين الحنيفي بشمائم عطفها سالمة اللأْوَا، مادام دِينُ الهُدى ظاهراً جَلِيًّا، ولم يُنادِ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، يُقبِّل أعتابها التي سمتْ فضائلها السامية سُمُوَّ الفَرْقدين، ووسمتْ فواضلُها بالنقص كمالَ النَّيِّرين، عبدٌ جنى على نفسه ما جناه، من مَغَادرة أعتاب سَيِّده ومَوْلاَه، فأقام بزوايا دمشق الشام، عُرْضة لسهام الأيام، وغَرَضاً لصائبات السِّهَام، في عِيشَةٍ غيرِ راضية، وحالة بغير التلاقي قاضية:

وعَضَّ زَمَانٌ يا إبن بُسْتان لَمْ يَـدَعْ من المال إلاَّ مُسْحتاً أو مُجلَّفُ[1]

---

(١) البيت للفرزدق، وقد اقتبسه المؤلف ببعض التصرف، فهو في شعر الفرزدق:
وعض زمان يا ابن مروان... الخ.
والمسحت والمجلف: النزر اليسير أو المستأصل من المال، وللنحويين مأخذ على الشاعر في هذا البيت، إذ كيف يعطف مرفوعاً وهو قوله مجلف على منصوب وهو (مسحتا). وقد تكلف بعضهم إيجاد مخرج له ببعض الأوجه من الإعراب، ولكنها كلها ضعيفة.

أيـــــــام أرامِ خُزْوَى عيونهن مَرَامِي
حيـــثُ الشبـــابُ ريـــاضٌ طُلَّـت بشرخِ رهَـــامِ[1]
تَرودُ حاشِيَتَيْـــــــــه رُودٌ بلـــــــــينِ قَوَامِ
حَاجِبِيَّـــــةُ الطَّرْفِ سَكْرَى مِنْ رِيقهـــا بُـــدَامِ
كـــأنَّ نكهـــةً فيهـــا والليـــل في ثوب حَـــامِ
والنجمُ فيـــــه وشاحٌ عـــلى عَرُوسِ الظـــلامِ
وطائرُ النَّسْر يَهْوِي للغَرْبِ خَشْيَـــــةَ رَامِ
صَهْبَـــاءُ من بيـــت رَاسٍ[2] أو كَرْمُ شَيَّـــا رَامِ
وافَـــى بهـــا بعـــد هُـــدْءٍ مُقَرْطَـــــقٌ[3] لِنُدَامِي
كأنـــــه غُصْنُ بـــانٍ يَعْلُوه بـــــدر تَمامِ
أو نفحـــةٌ من ريـــاضٍ أريضـــــةٌ بالشآمِ
علـــــتْ ثغورَ الأقاحي فيهـــــا فروعُ النَّشَامِ
فأضحـــك الزَّهْرُ فيهـــا بكـــاء عـــينِ الغمامِ

---

(١) الرهام: المطرة الضعيفة الدائمة، وشرخها: أولها.

(٢) بيت راس: اسم لقريتين في كل واحدة منها كروم كثيرة ينسب إليها الخمر أحداها بالبيت المقدس، وقيل: بيت راس: كورة بالأردن والأخرى من نواحي حلب قال حسان بن ثابت:

كـــأن سبيئـــة من بيـــت رأس يكون مزاجهـــا عسل ومـــاء
فنشربهـــا فتتركنـــا ملوكـــاً وأسداً مـــا ينهنهـــا اللقـــاء

انظر معجم البلدان ٣/ ٧٧٦.

أما شيارام فلم أجد تعريفاً بها فيما بين يدي من مراجع.

(٣) المقرطق الذي يلبس القرطق (بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء) وهو لباس شبيه بالقباء وهو ثوب كالقفطان يلبس فوق الثياب ويتمنطقون عليه، إلا أنه قصير، وأصله بالفارسية كرته، انظر شفاء الغليل ٢٠٨.

الكامل، الأغر الأمجد المكين، القاضي محب الدين[1]، مستدعياً شِعْر التِّهامي[2]:

إليـــكَ أزْكَـــى سَلَامِ ... يـــا خَيْر حَبْر إمـــامِ
مِن نـــازحِ الهَمِّ دانٍ ... بعيـــدِ شأوِ المَرَامِ
راعِ ذمـــام المعـــالي ... رَعْيَ العُـــلا لِذمَـــامِ
بـــل من محـــبٍّ إليـــه ... مُتَيَّمٍ مُسْتَهَـــامِ
في طَيِّـــه نشر وُدٍّ ... مضاعـــف الشوق نامي
زكي كنَشْر الخُزَامَى ... ريـــاض حَزْنٍ نَوَامِي
تَضَاحَكَـــتْ إذ بكاهـــا ... نَوْءٌ من الطَّرْف هَامِي
فخـــدُّ ورد رُباهـــا ... من نرجس اللحـــظ دَامِي
أو زورة من حبيـــب ... فيهـــا شفـــاء سِقَامِي
ورشفـــةٌ من لَمَـــاهُ ... تطفي لهيـــب أُوَامِي
أو شَرْخُ مهـــد التصـــابي ... مضى كطيـــف منـــامِ

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن داود بن عبد الرحمن (محب الدين بن تقي الدين الحموي)، ولد سنة تسع وأربعين وتسعمائة، وتنقل بين دمشق وحلب وحمص وحماه ومصر والروم، وتولى القضاء أكثر من مرة، واشتغل بالتأليف والفتوى، وله من المؤلفات «شرح شواهد التفسير» توفي سنة ١٠١٦ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٣/ ٣٢٢، ريحانة الألبا ١/ ١٩٤.

(٢) هو علي بن محمد بن نهد التهامي، أبو الحسن، شاعر مشهور من أهل تهامة (بين الحجاز واليمن)، زار الشام والعراق، وولي خطابة الرملة، ثم رحل إلى مصر متخفياً ومعه كتب من حسان بن مفرج الطائي (أيام استقلاله ببادية فلسطين) إلى بني قرة قبيل عصيانهم بمصر، فعلمت به حكومة مصر فاعتقل وحبس ثم قتل سراً في سجنه سنة ٤١٦ هـ. وله ديوان شعر مطبوع.

انظر وفيات الأعيان ١/ ٣٥٧ (الأعلام ٥/ ١٤٥).

ذِكْرَى ولم تَنْسَ يومـــــاً ولا عَطَـــــاؤك مَمْنُونْ
إن جـــازَ إنجـــازُ وَعْـــدٍ فابعـــثْ لنـــا بـإبن خلـدُونْ
يكنْ لـــــديَّ مُعَـــــاراً لكن وحقِّـــــكَ مَضْمُونْ
والأمرُ منـــــه دعـــــاءٌ محققـــــاً ليس مظنونْ
ومنـــــه هـــذا فعجِّـــل بـــــه فـــداك المُحِبُّونْ
والعُـــذْرُ عنـــد أمـــين لـــــديَّ ليس بمأمونْ
لازلـــت ترقـــى بفضـــلٍ والضِّـــدُّ بالجهـــل في الـدُّونْ

تهنئة للسابقي بمنصب الدفتردار

وكتبتُ وأنا بدمشق الشام، سَقَى حماها صوبُ الغمام، للأخ الأمجد المكين، محمد السابقي الأمين ، وقد وُلِّي منصب دَفْتَرْدَارِيّة[٢] تلك الديار، وقد وصل خبره وهو مقيم ببعض الأمصار، صدر مكاتبة، وذلك عام خمس بعد الألف، قولي:

زهرتْ دمشقُ وأزهرتْ منها الرُّبَا وجلتْ شُموسُ السَّعْد منها الغَيْهَبَا
بقـدومِ رَبِّ الفضل دَفْتَردَارها من خَصَّـه اللهُ المهيمن بالحِبَا
سَامِي المحـلِّ سَمِيُّ أشْرف مُرْسَلٍ أعـني محمداً الأمـينَ المُحْتَبـينَ
لازال في فَلَـك المناصب طالعاً بـدراً وفي أُفْـق السِّيادة كَوْكَباً
مـا أنشدتْـهُ سواجعٌ من فِكْرتي أهـلاً بمقدمك الشريف ومَرْحَبَا

---

(١) الدفتردارية: الإدارة التي تنظم الوارد والمنصرف من أموال الحكومة، والدفتردار هو الموظف الذي يتولى ذلك، والكلمة تركية.

وبـــــات قُمْرِي مُقْرِي فيهـــا بأعْـــلى مَقَـــامِ
يُمـــلي أحـــاديـــثَ شَجْوٍ مُسَلْسَلات الغَرَامِ
عن ذاتِ أفراخ بانـــت عنهنَّ قصـــدَ طعـــامِ
ثم انثنيت فإذا هُنَّ نهبـــة لقُطَامِي[1]
فشجوهـــا بعـــضُ شجوي عـــلى الصِّبـــا وهُيَامِي
وبعـــد فالقصـــدُ يـــا من غـــدا حِمَـــى الفَضـــل حَامِي
ومن رَقَـــى نجـــدَ مجـــدٍ إرسالُ شِعر التُّهامِي
لازلـــتَ للشعر حَامِي بمنطـــق كالحُسَامِ

وفي استدعاء مقدمة إبن خلدون

ومما كتبتُ أيضاً إليه مُسْتدعياً للمقدِّمةِ المشهورة بتاريخ إبن خلدون، وقد وَعَدَنا بإرساله لازال يَعلُو والضِّدُّ في الدُّونِ:

جَرَى ببحر النِّظَـــام فُلْـــكٌ بِجُبِّـــكَ مَشْحُونْ
بضائـــع المـــدح فيـــه سمـــت عـــلى الـــدُّر مكنونْ
لو كنّ للغيـــد عِقْـــدا في الجيـــد لم يُعبـــد الزونْ[2]
أبكـــارُ فكرٍ عَـــذارَى لاثيِّبـــات ولا عوُنْ
تغـــدُو الجواري جوار لهن في الأفـــق بـــل دُونْ
نَظَّمْتُهنَّ وشاحـــاً لخصرِ مَدحـــك مَوزونْ

---

(١) القطامي بضم القاف أو فتحها: الصقر.

(٢) الزون: الصنم، أو ما يتخذ ويعبد.

مـــا فيـــه غـــيرُ هواك أو ... وُدٌّ مواثقُـــــهُ قَدِيمَـــــهْ
ليستْ بواهيـــــةٍ عـــــلى ... طولِ الزمـــان ولا رَمِيمَـــهْ
بـــل غَضَّـــةٌ فكأنَّهـــا ... زهرُ الرِّيـاض سَقَتْـهُ دِيمَـهْ
أو هَضْبَـــة الفضـــلِ الـــتي ... لـك قـد رَسَتْ عنـدي مُقِيمَهْ
هـــذا وكم لـــك من يـــدٍ ... عِنـــدي مواقعُهـــا جَسِيمَـــهْ
بكرتْ كمنهـــــلٍّ الحَيَـــا ... تَحْـــدُو نَعَامَـــاهُ هَزِيمَـــهْ
باتَـــــتْ تكرِّرُهُ الصَّبـــا ... والفجرُ قـد أبْـدَى صَرِيمَهْ(١)
وشَّحْـــــتُ آدابي بهـــا ... فكأنَّهـــا فيهـــا تَمِيمَـــهْ
إن تُحْبنيـــــهِ تَفَضُّـــــلاً ... فالفضـــلُ في مولاي شِيمَـــهْ
لاسِيَّمَـــا والوعـــدُ دَيْنٌ ... والوَفـــا قـــاضٍ غَرِيمَـــهْ
لازلـــتَ مَوْصُوفَ الإخـــا ... ء تَؤُمُّ ساحتَـــك الكَرِيمَـــهْ
غُرُّ القوافي تحمـــلُ الأفْـ ... ـواهَ من مَدْحِي لَطِيمَـــهْ(٢)
مـــا ظَرَّزَتْ حُلَـــلَ البَيَـــا ... نِ يَرَاعـــةٌ لـــك مُسْتَقِيمَـــهْ

فلما أن وصلت الأبياتُ مع الرَّسُول، وقعتْ من جنابه الموقع في حَيِّز القَبُول، بادر بإرسال ذلك الجُزْء مُعْتذراً، ولم يكن - وحاشاه - فيما وعد مُقَصِّراً، فثنيتُ عِنان القَلم مرة ثانية، وكتبت إليه في أقلَّ من درجة أو ثانية، قولي:

يـــا من أياديـــه الجسيمـــة ... للنَّاظِرِين تُرَى وَسِيمَـــــهْ
خصَّـــت أياديـــه بهـــا ... وغَـــدَتْ مواقعهـــا عَمِيمَـــهْ

---

(١) صريمة: انصرامه ورواحه وذلك في وقت السحر.
(٢) اللطيمة: وعاء المسك.

وكتب يذكره بوعده في إرسال «يتيمة الدهر»

ومما كتبتُ إليه وهو بدمشق دامت فضائله، كما طابت شمائله، وقد وعدني بإهداء جزءٍ من «يتيمة الدهر» لأبي منصور الثعالبي، وقد أبطأ في إرساله، قولي في التاريخ المذكور:

يـــا من لـــه الآداب شِيَمـــهْ ... مُـــذْ أُلْقِيـــتْ عنـــه التَّمِيمـــهْ
ومن ابتـــني بيـــتَ المَعَـــالي ... ساميـــاً وحَمَـــى حَرِيمَـــهْ
ولـــــه السَّجايـــــا أسْكَرَتْ ... بـــانَ الحِمَـــى وثَنَـــتْ نَسِيمَه
ولـــه اليَرَاعُ أراعَ قلـــب الطِّـ ... ـرْسِ إذ حَلَّـــى رَقِيمَـــهْ
بـــلالىء الـــدُّرَرِ الـــتي ... بذّت دراري الأفـــق قِيمَـــهْ
ولـــــه النواجمُ في العُـــلاَ ... زُهْرُ النجوم لهـــا خَدِيمَـــهْ(١)
فهي السَّوانـــــــح لا سَوْا ... نِـــحُ رامـــة يألَفْنَ رِيمَـــهْ(٢)
من كـــلِّ وَسْنـــى مَدُّهـــا ... بـــانٌ عـــلى نَقْوَى صريمَـــهْ(٣)
هَـــبَّ الشبـــابَ بجسمهـــا ... مَـــاءُ الصِّبَـــا فسَقـــى أدِيمَـــهْ
عبـــث الوليـــدُ بخصرهـــا ... فأعـــار رِقَّتَـــه نظيمَـــهْ
صَيَّرْتُ قلـــــبي والحَشَا ... لـــك منزلاً تـــأوي صَمِيمَـــهْ

---

(١) النواجم: الآراء النابغة، والخديمة: الخادمة.

(٢) السوانح الأولى: ما يجود به الخاطر من آراء وأفكار، والسوانح الثانية: من الطير أو الحيوان ما يأتي من ميامنك إلى مياسرك والعرب تتيمن به، ورامة: موضع بالبادية، والريمة أنثى الظبي الخالصة البياض.

(٣) البان: شجر سبط القوام لينه يشبه به الحسان في الطول واللين، والنقوى: الكثيب من الرمل، والصريمة: القطعة المنعزلة من معظم الرمل.

من سَابِقيّ سابـــــــــــقِ في الفضـــل مضّـــاء العَزِيَمـهْ
وأخِي الوفـــــاءِ وخِدْنِـــــه مهما جَفَـــا خِـــلٌّ حميمَـــهْ
لمـــــا رأى الـــــدُّريَّ من مدحي لـــــه دُرراً يتيمـــــهْ
أهـــــــــدى إليَّ مُجَانساً فعـــلَ البليـــغ من اليتيمـــه
جُزءًا كروضٍ أثْلَجَـــــتْ[1] فيـــه سجايـــاهُ الكَريمـــهْ
مـــــاءَ البيـــــانِ فَطَرَّزَتْ منـــهُ حَوَاشيـــه الرقيمـــهْ
لازلـــــــتَ تعلُو صهوة الـ آداب لَيِّنَـــــةَ الشّكِيمَـــــهْ
مـــا وشّحـــتْ عِطـفَ البيـا ن يَرَاعـــةٌ لـــك مستقيمـــهْ

وفي استدعاء «الأمثال» للميداني

ومما كتبتُ به إلى رفيع جنابه، ما دعت الضرورة إلى استدعائه من أعتابه، وهو كتابُ «الأمثال» للعلاَّمة الميداني النيسابوري[2]، للكَشْف عن عبارة المُنْلاَ جامي[3]، قَدَّس الله سِرّه السَّامي، قولي:

---

(١) أتلجت: أدخلت.

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، أبو الفضل، الأديب البحاث صاحب مجمع الأمثال الذي لم يؤلف مثله في موضوعه.

ولد الميداني ونشأ وتوفي في نيسابور (حاضرة خراسان) ونسبته إلى ميدان زياد محلة فيها، ومن كتبه: نزهة الطرف في علم الصرف، والسامي في الأساس في اللغة وهما مطبوعان، والهادي للشادي في النحو وشرح المفضليات في الأدب.

انظر وفيات الأعيان ١/ ٤٦، وإنباه الرواة ١/ ١٢١، ونزهة الألبا ٤٦٦.

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي، نور الدين، مفسر، مشارك في العديد من العلوم، ولد في جام (من بلاد ما وراء النهر)، وانتقل إلى هراة وتفقه، وصحب مشايخ الصوفية وحج سنة ٨٧٧ هـ، فطاف البلاد وعاد إلى هراة، فتوفي بها سنة ٨٩٨ هـ عن ثمانين عاماً. =

فالنـــاسُ صَـــدْرٌ وهي في لَبَّاتِـــهِ الـــدُّرَرَ النظيمـــهْ
قلّـــدت جيـــدَ مطالـــبي ومـــآربي منهـــا تَميمَـــهْ
من بعـــد مـــا حَلَّيْتَـــني من عِقْدِهـــا بحُلًـــى عَظِيمَـــهْ
طَوَّقْتَنِي مَنًّـــا بهـــا طوق ابن ساجعـــةٍ مُقِيمَـــهْ
في ظـــلِّ روضٍ وَشَّخَـــتْ أعطافَـــه راحـــاتُ دِيَمَـــهْ
وكسَتْـــهُ وَشْيَ أزاهرٍ زَهْرُ السَّماءِ لهـــا خَصِيمَـــهْ
وسرى النسيمُ البابـــليّ (م) مُعَارضـــاً فيهـــا نسيمـــهْ
تَثْـــني الخُزامَـــى حَنْوهُ فيـــه وقـــد أذكـــتْ حميمـــهْ
فكأنَّها أرَجُ الكِبَا ءِ ورَنْـــدُهُ فغماً شَميمـــهْ
أو أنَّ وادي الشحر فـــضَّ (م) مـــع الصَّبـــا فيهـــا لَطِيمَـــهْ
فِيـــهِ تذكرتُ الحمـــى وتذكري إيـــاه شِيمـــهْ
أيَّـــامَ أهصِرُ بَانـــةً هَصْرَ القُـــدود المستقيمـــهْ
إذ فيـــه سانحةُ المَهَـــا تَرْنُو بألحـــاظٍ سَقِيمـــهْ
وَهْنانـــةً وسْنانـــةً مجدُولـــة الأحْشَا هَضِيمـــهْ
لِلَّـــهِ أيـــامُ الحِمَـــى وسَنَـــا لياليـــه الصَّرِيمَـــهْ
مـــا ضرَّ أحـــداثَ النوى لو أنَّهُن عَطَفْنَ رِيَمَـــهْ
وَاعَـــدْن شَرْخـــاً حَلَّمَـــتْ يومَ النَّوى منـــه أدِيمَـــهْ[1]
تِلْـــك الأيـــادي لا الّـــتي حُدِّثْنَ في العُصُر القدِيمـــهْ
سَبَقَـــتْ إلي وحَبَّنـــا منهـــا سَوَابِغُهـــا الجَسِيمَـــهْ

---

(١) الأديم: الجلد، وحلم الأديم: رق من إصابته بالحلم، وهي دودة تقع عليه فتأكله، فإذا دبغ تخرق وتشقق.

وصادحةٍ أشجَتْ قُلُوباً خَلِيَّةً فعادتْ بذاك الشَّجْوِ وهْي لها وِكْرُ
تبيتُ بأعْلَى الدَّوْحِ والليلُ ضَارِبٌ بأرْوَاقِه حتى إذا طلعَ الفجرُ
أقامتْ تعيدُ الشجو فوق أراكةٍ فأفنانِ بَانٍ حَفَّها الوَرَقُ الخُضْرُ
وباتتْ ومن تَهْواه في ظلِّ أيْكَةٍ مَعاً في أمَانٍ لا يَرُوعُهُما ذُعْرُ
عجبتُ لها في الوَصْلِ نَاحَتْ ومَا رَعَى بأحبابها بَيْنٌ ولا خَانَها الدَّهْرُ
فقلتُ لها باللهِ ما هكذا الهَوَى أنُوحٌ ولا نَوْحٌ وذِكرٌ ولا ذكرُ
لِمُهْجَةِ صَبٍّ فانْظُرِي كيفَ حَالُه تَذُوبُ ولا نَهْيٌ لَدَيْها ولا أمْرُ
سِقَامٌ ولكن لا حَيَاةَ ولا رَدًى ودَمْعٌ ولكن لا بُكَاءٌ ولا نَزْرُ
على الشام مِنِّي كُلَّما هَبَّتِ الصَّبَا سَلَامٌ كنَشْرِ الرَّوْضِ طَارَ له نَشْرُ
بلادٌ كأنفاسِ الشَّمُولِ شِمَالُها وتُرْبَتُها مِسْكٌ وحَصْبَاؤُها دُرُّ
سَقاها وحَيَّاها الإله مَعَاهِداً سَحَابَ دُنُوِّ العَهْدِ وَافَى به البِشْرُ
فيا حُبَّها زِدْني جَوًى كُلَّ لَيْلةٍ ويا سَلْوَةَ الأيَّامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ

وفي عدم إسناد قضاء الركب الشامي إليه

ومما كتبت به إلى شيخ الإسلام مُفْتِي الزَّمان، محمد أفندي بن بُسْتَان، متعرِّضاً لما فعله قاضي العساكر عليُّ بن سِنان، من توجيه قَضَاءِ الركب الشَّامِيِّ، لشَخْصٍ يُعْرفُ بابن الحلواني، بموجب خَطٍّ اعتمد عليه في زَعْمِه، وأنَّه كان منه على رَغْمِه، بعد أن وُجِّه لي قبلُ بسَنَة، وذلك مُسْتَهل مُحرم الحَرام، سَنَة ثلاث بعد الألف، قولي:

أنا مِنْ حَادِثِ عَرَى في أمَان ومَلَاذي جَنَابُ مُفْتي الزَّمَان
حُجَّةُ العالمين غَيْثُ البَرَايَا نُصْرَةُ العَالَمين غَوْثُ الأوَان

« سيّدي جَمَّل اللهُ الأدب ببقائه، ونضَّر رياضه بروائه، وأدام أياديه السَّابقيَّة في الفضائل، كما بَسَطها من قبلُ في إسداءِ الفَوَاضل، المعروض لسامي حضرته، غِبَّ الاشتياق لباهر طلعته، لازالتْ ثالث القمرين ضياء، والنيِّرين سَناً وسَنَاء، إن الضرورة داعيةٌ لاستخراج مَثَل من أمثال العرب، وقع في أثناء دَرْسِ كتاب العَلاّمة السَّامي المُنْلاَ جامي، وما ثَمّ في كِسْر بيت الدَّاعي دَفْتَرٌ في فَنِّ الأمثال، إلاّ وقد تَصَفَّح سِينَه وشِينَه، فلم يُقَدَّرُ الظَّفَرُ به، فاشرأبَّتْ النَّفْسُ إلى رُؤيته في مجمع الأمثال للعَلاّمة الميداني النيسابوري، لغلبة الظَنّ أن يُوجد فيه، من غير تمويه، فإن رأى المولى - دام له العِزُّ والعُلا، إرسالَه مع حاملها فعل متفضِّلاً غير مأمور، دام في غِبطة وسُرُور، والسلام.

فبعد إرسال الكتاب، وجّه إليّ بالخطاب، بأن في ذكر داعيه، أن اليد تُجْمع على أيدي - دامت أياديه، فإنها تُسْتَعمل في النِّعم، لازال مَوْلاَها ومُولِيها، على توالي الليالي والأيام والسلام، فكتبت إليه الجواب، بقولي:

« فَخْرُ الأدب ونَادِيه، بسُبُوغ أياديه، فَخْرُ مَارِيَّة بقُرْطَيْها[1]، والحمامة بفَرْخيها، وهو أقال اللهُ عثرة الأدب ببقائه، وأنعَش بهجَتَهُ بَبْرد

= من مؤلفاته: تفسير القرآن، وشرح خصوصي الحكم لابن عربي، والفوائد الضيائية في شرح كافية إبن الحاجب وهو أحسن شروحها، والدرر الفاخرة في التصوف والحكمة، وكلها مؤلفات مطبوعة عدا التفسير، وله مؤلفات أخرى مخطوطة، كما أن له كتباً بالفارسية.
انظر شذرات الذهب ٧/ ٣٦٠ (الأعلام ٤/ ٦٧).

(١) هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي، وكانت أم الحارث الأعرج ملك الغساسنة بالشام، وكانت العرب تضرب المثل بقرطها فيقال: خذه ولو بقرط مارية، مبالغة في النفاسة والقيمة. انظر ثمار القلوب ٦٢٩.

رُوائه، مازال يبحث عن دقائق اللغة، وهو أعلمُ بها من إبن قُرَيْب[1]، ويُنَقّب عن أسرارها، وليس به فيما يشهد اللهُ فيها رَيْب، وإنما عادة الأكابر مداعبة الأصاغر، فمن ذلك ما جرى في مجلسه مجمع الفضائل، ومنجع الفواضل، من أن الأيادي جمع اليد التي هي بمعنى النعمة، وأن الجارِحة تجمع على أيدي، وعلمه مُحيطٌ أن بعض أهل اللغة نَصَّ على أن الأيادي جمع كَثْرة، والأيدي جمع قِلَّة، وكلاهما مُفْرَدُ يَدٍ بمعنى الجَارِحة، ونَصُّه: اليد مُؤنثة وهي من المنكب إلى أطراف الأصابع، ولاَمُها محذوفة وهي ياء، والأصل يَدَيٌ قيل بفتح الدَّال وقيل بسُكونها، وجمع القلة أيْدِي وجمع الكثرة الأيادي، لابرح المولى موليها على الدَّوام، والسلام.

مع الوالي مصطفى باشا

ولما أن تولَّى دمشق الشام، صاحبُ الدولة والاحتشام، الوزيرُ الخطير، والدُّسْتور المُشير، مصطفى باشا الشهير بإبن راضية، عام خمس بعد الألف، قلت مؤرخاً:

بِرُبَا الشَّام نَهْرُهَا جَاشَا ... لا يُضاهيه كَوْثَرٌ جَاشَا
مثل صَفْو الرَّحيق سَلْسَلُهُ ... مآثرُ فيه العَبير ما مَاشَا
في رياضٍ لو أنّ نكْهَتَها ... نَفَحَتْ مَيِّتَ الهوى عَاشَا
دَبَّجَ الزَّهْرُ من مَعَاطِفها ... وكساها الربيعُ أرْيَاشَا

---

(١) هو عبد الملك بن قريب المعروف بالأصمعي، عالم اللغة والأدب الشهير.

وبهـا العندليـبُ من طَرَبٍ بثنـاءِ الوزير قـد جَاشَا[٢]
مُصطفـى الفَرْعُ أصْلُـه حَسَنٌ أثبتُ القوم في الوغَى جَاشَا[٣]
آصِفِيٌّ[٤] صِفـاتُ مِدْحَتِـهِ تُنْعِشُ السَّامِعـين إنعاشا
كافـلُ المُلْـكِ والمالـكِ لا أخْتَشِي في المقالِ من خَاشَا[٥]
عَدْلُـه مثـل خُلْقِـه حَسَنٌ لا يُجابـه فيـه من ماشا
نَشَرَ العـدلَ في جوانبهـا وطَوَى ظُلمهـا وقـد هَاشَا
سكـنَتْ والزَّمـانُ مُضْطربٌ فيـه هَرْجٌ وعَقْلُـه طَاشَا
فاطمأنَّـتْ بـه وطَمْأَنَهـا منـه لطـفٌ وحالُهـا رَاشَا
رَبِّ كُنْ حافظـاً لـهُ وبـه حافـظَ الشَّام من أذًى نَاشَا
فلَـذَا العَـدْلُ قلـتُ التّارِيـ ـخُ طَامَنَ الشَّامَ مُصْطفى بَاشَا

وكان يميلُ إلى الفُنُون الأدبيـة، ويصطفِي النّكاتِ الشّعْرية، فاصطنعني لنفسه، واتَّخَذني جليسَ أُنْسِه، فَمِمَّا اتفق لي معه أنه كتب بيتاً في كَاغَد أحمر غَلِط فيه فحكَّه فأثَّر ذلك فيه وابَيَضّ المكانُ المحكوك، فقال: يُشَبَّه هذا الحك بُجْرح في خَدٍّ، وكَلَّفَني أن أقُول في ذلك شَيْئاً، فقلتُ، فمن ذلك:

---

(١)

(٢) جاشا: تدفق وجرى.

(٣) جاشا: أي جأشا فسهلت الهمزة، والجأش: النفس أو القلب، ويقال: هو رابط الجأش: ثابت عند الشدائد.

(٤) آصفي: نسبة إلى آصف بن برخيا وزير نبي الله سليمان بن داود، الذي عرف بالحكمة والعلم، وأنه الذي كان عنده علم في الكتاب عن قوله تعالى: ﴿وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ يعني عرش بلقيس ملكة سبأ.

(٥) خاشا: أي غش وموه من كلامه.

أثَّر لَحْظِي بخـــــدِّه الأنورْ جُرْحاً فيا حُسْنَ ذَلك المنظرْ
كأنَّـــه في صَفـــاءِ وَجْنَتِـــهِ آثـــارُ حَـكٍّ بكاغَـدٍ أحْمَرْ

آخر

جرح اللِّحاظَ بصَحْنِ خَدٍّ أزْهَرِ أبْدَى إلى العُشَّاقِ أحْسَن مَنْظَرِ
فكأنَّـــه في وَجْنَـــةٍ مُحْمَرَّةٍ آثارُ حَكٍّ فَوق طِرْسِ أحْمَرِ

آخر

في قَانِي الخَـدِّ من لواحِظنـا جُرْحٌ حَكَى في صَحِيفَةٍ سَطْرَا
كأنـــه في احمرارِ وَجْنَـــتِهِ آثـــارُ كَشْطٍ بصَفْحَـــةٍ حمْرَا

آخر

بيـــاضُ جُرْحٍ بحُمرةِ الخَـــدِّ آثـــارُ حَـــكٍّ بكَاغِـــدٍ وَرْدِي

آخر

أثَّر في خَـــــدِّه من نَظَرِي دَقّ إلَّا عَن دقيـــــق النَّظَرْ
كهـــلالِ الشَّكِّ في أُفْـقٍ بَـدَا طالعـــاً في شَفَـــقٍ من خَفَرْ

آخر

أثَّر اللَّحْـــظُ بوجـــهٍ أقْمَرِ أثَرٌ كالجُرْح خَافِي المَنْظَر
كهـــلال الشَّكِّ في رُؤْيَتـــه نَاظِرٌ في شَنْـــفٍ[1] من خَفَرِ

آخر

جِرَاحَةُ اللَّحْظِ في الخُدُود وَحَكَى بياضُهـــا فوق حُمْرَةِ الخَـــدِّ
هـــلالَ شَكٍّ يَلُوحُ في شَفَـــقٍ خَـــطَّ لُجَيْنٍ بكاغـــد وَرْدِي

---

(١) الشنف: القرط، وقد يخصص الشنف بما يعلق في أعلى الأذن والقرط بما يعلق في أسفلها، الجمع شنوف وأشناف.

آخر

جِرَاحَـةُ اللَّحْـظ فوق وَجْنَتِـهِ حَكَـتْ بياضَ الهِلاَلِ في الشَّفَقِ
أو نُونَ ذَوْبِ اللُّجَـين خَطَّ بِها نَحْـــلُ هِـــلاَلٍ بأحمر الوَرَقِ

بكرتُ يوماً للقائه، وهو في عُلُو ارتقائه، وقد نُصِبَتْ له الخيام بَمْرجَة دمشق الشام، في مكان يُعْرف بصَدْر البَاز، وقد حكتْ رياضُها في الحقيقة لا على المجاز، وقد أسْدِلَت أذيالُ الخِيَم، وكان يوم غَيْم، فكتبتُ لجنابه، وبعثتُها مع بعض حُجّابه:

جلستُم بالخيـــام مُطَنَّبـــاتٍ ونحن عـــلى جَوَانبهـــا قِيَـــامُ
فقلنـــا إذ رَجَعْنـــا بانكسارٍ سُقِيـتِ الغَيْـثَ أيتها الخيامُ

وسألني يوماً عَمل تاريخٍ ليُكتب على طِراز القُبَّة التي أمر ببنائها خارج دمشق تعرف بقُبة الحَجَّاج، يُسَلَّم فيها المَحْمَل الشريف لأمير الحاج، فقلت:

بَنَـى قُبَّـةً للحَـجِّ أولَ منزلٍ رَجَاء ثَوابٍ عند تَسْليم مَحْمَلِ
بها مُصْطفى باشا الوزيرُ فأرخت بناها وزيرٌ حَازَ أشْرَفَ مَنْزِلِ

ولما أن ورد عليه من دار السَّلْطنة العلية، قسطنطينية المحمية، وهو بالشام خبرُ وفاة والدته راضية، صُمَّ له سَمْعُه، وتفرَّق لذلك جَمْعُه، واعتراه من الأحزان، ما لا يكادُ يَعبِّرُ عن بعضه اللسان، ويُعْذَر على التعبير نُطْق البَيَان، فكتبتُ له هذه المرثية، وأنشدتُه إياها، فكانت لحزنه مُسْلية بل مُسَلِّيَة، وهي:

لمـا اطمأنَّـتْ نفسُهـا الرَّاضِيَـهْ قيـل ارجعي مَرْضِيَّـة رَاضِيَـهْ
وفي عِبَـادِي فادْخُـلي جَنَّتِي قُطُوفُهـــا يانعـــةٌ دانيـــهْ

أجابَتْ الدَّاعِي إلى رَبِّها وأصبحتْ في عيشةٍ راضيهْ
عندَ مليكٍ قادرٍ لم يَزَلْ أحكامُه في خَلْقِه مَاضِيَهْ
أسْكنها فردوسَ جَنّته أنهارُها من تحتها جَارِيَهْ
تطوفُ بالأكواب من جَوْهَرٍ أو عَسْجَد أو فضة صَافِيَهْ
فيها رحيقٌ رائقٌ سلسلٌ خِتامُهُ المسْكُ أو الغَالِيَهْ
وفوق هذا كُلّه خَصَّها بمنحةٍ دُونَ الورى ساميهْ
تزورُها الزهراءُ في قصرها كرامةً في جَنَّةٍ عَالِيهْ
لبَّتْ نِداءَ الحَقِّ فانظرْ تجدْ تاريخها بعد النَّدى رَاضِيَهْ

قصيدته في مدح ابن الحرفوش

ومما كتبتُ به مفتتح عام ست بعد الألف من دمشق الشام، جاد مَعْلَمها صَوْبُ الغمام، إلى الأمير موسى بن علي الشهير نسبه الخطير بابن الحرفوش[1] وأنفذتُها إليه، وهو ببعلبك لضرورة دعت إلى ذلك:

أُحَمِّلُ نشرَ الرِّيح أزكى تحيةٍ كنَشْرِ خُزَامى الرَّوض فَاح بسَحْرَةِ
بها نفحةُ المِسْكِ الزكيِّ سَرَتْ بها شَمَالٌ إلى أرض العراق وَهَبَّتِ
فوافتْ حِمَى الزوراء ليلا وهَاجَها إلى الكَرْخِ برقٌ لاح جُنْحَ دُجُنَّةِ[2]

---

(١) هو الأمير موسى بن علي بن موسى المعروف بابن الحرفوش، الأمير بن الأمير، وكان بطلاً شجاعاً جواداً، ورث إمارة بعلبك عن أبيه وانتزعها منه إبن عمه الأمير يونس، وطالت الحرب بينهما حتى توفي موسى سنة ١٠١٦ هـ، انظر خلاصة الأثر ٤/ ٤٣٢.

(٢) اسم لمدينة بغداد التي بناها أبو جعفر المنصور، وسميت بالزوراء لأنه لما عمرها جعل الأبواب الداخلية مزورة عن الأبواب الخارجية أي ليست على سمتها.
أنظر معجم البلدان ١/ ٩٥٤. =

وهَبَّتْ لها من أرض بَابِل نفحةٌ ... أسَرَّتْ لها عن أهله ما أسَرَّتِ
فبينا تطيفُ الحائريةَ[1] روضةٌ ... سقاها سَحَابُ الوحي أغْزَرِ دِيَمةِ
لها وقفةٌ في مائلات عِرَاصُها ... تعادِلُ عندي بالمعرَّف[2] وَقْفَتِي
تراءى لها البَرْقُ الحجازيُّ مَوْهِناً ... فهاج لها تَذْكارَ عَهْدِ سُوَيْقَةِ[3]
فأثْنَتْ على الزَّوراء خيراً وودَّعَتْ ... على الكَرْخِ دَاراً للنُّهَى دَارَ هِجْرةِ
وفارقتِ الزَّهْراءَ كُرْهاً وفي الحَشَا ... لَزوْرَتِها يَوماً لَوَاعِج حَسْرَةِ
ومالتْ إلى نَجْدٍ وَطِيبِ شَمِيمِه ... وباتَتْ بوادِي الشَّحْرِ في ظلِّ رَوْضَةِ

ومَرَّتْ بَجْرعَاءِ الحمى فثنتْ به ... ذوائب بانٍ كالقُدُودِ الرَّشيقةِ
حِمَى الشَّام جَادَ الغَيْثُ ما حَلَّ تُرْبَها ... معانِ الهوى فيها مَغَانِي أحِبَّتِي[4]
وباتَتْ بأعْلَى النَّيْرَبَيْن[5] مع الصَّبَا ... تُطارِحُها ذكْرَى عُهُودِ برَبْوةِ

= والكرخ: سوق بغداد، وكانت داخل المدينة ثم أمر بها أبو جعفر فأخرجت منها بناء على نصيحة بطريق زاره وأشار عليه بإخراج التجار منها لاندساس الجواسيس بينهم، فبنى لهم محال في صفوف منتظمة على جانبين فيما بين الصراة ونهر عيسى.
معجم البلدان ٤/٢٥٤.

(١) الحائرية: هي الموضع الذي فيه الحائر، وهو قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما.

(٢) المعرف: موضع الوقوف بعرفة.

(٣) الموهن: نحو من نصف الليل، أو بعد ساعة منه، وسويقة: هي موضع قرب المدينة كانت سكناً لآل الحسن علي رضي الله عنهما لأنها كانت من جملة صدقات أبيه، وقد أخربها أبو السابح قائد المتوكل، حين خرج بها محمد بن صالح فظفر به وبجماعة من أهله فقتل بعضهم وأسر البعض الآخر، ثم عقر نخلها وطمر مياهها. انظر معجم البلدان ٣/ ١٩٨.
أنظر معجم البلدان ٣/١٩٨.

(٤) المغاني: جمع مغنى وهو المكان الذي غنى به أهله.

(٥) النيربين: مثنى نيرب وهو في موضعين، قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ وسط

على نهرٍ حَصْبَاؤُه الشُّهْبُ قد جرى ... خـلالَ سماءٍ وضّاؤها كالمَجَرةِ
يجـاوب تَسْجاعُ الحَمامِ خَرِيرَه ... فتُصْغِي له الوَرْقاءُ من فَوق أيْكَةِ
إلى حَضْرةٍ يَعْلُو الكواكَبَ قَدْرُها ... وتسمُو بها العَلْياء أشرفَ رُتْبةِ
اميرُ المعالي وابن نَجْدتها التي ... زَكَا فَرْعُهُ من أصل خَيْر أرُومَةِ
سُلاَلَـةُ حَرْفُوشٍ نصيرُ الأئمةِ ... وحامِي حِمَاها بالظُّبَا والأسِنَّةِ
سَقَـى قبرَه جودٌ كجود يمينـه ... فما قَدْرُ ما يَسْقيه هطلُ غَمامةِ
فيا آلَ حَرفوشٍ أحاديثُ جُوْدِكم ... وإن تكُ صَحّتْ في الليالي القديمةِ
وأثبتتِ الأيَّامُ صدقَ ولائكم ... إلى الآلِ وهو الفَخْرُ في كلِّ مِلّةِ
فأفضلكم مُوسَى وفَضْلُ أبيه لا ... أرى فيه شكّاً غيرُ واهِي العقيدةِ
فيـا من يَرُومُ الحقَّ والحَقُّ ظاهرٌ ... ولكـنا الأهواءُ عَمّتْ فأعْمَتِ
عليـك بإخلاص الولاء لحَيْدرٍ ... إمامِ الورى والعِلْمُ بابُ المدينةِ[1]
فحـبُّ عَلِيٍّ في الحيـاةِ وسيلتي ... وحُـبُّ عَلِيٍّ في الممات ذخيـرتـي
أدينُ بـه ما دُمتُ حَيًّا وإن أمِل ... وإن مِلْتُ يوماً عنه فارقتُ مِلَّتِي

= البـاتـين أنزه موضع، يقال إن فيه مصلى الخضر عليه السلام، وتذكر أحياناً باسم النيربين - كما هنا - وقد ذكرت ذلك في شعر لأبي المطاع وجيه الدولة بن حمدان في قوله:

سقـى الله أرض الغوطتـين وأهلهـا ... فـلي بجنوب الغوطتـين شجون
فما ذكرتها النفس إلا استخفني ... إلى برد مـاء النيربـين حنـين

انظر البلدان ٤/ ٨٥٥.

(١) حيدر أو حيدرة اسم من أسماء الأسد، وهو اسم لعلي كرّم الله وجهه، وقد استعمله هو في رجز له في غزوة خيبر، فقال:

أنـا الـذي سمتـني أمي حيـدرة ... أكيلهم بالسيـف كيـل السنـدرة

أما قوله باب المدينة فهو يشير إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

لـه في صميم القَلْب مِنِّي مَحبّةٌ ... أُرجِّي بها في الحَشْر أعظمَ زُلْفَةِ
وَلاءٌ لَـهُ بـين الجَوانـح والحَشَا ... نجاءٌ من النّيران فافهم إشارتي
بقيـتَ أميراً في ولائـك آمِراً ... وغَيْرُكَ مأمورٌ بحـكم الإضافـةِ
مَدَى الدهر ما طاف المشاهدَ طائـفٌ ... وعَفَّرِ في أعتابها وَجْـهُ جَبْهـةِ
وقَدَّستِ الأمـلاك فيها حَضَائراً ... مَهَابـطَ وحي اللهِ خَـير أئمـةِ
هُمُ للورى سُفْنُ النجـاة وحُبُّهُمْ ... هو العُرْوَةُ الوُثقى لنا في القيامةِ
عليهم سَلاَمُ اللهِ في كـلِّ لحظةٍ ... سَلاَمُ مُحِـبٍّ لا يَـدينُ بَسَلْوةِ

مجلسٌ أنيق وأدب رشيق

حدثني الشيخ الفاضل، والمرشد المسلك الكامل، جمال دمشق الشام، وشيخ مشايخها الكرام، محمد بن عبد الحق بن علاء الدين الحجازي، مفتي الشافعية يومئذ بدمشق المحمية، فَسّح الله في مُدَّته أنه كان أوان اشتغاله يحضر مجلس الشيخ يُونس رئيس الأطباء بدمشق، وكان ممن أخذ عنه علم الطب، قال: بينا نحن عنده في مجلسه وإذا بقاصدٍ من قِبَلِ العَلاَّمةِ القاضي معروف المعروف بالصُّهْيوني، ومعه سُكُرَّجَة[1] يَسْتهديه فيها

---

(١)

(٢) السكرجة بضم السين والكاف وفتح الراء أو ضمها: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وكل ما يوضع فيه الكوامخ ونحوها من الجوارش على المائدة حول الأطعمة للتشهي والهضم، وفي حديث أنس رضي الله عنه: «ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خوان ولا سكرجة ولا خبز له مرقق».

انظر شفاء الغليل ١٤٦، والوسيط ٤٤١.

شيئاً من التركيب المُسَمّى بِبُرْءِ سَاعة، وفي طراز السُّكُرُّجة من الأبيات يقول:

لا زالَ كُـــــلُّ رئيسٍ يُريـــكَ سَمْعـــاً وطَاعَـــهْ
وكـــــلُّ رَبٍّ مزاجٍ بـــكم يُرجّي انتفاعَـــهْ
عَبْـــدٌ أتـــاكُم مُحِـــبٌّ قـــد مـــدّ كَـــفَّ الضَّراعَـــهْ
يشكو أذىً وَدَوَاهُ لَدَيْكُمُ بُرْءُ سَاعَـــــهْ

فقضى حاجةَ قاصدِه، وكتب تحت السُّكُرُّجَة، في أقلَّ من دقيقة درجة، يقول:

العَبْـــدُ عَبْـــدٌ مُحِـــبٌّ أبـــدى قبولا وطَاعَـــهْ
كالسِّحْر قَابَـــــلَ أمراً مُطَرَّزاً بالبَرَاعَـــــهْ
أهْـــدَى إليـــكم دَوَاءً مُهَذَّبـــاً بالصِّنَاعَـــه
يَشْفِي بفعـــــلٍ وَحِيٍّ[1] عَـــلى المكـــان ابن سَاعَـــهْ

أخبر بذلك من لفظه بمسجد الجامع القَلْعي داخل سُور دمشق، غُرَّةَ ذي القعدة الحرام عام ست بعد الألف، ثم سألتُه عن نسبه وإلى م ينتهي؟ فقال: إلى الحُمَيْدي شيخ البُخَاري[2]، غير أن النسبة إلى الحجاز غلبتْ واشتهرتْ لمجاورتي به.

---

(١) الوحي: السريع.

(٢) هو عبد الله بن الزبير الحميدي الأسدي، أبو بكر، أحد الأئمة في الحديث، من أهل مكة رحل منها مع الإمام الشافعي إلى مصر، ولزمه إلى أن مات فعاد إلى مكة يفتي بها، وهو شيخ البخاري، روى عنه خمسة وسبعين حديثاً، وذكره مسلم في مقدمة كتابه، وله مسند.

توفي بمكة سنة ٢١٩ هـ.

انظر تهذيب التهذيب ٥/ ٢١٥

من شعر سلطان المغرب

ورد علينا دمشق الشام مُستهلَّ صفر المظفر عام خمس بعد الألف، الشيخ الفاضل الأريب الكامل الحسين بن أبي القاسم المغربي العتيقي المنسوب إلى وادي درعة تابع مدينة مُرَّاكش، فأنشدنا من حِفظه لسلطان المغرب مولاي أحمد المنصور الحَسَني - أمدّ اللهُ ظِلَّ حياته، وأفاض على الرعايا من بركاته:

لا ولَحْظٍ سَلَبَ السَّيفَ المضا ... وثَنَايَا مثل دُرٍّ أو بَرَدْ
ما هِلاَلُ الأفْقِ إلاّ حاسدٌ ... لعُلاَها وبَهَاها والغَيَدْ
فلذا صار ضَئيلا ناحِلاً ... كيف لا يفنى نُحولا مَنْ حَسَدْ[1]

وأنشدنا أيضاً مدّ الله تعالى ظِلَّه:

من عَنبر الشِّحْر أو من مِسْكِ دَارين ... بَلَى ومنه نُسَيْمات الرَّيَاحِينِ
مُهَفْهَفُكَ تَثَنَّى قلتُ مُقْتَضِبٌ ... من قُضْبِ نُعْمان أو من كُثْبِ يَبْرِينِ
إذا تَبَسَّم خِلْت الدر منتظما ... تحت العقيق وورْداً فوق نَسْرِينِ
وإن رَنَا فسهامٌ من لَوَاحِظِهِ ... لها بِشقِّ قلوبِ أيّ تمكينِ

قصيدته إلى يحيى أفندي يوم النوروز

ومما كتبتُ به لقاضي قضاة دمشق الشام، المولى يحيى أفندي ابن شيخ الإسلام، المولى زكريا بن بيرام، يوم النَّوْرُوز سنة ١٠٠٦:

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ١/ ٢٢٤.

سَفَر الزَّمـانُ بواضـح البشْرِ ... وافترّ باسِمُ ثَغْرِه الـدُّرِّي
وأضـاء وجـهُ الكون مُنْجَلِياً ... بَسَنَـا المُنى عن طلعةِ البـدرِ
وسَرى نسيمٌ منـه فـاح لنـا ... عَرْفٌ زَكيٌّ طيِّـبُ النَّشْرِ
فكـأنّ دارين العِطَـارَ ضُحًى ... نفضـتْ عليـه لَطَائِمَ العِطْرِ
أو أنّ أنفـاسَ الصَّبَـا سَحَراً ... باتَـتْ تعلِّلُـه عـلى الشَّحْرِ
تَسْري بـه في جَوٍّ كاظِمـةٍ ... بـين البَشَامِ ومُلْتَقـى السِّدْرِ
فَلَوَتْ بـه جِيـد العَرارِ إلى ... حَوْذَانِـهِ واقَاحِـهِ الغُرِّ
ثم اجتلَـتْ بالشام رَبْوَتُهـا ... ذاتَ القرار مَعِينهـا يَجْري
حَلَّـت عُرَى دلو السَّماء بهـا ... أيْـدِي الجَنُوب مَطالعَ الفجـر
ومَشَت بهـا الأنواءُ وانعطفـتْ ... فيهـا زَبَانَاهـا عـلى الغُفْرِ(١)
وسَطَـا بها لَيْـثُ النُّجوم على ... أيْـدِي النَّعـام فَلُـذْنَ بالنَّسْرِ
فافَـترَّ يضحَـكُ منها جَـذِلاً ... ثَغْرُ الأقـاح بمبسمِ دُرِّيّ
وتمايلـتْ أغصانُهـا طَرَبـاً ... لمـا تَغَنَّـى فوقهـا القُمْري
وثَنَـى الهزارُ بصوتـه غَرِداً ... عَذَبَـاتِ بانَتِها عـلى الرَّنْـد(٢)
فيـه لُجـين المـاء سَالَ إلى ... بَطْحـاء وادٍ حُـفَّ بالزَّهرِ
حَصْبَـاؤُه دُرٌّ وتُرْبَتُـه ... مِسْكٌ زَكِيٌّ أرْجَـا على القطْرِ
يَجري بـه ذَهَـبُ الأصيل على ... صَفْوِ اللُّجَـين بخالِـص التِّبْرِ
راعـتْ حَصـاهُ حِسَانُ عاليـةٍ ... فَلَمَسْنَ عِقـد الـدُّرِّ في النَّحْرِ

---

(١) زباناها: جمع زبون وهي الناقة التي تدفع ولدها عن ضرعها، والغفر: الصغار.
(٢) البان: ضرب من الشجر سبط القوام لين يشبه به الحسان في الطول واللين، عذباتها أطرافها، والرند: شجر طيب الرائحة ينبت في سواحل الشام، أو العود، أو شجر الآس.

يا حَبّذا رَبْعُ الشّامِ وَمَا ... يَحْويه من ظَبْيَاتِهِ العُفْرِ
مَغْنَى الهَوى ومَغَان غَانِيَةٍ ... من رِيمِ رَامَةَ أو مَهَا الخدْر
فَتَّانَةَ العينين بالسِّحْر ... حُسَّانة الجيدين والصَّدْرِ
من كلِّ جائِلة الوِشَاحِ فَلَوْ ... كان السِّوار لَجَالَ في الخَصْرِ
جيداءَ يخفقُ قُرْطها أبداً ... خفقانُ قلب رِيعَ بالهَجْرِ
فإذا بَدتْ يا خَجْلَةَ البدرِ ... وإذا انْثَنَتْ يا خَيْبَة السُّمْرِ
فيهنَّ ذاتُ الخال تَحْسَبُها ... فوق الثُّغُور المَحْو في البَدْرِ(١)
أو فوقها زِنْجِيُّ رابيةٍ ... يَحْمي عُذَيْب الثغر في ثَغَرِ
أو سِحْر مَنْطقها أراكَ على ... تلك المَبَاسِم آيةَ السِّحْرِ
فكأنها سُنَنُ الهُدى وُضُحاً ... والخالُ منه ظلمةُ الكُفْرِ
طابتْ بها الأوقاتُ واعتدلت ... أركانُ بِنْيَتها بلا فُكرِ
وَصَفَتْ من الأكدار سَاحَتُها ... حتى استحال العُسْر في اليُسرِ
وبدت نجوم السَّعد طالعةً ... من مطلع الإقبال والبِشْرِ
يُغْشِ النَّواظِرَ نُورُها أبداً ... كالشَّمْس ضاحيةً بلا سِتْرِ
ما ذاك إلا أنَّ سَيِّدنا ... قاضي قضاةَ الشَّام ذي الفَخْرِ
يَحْيَى سَمِيُّ نَبِيِّ مُعْجِزَةٍ ... جاءتْ له في مُحكم الذكْرِ
من حاز إرْثاً عِلْمُه وسَعَى ... فيه فأدرك غايةَ الفَخْرِ
بمضاءِ عَزْمٍ غَرْب مُرْهَفَةٍ ... هَامَ الهُوَيْنى لم يَزَلْ يَفْرِي
وضياءِ حَزْم ظِلُّ قائِدِه ... رأي يصيبُ شواكل الأمرِ

---

(١) المحو: السواد في القمر.

لا زال يُحيي الفضل مقتبلا ... شَرْخ الشباب مدى العُمُرِ
أجرى به عَدْلا كساهُ به ... شَرَفاً كفاهُ آخرَ الدهرِ
وكذلك الشَّهْبَا كما عَدَلَتْ ... أحكامُه فيها فسَلْ تَدْرِ
كيف اعتلى فِرْدَوْسَها وَزَهَا ... بابُ الجنان بها على الزُّهْرِ
كانت دمشقٌ قبيل مَقْدَمِه ... من ظُلْمها في غَايَةِ الحَصرِ(١)
فجلا بنُورِ العَدْل ظُلْمتها ... منه برأي صائب الفِكْرِ
أوَ ما ترى رَوْضاتها كَسِيَتْ ... حُلَلَ الأزاهر والمُلا الخُضْرِ
وتُرى الرُّبَا أعطافُها اتشحتْ ... ومَشَيْن من زُهْرٍ ومن زَهَرِ
هذا إلى خُلُقٍ له شِيَمٌ ... مِثْلُ الرّياض بَسَمْن عن زَهَرِ
ومكارمٌ في الخَافِقَين لها ... ذكْر مع الرُّكْبان إذ تَسْرِي
وحَديثها بين الرُّواةِ لَهُ ... بالشام عَنْعَنَةٌ وفي مِصْرِ
رُتَبٌ تساقَطُ دُون غايتها ... هُوجُ الرِّياحِ بهمهِ قَفْرِ
مولاي يا مَنْ جُودُ رَاحتِهِ ... جَارَى الغَمَامَ ووابلَ القَطْرِ
إن يُولِني نعماً فقد أوليتني ... ما لا يَفي بقليله شُكْرِي
مِنْها سأوليك الثَّنا نِعَماً ... أضْعَافُها بالمنطق الحُرِّ
بعقودِ نَظمٍ كالنُّجومِ زَهَتْ ... ولآلِي نَظَّامُها فِكْرِي
من كلِّ قافيةٍ جَرَتْ مَثَلا ... تُرْوَى عن الطّائيِّ أو بشْرِ(٢)
لو أنْشدَتْ للبُحتري قَضَى ... حَقّاً لَها بالسَّبْق في الشعرِ

---

(١) الحصر: الضيق.
(٢) يعني بالطائي: أبا تمام.
أما بشر فهو بشر بن أبي خازم الأسدي.

جَارَى النَّسِيبُ الفخرَ ممتزجاً فيهـا امتزاج المـاء بالخمرِ
خُذْهـا بنـيروزٍ مُهَنَّئـةً وقُـدُومِ شهر الصَّوم والفِطْرِ
يتلُوهما عِيـدٌ وعَائِـدَةٌ مَوْصُولـةَ الإحْسانِ بالبِرِّ
واسْلم لمثلَيْهـا ومثلهما ولمثلنـا في دولـةٍ بكْرِ
دَوْريـةً مـا دار في فَلَـكٍ شمسٌ تَؤُم مطالـعَ الفَجْرِ
وتـلا حَمَـامُ الغُوطتـين على عُودِ الأَرَاكِ ثَنَـاك بالذكْرِ

كتاب إشادة بالقاضي ليبقى في منصبه

وكُتِبَ للمولى المذكور مَحْضرٌ من دمشق المحميَّة، ليُرسل إلى الدِّيار الرُّومية، دار السلطنة السنيّة قُسطنطينية، فكتبتُ فيه ما صورته:

«حمداً لك يا من دَلَّ على حُكمه نَصُّ الكتاب المُبين، إنِ الحُكْم إلّا لله يَقْضي بالحَقِّ وهو خير الفَاصِلين، جَارُك لا يُضام، وكَنَفُك لا يُرام، لا رَادَّ لأمرك، ولا مُعَقِّب لحُكمك، صَلِّ على عَبْدِك، سَيِّدِ أنبيائك، وخُلاَصةِ أصْفيَائِك، مُحمدٍ الذي خَصَصْتَه بألْسِنَة المحامد، فهو على بَيِّنةٍ من رَبه ويتلُوه شَاهِد، وعلى مُنْتخبِ آله وبَنيه من عِترته الطَّاهِرة وذَوِيه، وبعد:

فإنّ سَنَدَ الموالي وسَيِّدَها الحَصُور[1]، المُوَشَّحَ بذكره أعطافُ طَيِّ هذا

(١) الحصور: الممتنع عن الأنغماس في الشهوات، قال تعالى: ﴿إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً﴾.

المَنْشُور، وقد طَفَّت في الأفاق حَصَاةُ عَدْله، ومَلأت الأقطارَ والأمصارَ مآثر فضله.

فسار بـــه من لا يسير مُشَمِّراً وغَنّـى به من لا يُغَنّي مُغَرِّداً[1]

وقد كانت دمشقُ الشام قبل وطأة قدمه، وتشريف مقدمه، ولعتْ بها أيدي الطِّغام، ورمتْ جَبْهتَها سهامُ الأيَّام، حتى عَمّ ظلامُ الظُّلم أطرافَها، ووشَّح رداءُ الخطوبِ أعْطَافَها، وتكاثرتْ فيها المِحَن والفِتَن، حتى كادتْ تُزِيح أهْلَها عن الوطن، فكشف اللهُ بالمولى المذكور تلك الغُمَ المُطْبِقَات، وصَرَف بحُسن تَصرُّفهِ تلك الخُطوب الطَّارِقات، وسَكنتْ تلك الفتن بعد اضْطِرَابها، وراحتْ تلك المِصَائب بعد احتوائها، بروائه المنير، ورأيه الصَّائب المستنير، بعد أن رَفَع بها من منار الحَقِّ ما كان مَخْفُوضاً، وشد بعلمه وحلمه من مرائره ما كان مَنْقوضاً، فأبان من سُبل العدل ما اسْتَبْهم، وأنار عن سُنَن الجود ما كان أظلم، فَغَدتْ معالُمها له مُنْشِدة، إذ غدا ضالَّتَها المُنْشَدة:

فيـــه لقيـــتُ الفَاضلـين كأنَّما ردَّ الإلـهُ نُفُوسَهم والأعْصُرا[2]

وأما ما شاع من قَبْلُ عن بوادر عَدْله بأرض العَواصم، فهي حُصُون له في القيامة من النار عَوَاصم، هذا إلى سَجايا أرْيَحيّة، وقضايا شُرَيْحية، يضيق عنها نطاق البيان:

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة في مدح سيف الدولة وتهنئته بالعيد، وقبله:
وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
ديوانه ٣٠٩.

(٢) وهذا البيت أيضاً لأبي الطيب في مدح أبي الفضل بن العميد، وروايته الصحيحة: ولقيت كل الفاضلين... الخ.

فـــاللهُ يُبْقِيـــه لنـــا ويَزِيـــدُه عَـدْلاً ومَعْدَلَةً على طُولِ المَدَى

ورجاء فُقراء الممالك الشَّامية الدِّمَشْقيّة، من خُدّام أعتاب الدولة المحمدخانية، المؤيّدة بالقُدرة الرَّبّانية، والعِزَّة الصَّمدانية، إبقاءَ هذا القاضي العادل الكامل، الفاضل العامل العادل، بُرهة من الزمان بالشام، فإنّ بقاءه وإبقاءه نَفْعُ الخاص والعام، مع مواصلة الدعاء للدولة الخاقانية العثمانية مدى الأيام على الدوام:

قصيدته في مدح وتأريخ قدوم سنان باشا

ومما اتفق لي نَظْمه بدمشق الشام غرة شوال عام ست بعد الألف مؤرخاً قدوم حضرة الأمير المكرم، والمشير المفخم، سنان باشا الشهير بابن جُفال[1]، وقد حصل بقدومه إلى الشام كمال العدل والاعتدال، مُشيراً أثناء ذلك فيها إلى طائفة بها قد أسْرَفتْ في ظُلْم الرَّعِية كُلّ الإسراف، حتى سَرَى إلى الأطراف، غير أنه - كما قيل - ثم ما سَلَّم حتى وَدَّعَنا، على أنه حصل منه نفعٌ للعامَّةِ شامل، ولطفٌ للخاصة كامل، أدام الله تبارك وتعالى توفيقه، قولي:

حَمْـــداً لمولى للعَـــدْلِ ألهمْ مُنْجِي البرايـا من طَـارِقِ الهَمْ

قـــد أصبـــح الشامُ في سُرُورٍ وفي حُبُور وطيـــــب مَغْنَمْ

وراح ظـــلْمٌ وجـــاء عَـــدْل وصـــار يُرْجَى من كـــان يُظْلَمْ

---

(١) هو السردار سنان باشا بن جفال، الوزير الأعظم، الفرنجي الأصل، تولى نيابة الشام فترة، ثم ولاه السلطان حرب قزلباش سلطان بلاد الفرس، ولكنه لم يوفق في تلك الحرب، وعاد إلى دمشق مهزوماً سنة ١٠١٤ هـ.

هـذا ولم يَبْـق رسمُ مَغْنًـى فيهـا ولا مَرْبَـعٌ ومَعْلَمْ
إلّا وفيـه بشيرُ عَـدْلٍ بمقـدَمِ الآصـف المُقَـدَّمْ
في وزراءِ كـلٌ كريم فمـذْ سَاهم سَمَّوْهُ أكرَمْ
نظـامُ مُلْـك ظهـيرُ مَلـكٍ بـه أمورُ البـلاد تُنْظَمْ
غَوثُ البرايـا غَيْـثُ الرَّعَايـا لَيْـثُ السَّرَايـا والحَرْبُ تُضْرَمْ
صـافي السَّجايـا وافِي المَزايـا ضَافِي العَطَايـا ريٌّ لِمَنْ أَمْ
مـا جُودُ مَعْنٍ وجُود مُزْنٍ وبَـذْل كَعْـبِ النَّـدى وحَاتِمْ[1]
في فيضِـه العَمِّ غـير رشحٍ أو قطرةٍ في غَوارِبِ اليَمْ
وافى حِمى الشام حـين وَافَى والسَّعْـد يُنْشِدُه خَيْرَ مَقْـدَمْ
والقَصْـدُ أجْـلى ظُلْم قَوْمٍ عـلى دَرَارِي النُّجُوم قـد طَمّ

---

(١) أما معن فهو معن بن زائدة الشيباني، أبو الوليد، من أشهر أجواد العرب، وأحد حلمائهم وشجعانهم، أدرك العصرين الأموي والعباسي، وكان في العصر الأول والياً مكرماً، فلما جاء عصر بني العباس طلبه أبو جعفر المنصور فاستتر حتى كان يوم الهاشمية وفيه ثار جماعة بأبي جعفر وقاتلوه، فتقدم معن وقاتل دونه حتى أفرجهم عنه، فحفظها له المنصور؛ وولاه اليمن، ثم سجستان، حيث اغتاله جماعة في زي الفعلة بينما كان يبتني داراً له، سنة ١٥١ هـ.

وأخباره كثيرة طريفة معجبة، وللشعراء فيه أمادح كثيرة ومرات صادقة، انظرها في ترجمته في وفيات الأعيان ١٠٨/٢ وتاريخ بغداد ٢٣٥/١٣، والمغتالين من الأشراف ضمن مجموعة نوادر المخطوطات ١٩٥/٢.

وأما كعب فهو كعب بن مامة بن عمرو الإيادي، أبو دؤاد، كريم، جاهلي، يضرب به المثل في حسن الجوار والكرم، فيقال: «أجود من كعب بن مامة»، «وجار كجار أبي دؤاد» وهو صاحب القصة الشهيرة في الإيثار: «اسق أخاك النمري» فأعطاه نصيبه من الماء ومات هو عطشاً، وكان يقال أجواد العرب في الجاهلية ثلاثة: كعب بن مامة وحاتم الطائي، وهرم بن سنان.

أنظر مجمع الأمثال للميداني ١٠٩/١، ١٢٣، والشعر والشعراء ١٨٩، جمهرة الأنساب ٣٠٨.

مُثْقَفـــــاً منهُم قَنَـــــاةً كـــان سِنانـــاً لهـا ولَهْـذَمْ(١)
أرسَلَـــه يُصْلِـــحُ الرَّعَايـــا سُلْطَانُنـــا الأمْجـــدُ المُفَخَّمْ
سَمِيُّ خَـــيرُ الأنـــام طُرًّا مُحمـــد الفاتِـــحُ المُعَظَّمْ
فَخْرُ السّلاطـــين مَنْ تَـــلاَهُ نَصْرٌ من اللهِ حَيْـــثُ يَمَّمْ
من آل عـــثمان في صَمِيـــمٍ صِمْصَامُـــهُ في العِـــدَا مُصَمَّمْ
مـــا اختـــارَهُ دافعـــاً لِظُلْم من وُزَراءٍ عديدُهم جَمْ
إلّا لرأيٍ فيـــه مُسْتَنـــيرٍ يجلُو دُجَى الخَطْبِ وهو أدْهَمْ
إذْ كـــان بالشام قَوْمُ سُوءٍ بَغَوْا عليهـا بَغْيَ ابن مُلْجَمْ(٢)
كـــادَتْ تَخِرِ السماءُ يَوْمـــاً من ظلمهم والجِبَـــالُ تُهْـــدَمْ
إن قلـــتُ من ذا لَهُم ومن ذا لِدَفْـــعِ ظُلَمٍ أرَجاؤُهـــا عَمْ
قلـــتُ ظهـــيرُ الملوك قالوا مَنْ ذَاكَ صِفْـــهُ لنـــا لِنَعْلَمْ
ولْيَـــكُ تاريخُـــه لهـــذا أرَّخْـــــتَ دُسْتُوره المُكَرَّمْ
دام نظامـــاً للمُلْـــك حَتّـــى عِقْـــدُ الثُّرَيَّا في الأفـقِ يُفْصَمْ
مـــا المُلْـــكُ إلّا قشِيـــبُ بُرْدٍ وهو طِرازٌ عليـــــه مُعْلَمْ

الرسالة الصادحية والباغمية

كتبتُ بها لأعَزِّ إخوان الصَّفا، وأجَلِّ خِلّان الوفا، جناب الأفضل

---

(١) القناة: الرمح الأجوف، وثقف الرمح سواه وعدله، واللهذم: القاطع من سنان أو سيف أو ناب، يقال: سيف لهذم: حاد، وكذلك السنان والناب.

(٢) هو عبد الرحمن بن ملجم الذي تعدى على الإمام علي كرم الله وجهه بالقتل.

(٣) الصادح: الطائر إذا رفع صوته فأطرب، وكذلك يقال: صدحت المغنية وصدح المزهر =

المكين، شمس الملة والدين، محمد أمين السابقي لا زال سابقاً للخيرات، وفي طريق المجد سَبَّاقُ غايات، وقد ولى منصب الدَّفْتَرْدارية بدمشق المحمية، من قِبَل الوزير المكرم، والدُّسْتور المفخم، حضرة سنان باشا بن جُفال - لا خانه الدهر ولا غال، حين تَشَرَّفتْ به الممالك الدمشقية الشامية، غرة شوال عام ست بعد الألف، وقد غَمَر معالمها نوال عدله، وعلماءها سِجَال فَضْلِه، وهي من البدائع:

« فَرَحُ الولاية وقد سُرَّت بمولاها، وبلغت من الشرف غاية مناها، فرحُ ذاتِ الوِشَاح، وذاتِ الجَناح، هذه بخليلها، وتلك بهَدِيلها، وجَذَلُ المناصب وقد علقت بذيله، جَذَلُ المُدْلِجِ السَّارِي بقَمَر ليْله، وبهجتُها به بهجةُ المكيِّ بمجاورة أبوابه، والمَكَاكِيِّ بجارة جَوَابِه[1]، بل بهجة الجارية بسِمْطيها[2]، والجارية بسِقْطَيها[3]، أما تلك فمَهَاةٌ ظِلُها يَرِفّ، وهذه

= إذا طربا والباغم: الظبية إذا صوتت لولدها فهي تخرج صوتاً ألين ما يكون وأرق، وكذلك يطلق اسم البغام على كل صوت لين رقيق، وإذن فرسالة المؤلف التالية تجمع بين اللين والرقة والطرب والتنغيم.

وهناك كتاب مشهور في الأدب العربي باسم «الصادح والباغم» وهو من تأليف ابن الهبارية (أبو يعلى محمد بن الهبارية العباسي) المتوفى سنة ٥٠٤ هـ، وهو يتضمن شعراً أسطورياً على لسان هندي وفارسي يفضل كل منهما شعبه، يزعم ابن الهبارية أنه استمع إليهما في سفرة له. وقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة ثلاث مرات، وفي لبنان مرتين، وفي الهند مرة.

انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٢٩.

(١) المكاكي: جمع مكاء، وهو طائر صغير بألف الريف، يجمع يديه ويصفر فيها صفيراً حسناً، جارة جوابه أي رفيقته التي ترد عليه صوت جوبه.

(٢) السمط: قلادة أطول من المخفقة، فإذا كانت ذات نظمين فهي ذات سمطين.

(٣) سقطيها: مثنى سقط وهو الولد يخرج من أمه.

مَهَاةٌ طِلالُها على الخِفّ[1]، تَظَلُّ في خَمَرة، بين ضالَّةٍ وسَمُرَة[2]:

تُزْجِي أَغَنَّ كـأن إبْرَةَ رَوْقـهِ قَلَمٌ أصاب من الدَّواةِ مدادها[3]

فبينا تَرُبُّه تحت الأَرْطَى[4]، وقد تلفَّعتْ كالغواني مِرْطا[5]:

سَرَتْ إليـه من الجَوْزَاء سَارِيةٌ تُرخِي الشَّمالُ عليـه جَامِدَ البَرْدِ

تُذْرِي عليه مُفَصَّلَ جُمَانِها البَدِيد، مثل سُنن الفَريد[6]، وهي من نَحْر وَجِيد، فكأنما عَنَاهُ من قال، وهو في تلك الظلال:

فبـاتَ إلى أَرْطَـاةِ خَفْقٍ[7] تَلُفّهُ شَآمِيَّـةٌ تُـذْرِي الجُمَـانَ المُفَصَّـلاَ

حتى إذا ما جَلّى عن وجهه أُفْق هاوية في أُخْرَيَات الليل منتصب

---

(١) طلالها: جمع طلا وهو ولد الظبي ساعة يولد أو هو الصغير من كل شيء، والخف: الأرض الغليظة.

(٢) الخمرة: بفتح الخاء والميم: ما وارى الشيء من شجر أو بناء أو جبل أو هو الشجر الملتف، والسمر بفتح السين وضم الميم، نوع من شجر الطلح (الشوك) ترعاه الابل، واحدته سمرة، والضال: السدر (النبق) البري، أو ما يسقيه المطر منه.

(٣) تزجي: تسوق: والأغن: الظبي كانت في صوته غنة، والروق: القرن، والبيت من قصيدة معروفة للراعي النميري.

(٤) تربه: تتعهده بما يغذيه وينميه، والأرطي: نبات شجيري ينبت في الرمل ويخرج من أصل واحد كالعصى، ورقه دقيق، وثمره كالعناب، الواحدة: أرطاة.

(٥) المرط: كساء من أي نوع من القماش، يؤتزر به، وتتلفع به المرأة.

(٦) الجمان: اللؤلؤ، والبديد: المتفرق، والمفصل: العقد جعل بين حباته حبات أخرى مغايرة، وسنن الفريد: طريقته ومثاله، والفريد: الدر إذ نظم عقداً وفصل بين حباته بغيره.

(٧) الخفق: الأرض الملساء ذات الآل.

غداً وهو بين سِقْطَيْ ذلك اللِّوى[1] ، دُمْلُجُ[2] فِضَّة لبعض عَذَارَى الحَيِّ ثَوَى ، أو زَوْرَقٌ من فضة نَبَه[3] ، بهلال الأُفق قد اشْتَبَه ، أو مُزْنة فارق ، يجلُو غواربَها بتُوَّجٍ بَارِق[4] ، أو تَريكة أُمِّ رَال ، تركتْها بجرعاء الرمال[5] ، أو وَدَعةُ سِيف ، أودعها الوَعَسُ أسِيف[6] ،أو وَذِيلةٌ حَسْنَاء مَمْكـورَة[7]، وسْط روضةٍ غَنّاءَ مَمْطُورَة ، أو بامرأة سَبْسَبَ قَفْر ، قِعب لُجَيْن[8] تَخَلَّف عن سَفْر ، أو كوكب شارق سَقَط من فَجْر ، أو سَقَط من نبات بَخْر[9] ، بل ما فرحةُ ساجعةِ الأَرَاك ، وقد سَلِمَتْ من غوائل الأشراك ، تباري حمام الجَلْهتين ، وتأوي لِمَلَثٍّ بين عُودَين[10]، لا حَمامة حُمَيْد بن ثور[11]، وقد باركت عَسِيب أَشَاء مطلع الغور:

---

(١) سقطى: مثنى سقط وهو حيث منقطع الرمل ورقته ، واللوى: ما التوى من الرمل.

(٢) الدملج والدملوج: حلية تحيط بالعضد ، (وهو ما بين المرفق إلى الكتف).

(٣) نبه: اشتهر وعرف.

(٤) الفارق: الذي تفرق ماؤها ولم يغط الأرض ، وغواربها: أعالي مياهها ، وتوج: ماسدة أو بلدة بفارس ، والبارق: البرق.

(٥) الرأل: فرخ النعام ، أو ما أتى عليه سنة منه ، وفي ب: أورال ، والتريكة: البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ.

(٦) السيف: نوع من السمك ، والوعس: الرمال الناعمة التي تغوص فيها الأرجل.

(٧) الوذيلة: المرأة النشيطة الرشيقة ، والممكورة: ذات الساق الممتلئة المستديرة الحسناء.

(٨) القعب: قدح ضخم غليظ ، واللجين: الفضة.

(٩) بنات بخر: هي السحائب تنشأ من بخار البحر فتجوز إلى البر ، أما بنات بحر فسحائب لا تجوز إلى البر ، ولذلك قيل: بنات بخر خير من نبات بحر ، وفي الأصل: بنات فخر.
انظر ثمار القلوب ٢٧٦.

(١٠) الجلهة: الصخرة العظيمة المستديرة ، ومحلة القوم وناحية الوادي ، والملث: المكان بين العودين.

(١١)

من الوُرْقِ جَمَّاء العُلاَطين بَاكَرَتْ عَسِيبَ أشاءٍ مَطْلَعَ الغُوْرِ أَسْحَما[1]

بل لها بدعوة نُوح، طوقٌ على الجيد يَلُوح[2]، لم يكن عن تميمة، بل صَاغَتْه قُدْرةٌ قديمة، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، وقد سَبَّح له السَّبْع والسَّبْعَة، فهي تهتف في الغُصُون، بغرائب سَجْعِها المُوْزُون:

إذا وطِئَتْ عُوداً برجلٍ حَسِبْتَها ثقيلةَ حَجْلٍ تَلْمَسُ العُودَ ذَا الشَّرْغِ[3]

تجيبُ سَمَاوِيّاتِ لونٍ كأنَّما سَكِرْنَ بَشُوقٍ أو سَكِرْنَ من التَبْغِ

وإن أخذت في الغناء تفيض، فيا بله مَعْبَدٍ والغَرِيض، يسمعها الشَّجِيُّ فيقول أَنَّت، والخَلِيُّ فيظنُّ أنّها غَنَّت[4]، ولهذا اسْتَهلَّ في قريضه الطَّائِي، بيا ويل الشَّجيّ من الخَلِي[5]، فهي لا تبرحُ باكيةً سَاجِعة، من غير عَبْرةٍ مُتَراجِعة، شُجُونها بجنوب الغَوْطتين، وشُئُونها[6] على ليال بالرَّقْمتيْن، تُزْهَى على ذوات الألحان بوحيدها، زُهُوَّ غواني الحسان بغرِّيدها:

---

(١) العسيب: الذي لم ينبت عليه الخوص من السعف، أو الشق في الجبل، والأشاء كسحاب: صغار النخل، والجماء: المكتنزة لحم العنق، والعلاطين من الحمامة طوقها في صفحتي عنقها بسواد. وأسحا: شديد السواد.

(٢) أجمع العرب على أن الحمامة كانت دليل نوح عليه السلام ورائده، وهي التي رجعت له بغصن الزيتون في فمها وبالطين في رجليها، بعد أن ذهب الغراب ولم يعد، ولذا فقد دعا لها نبي الله فمنحها الله الطوق في رقبتها زينة لها والخضاب في رجليها. انظر ثمار القلوب ٤٦٥.

(٣) الشرغ: الثمر.

(٤) الشجي: الحزين، والخلي: الخالي من الهم.

(٥) الطائي يعني به حبيب بن أوس الطائي أبا تمام، في مستهل قصيدته التي يقول فيها:

ألا ويل الشجي من الخلي وبالي الربع من إحدى بلي

(٦) الشئون: مجاري الدمع في العين.

تُمسي وتُصبح في أراكةِ أيْكِها معه وضَافِي العُمْرِ في رَيْعَانِهِ

فبينا تُرَاودُ به من عَذْب سَلْسَال، إلى ذُرَى عَذْبِ ألْمي الظِّلَال[1]، إذْ نَغَتَ القَطَامِيُّ[2] ساحتها، وناهز أو كاد باحتها:

ترى الطَّيْرَ والوَحْشَ من خَوْفِ جَواحِرُ منه إذا ما اغْتَدَى
حَديدُ المَخَالِبِ عَارِي الوَظِيـ ـفِ ضَارٍ من الرُّزْقِ فيه قَنَا[3]

فنجتْ بنفسها مُوقِنَةً حَيْنَه، وخَلَّت بين الوجيد وبَيْنه، فَصَانه القدرُ وحَمَى مِنْ لَحْمه، واللهُ يحكُمُ لا مُعَقِّبَ لحُكمه، ثم لم تَزَلْ تهبطُ من غَوْرٍ إلى نَجْد، وقد ذابتْ أحشاؤُها من الوَجْد، حتى استقلَّتْ بذاتِ الأضَا، واسْتَقَرَّت على وادي الغَضَى[4]، وقد زاد بين ضُلُوعها، وزاد في حَرِّ وُلُوعها:

تبْكي إذا ذُكِرَ الحِمى حيثُ الحِمَى رَوَضٌ تُغَرِّدُ في ذُرَى أغْصَانِهِ
مأسُورَةُ القَلْبِ المُعَنَّى من جَوًى مَسْجُورةُ الأحْشَاءِ من نيرانِهِ

إلى أن وقفتْ مع سَاقٍ على سَاقِ قَضيبٍ مُتَهدِّل، تبكي من ذكرى حبيب ومَنْزل، وتُملي من الأوراق، أحاديث الفراق:

---

(١) ألمي الظلال: أي كثيف الظل بارده.

(٢) القطامي، بفتح القاف أو ضمها: الصقر.

(٣) الوظيف: مستدق الذراع والساق، والزرق: ضرب من الطيور من فصيلة العقاب النسرية من رتبة الصقريات، يتميز بامتلاء جسمه وكبر حجمه وكبر منقاره الواضح التقوس الحاد الأطراف، والقنا: الرماح ويقصد بها المخالب.

(٤) ذات الأضا: هي الأجمة من شجر الخلاف (الصفصاف) الهندي، والغضى: شجر من الأثل (وهو شجر طويل معمر دقيق الأوراق) خشبه من أصلب الخشب، واحدته غضاة، وأهل الغضى أهل نجد لكثرته هنالك.

تُمْلِي من الوَرقِ الغَرَامَ وطَالَما دَرَسَتْ فُنُونَ العِشْق في أَفْنَانِهِ

فشجوها على ذلك الشَّرِيد، شجو تُمَاضِرَ على ابن الشَّرِيد[1]، فهي في نَدَى تلك الأغصان، كصاحبة الأسدي صفوان:

أَضَلَّتْ فُرَيْخاً فَطَافَتْ بِهِ وقد عَلِقَتْه حِبَالُ الرَّدَى

فلما بَدا اليأسَ منه بَكَتْ عليه وماذا يَرُدُّ البُكَا

وقد صَادَه عَشْرَمٌ مُلْحَمٌ[2] خَفُوقُ الجَنَاحِ حَثِيثُ النَّجَا

فما برحتْ سَحابةَ يومها شاكية، وعلى مَيَّادِ غُصْنها الرَّطيب باكية، تَمُرّ بها أسرابُ القَطَا، على أحْوذِيِّ[3] ليست بِطَا، وهي في أغْصَانِها جاثمة، ومن أحداث دَهْرها واجِمة، فتذكِّرها حماماتٌ ببطحاءِ وَادٍ، كانت معهن في أخصَبِ مَرَاد:

بحيثُ الحِمَى رَوْضٌ وسُكَّانُه ظباً وحَصْبَاؤُهُ دُرٌّ وبَهْمَاؤُه وَرْدُ

فهنّ ما بين رَوْضٍ أو غَدير، كَرَبَّاتِ الخَوَرْنق والسَّدِير، فَتُنْشدهُنّ على أنهن في رِبْقَةِ أسْر، قول الصَّاحب العميد أسْعَد بن نصر[4]:

---

(١) تماضر: هي الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمي الشاعرة الإسلامية الشهيرة، وابن الشريد هو أخوها صخر الذي رثته كثيراً حين قتل وذاعت مراثيها فيه.

(٢) العشرم: الخشن الشديد، والملحم بفتح الحاء: الذي يطعم اللحم ويأكله.

(٣) الأحوذية: الأجنحة.

(٤) هو عميد الدين أسعد بن نصر الأنصاري الأبرزي، كان وزيراً لأتابك فارس مظفر الدين أبي شجاع سعد بن زنكي مدة طويلة، وابنه ابي بكر بن سعد بن زنكي مدة طويلة، غير أن هذا سجنه لخيانته في قلعة أشكنوان بالقرب من اصطخر، وبها مات سنة ٦٢٤ هـ.

وقد نظم في سجنه قصيدة عرفت بالقصيدة الاشكنوانية وأملاها على ابنه، ورواها هذا لمحمود بن أبي الفتح السيرافي، وقد شرحها ابنه صفي الدين مسعود بن محمود السيرافي وتوجد

من يبلِّغن حمامـاتٍ ببطحـاءِ مُمَتَّعـاتٍ بسَلْسَالٍ وخَضْرَاءِ
كلٌّ مع الإلْفِ في رَضْراض ساقيةٍ كُلٌّ مع الزَّوْج في ضَحْضاحِ غَنَّاءِ
كـلٌّ يراودُ من عَذْب إلى عَذَبٍ كـل تحلى بنعمان ونَعْماءِ

لا تنفكُّ بين أمْرَيْن أمَرَّيْن، حَشىً بالنَّوى مَأْسُور، وفؤاد بالجوى مَسْجور، إلى أن طوى النهار عنها كَشْحا، وتقلَّد الليل من نُجُومه وُشُحا، وقد نَشَر غُدَافه من قوادمه وخَوَافيه[1]، وظَلَّ طائر نَسْره من وكر المَجَرَّة واقعاً فيه، باتت تسامر غياهبه، وترعى بمقلتيها كواكبه، حتى طوت السماءُ ثوبها المجزع، وكاد ينالُ منها الحنين المُرَجَّع، ثم عارضها الرَّجا، فعادتْ إلى تلك الأرجا، والقلب بسَهْم البين دامي، واللُّبُّ طائر خوف القُطَامي، فلما دَنَتْ منه تلك المنازل، وأنست بصوت هاتيك الجَوَازل[2]، وبَصُرَتْ بهن عن كثب، وقلبها من شدة الخوف وَجَب، فإذا هو فيهنّ كالهَديِّ[3] على مَنَصّة أيكته، وأبي المَهدِيِّ في أعالي أريكته، وهو جاثم في تلك الحمائم، كدراري النَّعَائم[4]، أو كَدُرَّة العائم، وفي معقل تلك

= بشرحه في مكتبة أياصوفيا بتركيا، وقد طبعت في مجموعة فارسية مع المعلقات، كما نشرها وترجمها هوارت.

انظر تاريخ الأدب العربي ٤/٥٠.

(١) الغداف: غراب اسحم (أسود) ضخم كبير الجناحين، والقوادم إحدى عشر ريشات كبار في مقدم الجناح، والخوافي: أربع ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت.

(٢) الجوازل: جمع جوزل وهو فرخ الحمام.

(٣) الهدي: الرجل المحترم، أو العروس.

(٤) النعائم: منزلة من منازل القمر صورتها كالنعامة، والجمع نعام أو نعائم.

الأطيار، كعقيلة المجارّ[1]، وقد اتشح بزهر الخمائل بُرُودا، وثَقَّله لؤلؤ الطل عقوداً:

ووشى جناحيه وقَلَّد جيدَهُ بمسكٍ وبالتِّبْرِ المُذَاب تَلَثَّما
وكَحَّل بالياقُوت جَفْناً ونَاظِراً وخَضَّبَ بالحِنَّاءِ كَفًّا ومِعْصَمَا

فَخَرَّتْ ساجدة لبارئها شُكْرا، وقد امتلأ فُؤَادها بالبُشْرى، وقالت وقد غَمَرها الإنعام: ﴿يا بُشْراي هذا غُلَام﴾[2]، كفرحةِ مَنْصِبٍ وَلِيَه السَّيِّد المَوْلى، وقد كان من قبل أحَقَّ به وأولى، فوشَّح مَعَاطِفَ دَفَاتِره، بعقُودِ مَفَاخِره ومآثره، وكسته وشائعُ أقلامه، بدائعَ دُرَر نظامه، فأصبح يُزْهى بذلك على أسْنى المناصب، زُهُوّ العَلَويّ على أشنا النواصب[3]، على أن قَدْر المَولى دَامَ له الشَّرَف والعُلَى يَجِلُّ عن مثله، وتسمو عنه مراتبُ فضله، ولكن ربما نزل الرجل الكبير، إلى دَرَجَة الطِّفْل الصغير، بناحيةٍ من مُقامه،، ويحبُوه بمزيد إكرامه، من غير أن يَقْدَح ذلك من عُلُوّ شأنه، أو يَحُطَّ من قدر مكانته ومكانه، وهكذا حال مولانا الأجلّ، لازال المنصِبُ عَبْدَ بابه، وخادمَ رفيع جنابه، في كُلِّ منصب وَلِيَهُ أو يَلِيه، يَعْرف ذلك من عَرَف فَضْله بحكم البَدِيه، ومولاي مَتّع اللهُ الأدب بُطُول بقائه، وصَرَف السُّوءَ عن شَرِيف حَوْبائه، يعلم أنَّ تسميةِ عبده بالمُسْتَوفي، لقلبِ معناه غير مُسْتوفي، وإن زعم صِدْقَهُ زاعِم، وتَوَهَّم وقُوعَه واهِم،

---

(١) المجار: جمع مجرة، وهي البياض المعترض في السماء، والنيران من جانبيها، ويقال: نهر المجرة. وكل ذلك على ما ذكره الأقدمون، أما الفلك الحديث فيقرر أن المجرة مجموعة هائلة من الكواكب المترابطة كالمجموعة الشمسية التي نعيش في إحدى كواكبها، وهناك ملايين المجرات في الفضاء مثل هذه المجموعة.

(٢) سورة يوسف، الآية.

(٣) النواصب: هم من يبغضون عليا رضي الله عنه لأنهم نصبوا له أي عادوه.

فهو كمن حكَمَ على لَيْث العَناكب بأنَّه لَيْثُ الكواكب، وعلى أسَد الذُّباب، بأنه صاحبُ الغَاب، وجَعَل نَعَام الجو اللاَّمعة، نَعَام الدَّوِّ المَالِعَة[1]، وقَضَى على الصُّعدة السَّمْهرية[2]، بأنها النَّابتة في الحَائِريّة[3]، هيهات هيهات! تِلْك فُرُوعها في السماء، وهذه مَغارس أصُولها في الماء،

وقد يتقارب الوصفان جداً
وصوفاهما متباعدان[4]

وأنا أعرف مولاي عَرّفه الله كُلَّ صالحة، وسَلَك به من الخيراتِ سُبُلاً ناجحة، أن مَنْ مَهَر في صناعة قل أن يكترثَ بها، وإن كانتْ من غيره مسقط العَيُّوقِ ومَنَاطَ السُّها[5]، وسيدُنا الأجَلّ مذ خالط الفَضْلُ خيمه، وصارت الآداب طبيعةً له وَشِيمَه، لا يرى غيرها مَنْصِبا، بل تَعَبا ونَصبًا، وحَاسِدُه الغَمْر[6]، وإن أنفذ في طَلَبها مدة العُمْر، ما هو فيما تَمنَّاه من بُلُوغ مُناه، ﴿إلا كباسِط كَفَّيْه إلى الماء ليبلُغُ فَاه﴾[7]، ألم يدر

---

(١) الدو: الفلاة، والمالعة: السريعة الخفيفة.

(٢) الصعدة: القناة تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف، والسمهرية: الرماح الصلبة العود، يقال هي منسوبة إلى «سمهر» رجل كان يقوّم الرماح، وامرأته «ردينة» التي تنسب إليها الرماح الردينية.

(٣) الحائرية: نسبة إلى الحائر، وهو المكان الذي دفن فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما.

(٤) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدته في وصف شعب بوان، ديوانه ٤٦٣.

(٥) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها ويضرب به المثل في البعد، والسها: كوكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبرى أو الصغرى، ويضرب بها المثل في المدهوش الذي يسأل عن شيء فيجيب جواباً بعيداً فيقال: أريها السها وتريني القمر.

(٦) الغمر: بفتح الغين وكسر الميم أو سكونها: الرجل لم يجرب الأمور.

(٧) سورة.

أن النَّارَ أَنْوُرٌ في طَرَفي تَبَاله[1]، وأن الرَّافِدَيْن أَنْهُرٌ حَضَارة[2] لا مَحَاله.

النَّـــارُ في طَرَفَيْ تَبَالَـةَ أَنْوُرٌ رَقَـدَتْ فأيْقَظَهـا لِخَوْلَـة مَعْشَرُ

خلا نارَ القِرَى، المُوقَدَتَيْن بالعَرَا، نارَ العِبادي، والحَارِثِ ذي الأيادي، أما تِلك فمشبوبة لُبَيْنَى ودَعْد، وهذه مَوْصُوفة شَيْخِ الأزْد:

هي النَّـارُ شَبَّ الحَارثيُّ وقودَها ولم يَقْتَدِحْها بالزِّنَادِ المُغَالِثُ[3]

ما تَخَوَّنها قطُّ مغالثةُ زِنَاد، بل ضاءت منها الأغوارُ والأنْجاد، على أنها وهُمَا هُما، لدى نارِ فكرةِ مولاي الشَّارِقة في الجُنْحِ سَنا بَرْقةٍ أو ذُبالة مِصْباح، وقت الصَّباح، أو كوكب يَلُوح، عند إشراق يُوح[4]، هذا ولما أبَتْ شِنْشِنَتُهُ الأخْزَميّة، وشيمتُه السَّابِقيَّة الأبْهَرِيَّة، ألاّ تفقدَ حال أوليائها، سيما من وُسِم بخالص حُبِّها وصِدْق ولائها، لا جَرَم جاز بيانُ الحال التي تُحكَى ولا تُشْكى وذلك أنَّ منزل دَاعِيه، الذي هو من جُملة حَسَنَاتِه الحَسَنَة فيه، عاد من الزاد، غير المَصَاد[5]، كبيت عَاتِكة تَخفق فيه الأرواح، أو كَمِنى حين سار عنها الحجيج وراح، وكما وَصَف الجزيرةَ أبوُ تمام وقد ترحَّل عنها مالك[6]، وهو لفراقها غير مالك:

---

(١) تبالة: بلدة خصبة باليمن.

(٢) حضار على زنة سحاب: جبل بين اليمامة والبصرة.

(٣) المغالث: الذي اقتدح الزناد فلم يور.

(٤) يوح: اسم للشمس.

(٥) المصاد: الملجأ والمعقل.

(٦) هو مالك بن طوق بن عتاب التغلبي، أبو كلثوم، كان من الأشراف الفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي، وبنى بلدة الرحبة التي على الفرات، وتعرف برحبة مالك نسبة إليه، وكان فصيحاً، له شعر.

توفي سنة ٢٥٩ هـ، انظر الأعلام ١٣٧/٦.

أَقْوَتْ فلم أَذْكُرْ بها لَمَّا خَلَتْ إلاَّ مِنًى لَمَا تَقَضَّى المَوْسِمُ[1]

وقد اشتمل وبالله القوة والحَوْل، وله المنَّة علينا والطَّوْل، على ثلاثة من الجَوازِل، مثل أفراخ القطا حُمْرُ الحواصل:

كأن على أشداقها نُورَ حَنْوَةٍ إذا نَضَّتِ الأجْيَادُ يَوماً لتُطْعَمَا[2]

لا شجر عندهنَّ ولا مَاء، بل لم يبق منهن غير ذِمَاء[3]، فهن يَتَضَاغَيْن بعُقْرِ الدار، ولا يَقَرُّ لواحدةٍ منهنَّ قرار، ونار الجُوع، منعتْهُنَّ الهُجُوع، فهنّ في الديار ثَلاَثُ الأَثَافي، وعَجُوزهم التي لا يخفى عليها خافي، فإن شاء المولى لا رَوَّع الله له روُع، ولا أذاقَهُ لباس الجُوع، أطفأ نَارَ جُوعهم، وأعاد لذيذ هُجوعهم، ببرد ثلاثة أشهر إنجازاً لوعده، فإن اتم عشراً فمن عنده، وما أريد أن أشق عليه والأمر في ذلك راجع إليه، وأنا مع مولاي السيد الأريب، كما قال الطائي بن أوس حبيب:

هممي معلقة عليك رقابها مغلولة إن الوفاء إسار
ومودتي لك لا تعار بلى إذا ما كان تامور الفؤاد يعار

وسلامي على حضرته السامية سلام أهل الجنان، بلغه عن ساكنيها رضوان، هو في الطيب كنشر شمائله، وزهر الروض في خمائله، والقلب لديه رهين على الأمين.

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ٢٧٢، وأقوت: خلت.

(٢) الحنوة: الآذريون: وهو نور أصفر، ينبت في الخريف، وقد سبق الحديث عنه، ونضت: أي بلغت غايتها في الجري.

(٣) الذماء: بقية الروح في الجسد.

وكتب في استهداء بعض خدم القاضي عبد الوهاب

وكتبتُ إلى قاضي القضاة عبدالوهاب[1] أفندي مُفتتحَ شهر رمضان، وقد وَزَّع من خدمه على بعض الإخوان، قولي:

رَمضانُ جاء وكِسْر بيتيَ قد خلا ... من كسرةٍ فيه ومَالي دِرْهَمُ
ورجائِيَ مقطوعٌ مِن الخَدَم الَّتِي ... بين البهائم قد غَدَتْ تَتَقَسَّمُ
ما بين لا زيدٌ ولا عَمرٌو بَلَى ... ما بين صِنْفٍ جِنْسُه لا نَعْلَمُ
قوم أتى في الذكر ذكرُ حديثهم ... ورواه بالإسناد قومٌ عَنْهمُ
وإذا تراهمْ أعَجَبَتْكَ جُسُومُهم ... وإذا يقولُوا فالحديثُ تَغَمْغُمُ
فكأنَّهم خُشُبٌ مُسَنَّدة غَدَتْ ... تَصْلَى بها نارُ الجحيم وتُضْرَمُ
لا يعتريكَ الشَّكُّ في أنسابهم ... أو يعتريكَ وأنت تعرفُ من همُ
لكنَّ لي بالظنِّ الجميل بلُطفِ مَنْ ... هُوَ لم يزل حالي الضعيفة يَعْلَمُ
أرجُو مواهبَه على يدِ عبده الـ ... ـوَهّاب قاض بالشَّرِيعة يحكُمُ
في عَدْلِ عُمَرٍ وفي أحْكامِه ... حَقًّا شُرَيْح وهو منه أعْلَمُ
وإياسُ عند ذكائِهِ متبلِّدٌ ... والحِلْمُ أجْنَفُ عنده مُتَحَلِّمُ
ذو عِفَّةٍ ونزاهةٍ وزَهَادَةٍ ... زُهْدُ ابن أدهم عندها مُتَوَهَّمُ
قاضٍ قضى بالحقِّ بين عباده ... صُلْبُ الديانة دينه عُودُه لا يُعْجَمُ

---

(١) هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن الحنفي القاضي، تاج الدين المعروف بالتاجي، أحد كبراء دمشق وكان له في وقته شهامة وحرمة وسخاء، تفقه بالنجم البهنسي الخطيب، وأخذ عن البدر الغزي، وكان جيد المشاركة في الفقه، توفي سنة ١٠٢٠ هـ.
انظر خلاصة الأثر ١٠٣/٣

لا يخشى في الله لَوْمـــة لائمٍ ... أبـداً ولو كثُرتْ عليـه اللُّومُ
لما رُئِي كالطَّودِ أعْـدَلَ حـاكمٍ ... يقتـــصُّ للمظلومِ مِمَّن يَظْلِمُ
بدمشق زال الظُّلْمُ عن أرْجَائها ... وغَـدَتْ كجنَّـاتٍ بهـا يَتَنَعَّمُ
نصبتْ سُرَادقَ عَدْلٍ فيها يَدٌ ... لجراحِ ظُلْمِ القوم فيها مَرْهَمُ
وسَرَتْ سير الشمس سِيرةُ عَدْلـه ... فيهـا ونُورُ الحـقِّ لا يتكتمُ
أضحـى غوثُ الأنـام وغيثهم ... في أزمـةٍ فيهـا الغَنِيُّ المُقْدمُ
فاسْمع كراماتٍ له من بَعْضِها ... إن كنتَ مِمَّن في الحقيقة يَفْهَمُ
لمـا أراد السَّير عنهـا راحـلاً ... يَنْحو «بُرُوسًا» قام فيها مَأْتَمُ
وأتـى الخلائقُ يُهْرعُون لبابـه ... مـا بـين بـاك والحشا يتضرَّمُ
يبكُون لمـا أن رأوه بأدْمُـعٍ ... تجري عـلى الخَدَّيْن أكثَرُهـا دَمُ
وقـد اعتلى من آل دلْدُل بَغْلةً[1] ... إن تَسْرِ قَصّر عن سُرَاها الأنْجُمُ
وقفتْ به فإذا خَطَتْ أو قاربت ... عَلِقَتْ بها كَفٌّ هناك ومِعْصَمُ
يتمسَّحون بِعُذْرِهـا[2] وزِمَامِها ... فكأنهـــا رَكْنُ الحَطِيم وزَمْزَمُ
أو مِن سلالـة شَدْقَمٍ طافتْ به ... أولادُ ضَبَّـــة والقَنَـــا يتحطَّمُ
بينـــا تَرَاهُمْ يجـــأرُونَ لربِّهم ... في عَونِـهِ ورجَاؤُهُم أن يُرْحَمُوا
وعلا الضجيجُ فأذكرتْ ضوضاؤهم ... جمعَ الحجيـج وقـد حماه الموسم
جـاء البريـدُ وفي يديـه رسالـةٌ ... بِقَرارِ مَنصِبِـــه وأمْرٌ مُحـــكَمُ
فتباشر الأقوامُ عنـــد قدومـه ... وكـــأنَّ عِيدَهُم تـــلاَهُ الموسِمُ

---

(١) دلدل: هو اسم بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان قد أهداها المقوقس (حاكم مصر) إليه.
(٢) العذر: عرف الفرس.

ووَفَوْا نُذُورَهُم وأصْبَح ناطقاً كُـلٌّ بشكر ليس يَحْصُرُه فَمُ
تلك الكرامة يا لها فخراً غدا بالتِّبر في صفحـاتِ دَهْرٍ تُرْقَمُ
خَصَّ الإلـهُ بها جنابَكَ سَيِّدي كرمـاً وربُّـك يا وَلِيُّ الأكرمُ
أبقـاك رَبُّ العرش وَهّابَ العَطَا دَفَّـاع ظلم الناس حيثُ تَظلَّمُوا
في بلـدةِ الشام الـتي هي جَنّةٌ بـك ما أقمتَ وإن تَسِر فَجَهَنَّمُ
هـذا وشهرُ الصوم جاءك قادماً بتحيـة المولى عليـك يُسَلِّمُ
صُمْـهُ بأوفر نعمـةٍ دَوْريَّـةٍ لا تَنْقضي أبـداً ولا تَنصَرِمُ
وبلغـتَ عيـداً بالمسرة عائـداً يقتـادُه سَعْـدٌ وآخر يَخْـدُمُ

القاضي عبد الوهاب يدفع ظلم الوالي

ومما كتبتُ ثانياً فيه، وقد ابتُلِيَت الشام في زمانه بحاكمٍ سفيه، لا حمية له في الدين ولا يُحامي، يُعرف بأحمد باشا الحَرامي، فاسد السيرة، خبيث السريرة، لم يزل في مُعارضَة الأحكام الشرعية، يخترعُ كُلَّ يوم مظالم للرعيَّة، والقاضي يدافعُ عن أهل البلد الظلم مُدافقة الحريم، ولا يمكِّنُ الظَّلَمَةَ من أخذ غَرِيم، وكان بدمشق قاضٍ يقسِّم المواريث بين الأنام، يعرف عند العامة بالقَسَّام، أحضره مجلسه، وأمر بسماع ما لم يُؤمر بسماعه وأجلسه، وقتل مُسْلماً يقول رَبِّي الله، بحكم ذلك القاضي، ولم يَخْشَ غَضَب الإله، فأعقبه العزلُ من فوره، وارتاحت دمشق من جَوْره، فعُدّ ذلك كرامةً ثانيةً لقاضيها، فقلتُ مؤرخاً للقضية فيها قولي:

إنّ عبـدَ الوهاب قاضِي القُضاةِ يَتَّقِيـه واللهِ حَـقَّ التُّقُـاتِ
خوفٌ يوم تُلَقّى به كلَّ نفسٍ حاضراً ما جَنَتْـهُ من سَيِّئـاتِ

ما لها فيه من شفيع مطاعٍ ... غير ماقدَّمته من حَسَنَاتِ
فلهذا أقام بالشام عَدْلاً ... عُمَرِيًّا أحْيَاه بعد مماتِ
قد ذكرنا به زَمَاناً تَقَضّى ... لابن عبد العزيز ذي المنقباتِ
إذ جَلاَ الظُّلْمَ عن دمشق برأي ... مُسْتَنِيرٍ سَنَاه كالنيِّراتِ
سارَ في الخافِقَيْن كالشَّمْسِ عَدْلٌ ... منه يَسْري الرياح في الفَلَوَاتِ
فالرعايا غَدَتْ به في أمانٍ ... ليس تَخْشَى مادام ظلماً يُواتِي
هكذا لم يزلْ ومازال حتى ... كاد يصميه ظُلْمُ شَرِّ الوُلاَةِ
ظالمٌ يستحلُّ مال البرايا ... ويرى أكله من القُرُبَاتِ
ملحدُ الاعتقاد يقتلُ نفساً ... ذات صوم ومَنْسك وصَلاَةِ
بشهودِ زُورٍ وحاكم جَوْرٍ ... جَارَ في حكمه رَجَاء صِلاَتِ
وَيْحهم من عَذَابِ يوم أليمٍ ... ليس فيه لظالمٍ من نَجاةِ
ولعل الإله يجزي بفعل ... مثله في الحياة قبل المماتِ
سَأَل اللهَ رفعهُ فاسْتُجيبتْ ... دعوةٌ من خوارق العاداتِ
فأتاهُ عَزْلٌ قضى القوم منه ... بكراماتِ عِلْم قاضي القُضَاةِ
وعلا الخلق عند ذاك دُعاءٌ ... ونَحِيبٌ يمتدُّ بالزَفَرَاتِ
وقَضَوْا أن هذه دُونها تلـ ... ـك وكلٌّ عندي من البَاهِرَاتِ
ربِّ أيِّدْهُ من علاك بنصرٍ ... وأدِمْه في الشام قامي الطَّغَاةِ[1]
جئتُ أعتابه الشَّريفة أشكُو ... حَصْرَ دهر وأزْمة الأزَمَاتِ
لم تَدَعْ لي نُيُوبها العُصْلِ إلاَّ ... مُسْحَتاً في هيئة الزَّاهِيَاتِ
فَقَلاقي ذِهَابه بِهَبَاتٍ ... من أياد غُرٍّ ذواتِ هِبَاتِ
دُمْتَ جَمَّ العطاءِ وَهَّابَ فَضْلٍ ... بَاهِرَ المنقباتِ والمكرماتِ

---

(١) قامي الطغاة: مذلها.

ومما قاله في مدح الأياشي حين تولى قضاء دمشق

ومما كُلِّفت لنظمه وأُلجِئت لإثباته ورقمه، وأنا بدمشق الشام، حمى اللهُ حماها عن سِفلَةِ الحُكّام، عام سبع بعد الألف، لقاضيها أحمد الشهير بالأياشي[1]، لابرح ما أسره بين الأنام فاشي، على لسان بعض النُّواب من سُكّان دِمشق الحمية، ليجلِسَ في محاكمها العَلِيّة، قولي:

كيف أخشَى بالشَّام أمْرُ مَعَاشي ... وملاذي بها جَنابُ الإيَاشِي
أفضلُ القوم من سَمَا للمعالي ... واعتلَاها طِفلاً وكَهلاً ونَاشِي
فهو بَدْرُ العلوم صَدْرُ الموالي ... مَن سَمَاهُمُ فضلاً ولستُ أحَاشِي
خيرُ قاضٍ رَبُّ البرية راضٍ ... عنه إذْ صَان شَرْعَهُ عن تلاشِي
أمرُه الحزم في القضية ماضٍ ... وسِوَاه في حكمه مُتَلَاشِي
عَدْلُ أحْكَامه وفَضْلُ عُلاه ... أصْبحا في دمشق كلٌّ فاشِي
ساق عَدْلاً بالشام حتى شَهدنا ... مَشْيَ ذئبِ الفَلَاةِ بين المَواشِي
والقَطَامِيُّ والقطاةُ جميعاً ... وَسْط روضٍ بانا كَزَوْجي فَرَاشِ
فإذا الصبحُ لاح شَارَفَ مَربَى ... يتحامى أسْرَابَها ويُحَاشِي

---

(١) هو قاضي القضاة أحمد بن سليمان الأباشي، قاضي حلب ثم قاضي دمشق، ورد إلى دمشق سنة سبع بعد الألف قاضياً بها خلفاً عن القاضي عبد الوهاب ومدحه المؤلف أول ولايته بالقصيدة التالية ثم لم تحمد سيرته ويقول البوريني: لا سيما وكان سابقه في غاية الاستقامة، فورد هذا بعده في غاية السقامة؛ ولقد اشتهر في أيامه أكل الرشا، وظهر التزوير وفشا، فلزم أن العوام رجمته عند خندق القلعة بين سوق الأروام وأفحشوا في رجمه.

وقد هجاه الشيخ درويش - يعني المؤلف - بقصيدة طويلة سماها «رفع الغواشي: عن ظلم الأباشي». وقد قسمها فصولاً وجعل كل فصل في حال من أحواله.

تراجم الأعيان ١/٨٥ - ٨٧، وسوف يذكر المؤلف ذلك بنفسه فيما يلي.

وكـذا كـان بالعواصم حَتّـى ... سار عنهـا فغُشِّيَـتْ بِغَوَاشِي
فأتى الشام ناشِرَ العَدْل فيها ... وعليـه الوقـارُ خَيْرُ رِيـاشِ
فازْدَهي رَبْعُهـا وقد حلَّ فيها ... روضُ فضـلٍ أنَارَ غِبَّ رِشاشِ
يـا لهـا من مَعَالِمٍ ورَسُومٍ ... رَقّ فيها الهوى ورَقَّتْ حواشِي
ذكرتنـا حُسَّانـةُ الجِيـد فيها ... عَهْدَ لمياءِ من ظِبَاءِ الهِرَاشِ
من سُلَيْمى وزينـب ورَبَـابٍ ... وظَلُوم وفَرْتَنَـا ورَقَـاشِ
كـلُّ خُمصانـةٍ عليهـا وِشَاحٌ ... من نسيم الصَّبا رقيقُ الحواشِي
أين عهـدي بهنَّ لا أين عهدي ... حيـث أخْلُو بهنّ من غير واشي
والهوى قائـدي إلى حيث يَهْوَى ... وعيونُ الوُشاة عنّـا غَواشي
حـلَّ فيها فانحطَّ نَجْمُ الثريا ... عن عُـلاهُ والأفْقُ بالليل غاشِي
سؤدد باهرٌ وعِـلم وحِـلم ... وعَفافٌ في ضمنه ثبتُ جَاشِ
وسجايا مثـل الرياض سقَتْهـا ... مسقـط العُفْر دَرُّهنّ النَّواشي
وأيـادٍ تَهْمِي كسُحْـبِ غوادٍ ... تقتـلُ الجوع مُرْوياتِ العِطَاشِ
رَشحـةٌ من زُلاَلها الغَمْر يكفي ... سَبَبَـاً لانتظـام أمْرِ المَعَـاشِ
فلعـلَّ الفقـير مولاي يَحْظـى ... من جَدَاها بقَطْرةٍ من رَشَاشِ
دُمْـتَ جم العطـا ضـافي ظِلٍّ ... صافِيَ العَيْش في هَنَـا وانتعاشِ
ما اسْتَقى الكفُّ من قَلِيبِ زُجاج ... ذَوْبُ تِبْرٍ بـه لمدحـك نَـاشِ
ويحيِّي بيتَـكَ الحرامَ مُلـبٍّ ... وغَشَى ضَوْءَ نـارِ جُودِك غاشِي

ولما أن غَشِي[1] في مَعالم دِمَشق وحِمَاها، صانها اللهُ عن مثله وحماها، سُئلت من أعيانها الفُضلاء، وطُلاَّبها الأدبا، عمل شيء على لسانها، وإبانة

(١) غشي: أظلم، وفيه استعارة تصريحية باستعارة الإظلام للظلم.

سَمْته[1] من عنوانها، فنظمتُ قصيدةً فَصَّلتُ فيها أحواله ووقائعه، وما جرى له في ثلاثة وعشرين فصلاً، ولم أذكر في هذا المجموع، سوى فصلين مفتتحها وختامها لخساسة الموضوع، وسميتها «برفع الغواشي، عن ظلم الأياشي»، وهي عند أُدَباء دمشق مَشْهورة، وفي دَفَاترهم مَسْطُورة.

فَصْل في شِكاية حالها، وحِكَاية مَقالها

الشَّامُ تبكي بدُمُوعٍ غِزارْ ... بُكَاء ثَكْلَى مَا لَها مِن قَرَارْ
بكـــاءَ مظلومٍ لـــه نَاصِرٌ ... لكنْ بَعِيد الدَّارِ والخَصْم جَارْ
في عام سَبْعٍ بعد ألف مَضَتْ ... من هجرة المختارِ زاكي النّجار
حَلَّ بها قاضٍ على جَهْلِهِ ... أظْلَم من قاضي سَدُوم الحِمارْ[2]
ليس لـــه دينٌ ولا مَذْهَـــبٌ ... إلاَّ الرِّشَا والانتِشا من عُقَـــارْ

وآخرُ الفصول في استغاثة أهل الروم، على عزل الجشوم:

فيـا مَوَالي الرُّومِ يا مَنْ بِهم ... تُسْتكْشَفُ الجُلَّى وتُجْلَى الغِمَارْ[3]
العِلْم والفَضْـــل بأعتابـــكم ... وفيـــكُمُ النَجْـــدَة والإنتصـــارْ

---

(١) السمت: الطريق والمذهب.

(٢) سدوم: كان ملكاً في الزمن الأول جائراً، وله قاض أجور منه، يضرب به المثل فيقال: أجور من قاضي سدوم.
انظر ثمار القلوب ٨٣.
وفي مجمع الأمثال ١/١٩٠، قال: سدوم مدينة من مدائن قوم لوط عليه الصلاة والسلام، ثم ساق المثل، قال: وقال الطبري: هو ملك من بقايا اليونانية غشوم، كان بمدينة سرمين بمدينة قنسرين.

(٣) الغمار: الشدائد والمكارة.

قولوا لصنع الله ركنِ الهُدَى بحرِ الندى والعِلْم طَودِ الوَقَارْ
العَالم العَامِل مَنْ رَأيُهُ في ليل هذا الخطب صُبْحٌ أنَارْ
مُفْتي الفريقين إمام التقى شيخ الأصوليِّن الرفيع المنارْ
حامي حِمَى الشَّرْعِ بِسم القنا لها كفِعْل البِيضِ ذاتِ الغَرارْ[1]
يُعَرِّفِ السُّلْطانَ مولى الورى غَوْثُ ملوكِ الأرضِ قُطْبَ المَدَارْ
ظِلّ إله العَرْشِ من دَوَّخت سَطْوَتُه قَهْراً مُلُوكَ المَجَارْ
مُحمداً أعدلَ مَلِكٍ سَمَا من آل عُثمان حُماةِ الذِّمَارْ
أحوالَ قاضٍ إن يدُمْ نَصْبُه بالشام يوماً فالفَرَارَ الفَرَارْ
عسى وَلِيُّ الأمر سلطاننا يأمُرُ عُقْبى عزله بالدَّمَارْ
فإن تقليدَ القَضَا جاهلاً فيه على الدولة إثْمٌ وعَارْ
لازال قاضي السُّوءِ من فِعْلِهِ دَائِرَةُ السَّوْءِ عليه تُدَارْ
وفوق هذا غَضَبُ الله ما أقبل لَيْلٌ وتَوَلَّى نَهارْ
وكان للظَّالِمِ يوم الجَزَا جَهَنَّم مَثْوىً وبئس القرارْ

ولما أن رُجِم بالحجارة، وجاءه العَزْلُ غَارَةً، فارق حِمَاه رغماً، فأرَّخت ذلك نظماً.

رُجِم الإيَاشي في دِمَشق وجاءه عَزْلٌ فصار العِيدُ عيداً أكبرا
وسُئِلت عن تاريخه فأجَبْتُهم بالعَزْلِ شيطانٌ رجيمٌ دُمِّرا[2]

وشكا يوماً لبعض أكابر دمشق قلَّةِ محصولها، وأسند إلى نوابه عدم محصولها، فقلت:

---

(١) البيض: السيوف، والغرار: حدها.

(٢) ومجموع الحروف في هذه الشطرة بحساب الجمل هو ١٠٠٨ وهي سنة العزل.

قـل لقاضي القضاة أعني الإياشي عقـلُ مولاي ليس عَقْلُ مَعَاشِ
تَشتَكي قِلَّـةَ المحاصيـل مِمَّنْ أنـت فَوَّضْتهـا إلى الأَوْبـاشِ
أنـت صيَّرْتهـا برأيـك نُهْبَـى بـين رَنْـدٍ ومَزْدَكٍ قَـلاّشِ

وفي نائبه قلت مسئولاً:

نائـــب القاضي الإياشي عَقْلُـــهُ عقـــلُ معَـــاشِ
يرتشِي قاضيـــــهِ لكنْ هو لا يصغي لراشِ
هكـــذا قيـــلَ وعِنـــدي مـــا أصيـــلٌ مثـــلُ نَـــاشِ
سماهُ سَمَا الجَدِّ خير البرايا نَمَـا فَرْعُـهُ في لُؤَيٍّ بن غالب
سَمَـا في سماء العُـلا بَـدْرَ تِمٍّ أنـار الدَّيَاجي وأفْنى الغَيَاهب
لـه في بـني العم أبنـاءُ هاشم وآل العَبـا الطَّهْر ازكى مناقب
لـه الحمدُ والمدح من كلِّ جاحد فكيـف الموالي فما ثَمَّ عائـب
نمتـه جـدودٌ لنحو المَعَـالي يحلُّون منهـا الـذُّرى والغَوَارِب
كرامٌ عـــلى الله لولا عُلاَهُمْ لمـا ذرَّ شارقْ ولا لاح غـارب
هُمُ مهبِط الوحي والناس طُرًّا تُصَلِّي عليهم وَليٌّ ونَاصِـــب
بهم يَرحم الله هـذا البَرايـا بهم يغفرُ اللهُ مِن ذنب تائب
سَلِ البيـتَ عنهمُ وركـني لآلِ وأعـلامَ جمعٍ منـاخَ الركائب
وبَطْحَـاءِ وَادِي مِنًـى تَنْتَحِيـهِ خِفَـافُ المطايا بِطَيِّ السَّبَاسِب
تُخَبِّرك عنهمْ بأشيـاءَ تَقْضِي إذا مـا رَأَتْها النُّهَى بالعَجَائِب
عليهم سَلاَمٌ الله يَتْرى
مَدَى الدَّهر ما حجَّ للبيتِ رَاكِب
ومـا لاح نَجْمٌ رَعَتْـه سُحَيْراً غزالاتُ صُبحٍ بأفْقِ المغارب
يني الوحيِ أنتم نَجَاةُ البرايا من النـار يَصلى إذا اليوم عاصِب

وَلَائِي لكم في سُوَيْدا ضميرِي وحُبِّي لكم في الحَشَا والتَّرَائِب
ولا مثلُ حُبِّي شريفاً نَمَتْه إليكم جُدودٌ سَمَتْ بالمناقِب
شريفٌ شريفُ المحيَّا إليه سَنَا الوحي كالشمس من غير حَاجِب
أميرُ المعالي دَعَتْه عليها سَجَايا كروضٍ سَقَتْه السَّحَائِب
وزيرٌ جليلٌ له الأمرُ يُجرِي من الله فينا جميلَ العَوَاقب
متى سار في ليلِ جَيْش بليلٍ يُضِيءُ الكواكب ينيرُ المواكب
وَلِي الشَّامَ جَمَّ العطايا شريفاً
كريم السجايا جَميم المواهب
وقد عَمَّ ظلمٌ دَجَى سَاحَتَيْها كما عَمَّ أطرافَها والجوانب
فأجْلَاه عنها بأنوار عَدْلٍ أضاءتْ كمثل النجوم الثواقب
فيا سَيِّد العَصْرِ يا مَنْ رأينا بأعتابِهِ الفضلَ مُرْخِي الذَّوَائِب
لقد جئتُ أشكُوكَ دهراً خئوناً رَمَاني بِسَهْمٍ من البين صَائِب
فسَمْعاً لعبدٍ على بابِ مَوْلَاهُ يبكي بدمع على الخَدِّ سَاكِب
رأى نظم سَلْمانَ فاختار منه وفي النظم قولٌ لحالٍ مُنَاسَب
وقد قيل سَلْمانُ مِنَّا لهذا أتَيْنَا به في قوافٍ تُنَاسِب
وبالطُّهر منهم وهم آلُ بيتٍ سَما قدرُهم فيه هَامَ الكواكب
وما جاء في (هَلْ أتى)[1] عن فَتَاهُمْ إمَامِ العجائب هُمَامِ الغَرَائب
تَلَفَّتْ لدرويش مَوْلاك حَقًّا أَمَا رَعْيُ مَوْلَى مواليه واجِب

---

(١) يعني بهذا سورة الإنسان أو الدهر وأولها: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً). وقد ورد فيها ذكر علي رضي الله تعالى عنه وأسرته في التصدق بطعام إفطارهم على من مرّ بيابهم، وذلك في قوله تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً).

غَدا طالب الرُّوم من أجل دَرْسٍ ولا مالَ يُفْضَي لما راح طالب
فبلغه مولاي أقصى مناه فلا زال تُقْضَى لديك المآرب
مَدَى الدهر ما طافَ تلك المشاهد وَلِيٌّ بها نالَ أسْمَى المَوَاهِب

ولم يزل مدة إقامته بدمشق المحميّة، والديار الشامية، يتعاهد مَعَاهِد أهل البيت، ويُحيي من دارسِ معالمها كُلَّ مَيْت، لا يقصدُ من ذلك إلا المودة في القربى، ولا يسأل عليه أجراً من العُقْبى، فمن ذلك تعمير المسجد بقرية راوية خارج دمشق، يُعرف بقبر السِّتْ، وهي السَّيدة زينب الكبرى بنت السيدة فاطمة الزهراء مجدِّداً سِرّ ضريحها، وذلك عام تسع وألف، فسئلت عمل أبْيَاتٍ تكتب بطراز سقف المسجد، فقلت:

بِروايةَ قَبْرٌ به زينبُ الكُبْرى أَلَا وهْي حَقًّا بنتُ فاطمةَ الزَّهْرا
وبنتُ ابن عَمِّ المصطفى ووصيِّه ومن (هل أَتَى) في مدحه نَزَلَتْ ذكرَا
كساه النَّسيجَ الأصْفَهانِيّ حُلَّةً مطرَّزةً بالتِّبر قانية حَمْرا
شريفُ المعالي من سلالة أحمد نَبِيِّ الورى المختار أعلى الورى قدرا
ووسّع للزوَّار مسجدها الذي تلونا بمحراب له الآية الكبرى
وأجرى به الماءَ الزُّلال وقَصْدُهُ الـ مودة في قُرباه لا سَائِلًا أجْرَا
يروِّي عِطَاشَ الزائرين فتَنْثني ولا مهجةٌ عَطْشى ولا كَبِدٌ حَرَّى
وذلك في إحدى الرَّبيعين عَامَهُ إذا عُدَّ تسعٌ بعد ألف مضت هِجْرا
بعصر مليكِ الخافقين الذي سَمَتْ به آلُ عثمانٍ ملوكُ الوَرَى طُرًّا
محمد ظِلَّ الله مَنْ عزَمَاتُهُ
إذا ما انتضى قد قَدت البيض والسُّمْرا
وكم للشريف المُوسَوِيِّ بعصره مآثرُ لا تُحصى ولاَ تبْلُغ الحَصْرا
حَبَاه بها مَوْلاه ذِكراً مُخَلداً على صفحاتِ الدَّهْرِ أسْطرُهُ تُقْرَا

إليك شريفَ القَدْر جاءتْ حديقةً سَقتْها مياهُ الطَبْع سَاجِلة العُفْرا
لها رَونَقُ الشَّمس المنيرة في الضُّحَى عيونُ قَوافِي الشِّعر عن دَرْكها حَسْرَى
عليها من المَدْحِ الشريفيِّ جَوهرٌ وقد قُلِّدتْ منه التَّرائب والنَّحْرا
نظاماً بديعاً طالويًّا نِجَارُهُ مديحُك فيه يُخْجِل الزُّهْر والزَّهْرا
بقيتَ لآل البيت تكسُو قبورهم جلابيبَ وحي اللهِ ما طَلَع الشِّعْرى

وقلت في كُسْوتها:

ثوبٌ كساه الشَّريفُ مُذْهَبُ ضَريحَ بنت الزَّهراءِ زَيْنَبُ
في عامِ تسعٍ من بعد ألفٍ مَوَدَّةً والقريبُ أقربُ

وفي ذلك قلت أيضاً:

كَسا السَّيِّد الوَشْيَ الحرير مُذَهَّبا ضَرِيحَ ابنة الزهراءِ أعْنِي زَيْنَبَا
ووسَّع من أقطارِ مسجدها الذي بها كادَ يَسْمُو مسجد الخيف أوقَبَا
وفي عام تسعٍ بعد ألفٍ أتَمَّهُ وداداً لذي القُرْبى وقد كان أقرَبا

ولما اقتضى الأمر المطاع، خُروجه من معسكر الشام إلى البقاع، استصحب معه من دمشق الأمير محمد المَنجكي اليوسفي[1]، والمولى محمد

---

(١) هو محمد بن منجك بن أبي بكر بن عبد القادر بن منجك الكبير اليوسفي، كان أميراً جليل القدر سامي الهضبة كبير الشأن، إلا أنه تغالى في الكبر، وكان كثير الذم للناس كثير الإيقاع بهم وأذيتهم حتى خافه الناس وكبرت دولته ومدحه الشعراء، سلك طريق العسكر فأصبح زعيم الجيش الشامي ثم متولياً على عمل السلطان سليمان بالميدان الأخضر وصار بعدها أميراً، وتولى إمرة الرقة والرها. توفي عام ١٠١٢ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٤/٢٢٩ - ٢٣١؛ وانظر القصيدة التالية في تراجم الأعيان ٢/٤١٩ وريحانة الألبا ١/٦٣.

أمين السَّابقي، كتبتُ صدر مُكاتبة إليها بفسطاطِ مُخَيَّمِهِ الشَّريف، ليقوما عنِّي بذلك المقام المنيف، وأداء العبوديّة، في تلك السُّدَّة الشريفةِ الشَّرِيفيَّة، قولي:

بـــــاللهِ يـــــا نَشْرَ العَبِيـ ـرِ سَرَى بروْضَـــاتِ الغَرِيِّ[1]
طـــافَ المشاهـــدَ وانثنـــى نَشْوَان من كـــــأسٍ رَوِيِّ
ينحو بأعْلَـــــى الكرخ دَا راً جَادَهَـــا عَهْـــدُ الوَلِّي
وأقـــــــام بالزوراءِ مِنْـ ـهَـــا في رِيـــاضِ الحائِرِيّ
إن جُزْتَ من أرض العرا ق عـــلى المناظِرِ في مُضِيّ
وأتيـــتَ رَبْـــعَ الشَّام مُجْـ ـتَـــازَ الفُرَاتِ إلى ثُـــدَيّ[2]
وشَهـــدتَ من عُلْيـــا البقـــا عِ مَنـــــازِلاً لِكرَام حَيِّ
نَزَلوا بـــــه فَسَمَـــــا بِهم وادي القُرَى ودِيَـــــار ميّ
ولقيـــتَ من لُبْنَـــان أر واحَ النسيم العَنْبَرِيّ
تذكيـــه فاغمـــة الرِّيَـــا ض بمنزلِ الشِّحْر الذَّكِيِّ
قـــل للأمـــير بن الأميـ ـرِ ابْن الأمـــير المنجكِّي
مُعْـــلي المعـــالي والعَوَالي في الوَغَـــى مُرْدِي الكمِيِّ
مُحْيِـــى مكـــارِمِ جَـــدِّهِ الـ أَعْلَـــى الكبـــيرِ اليُوسُفِيّ
متفَضِـــــلاً يُقْرِي السَّلَا مَ كَخُلْقِـــــهِ الزّاكي البَهِيّ

---

(١) العري. البناء الجيد، ونصب كانت تذبح عليه العتائر بالكوفة، بالقرب من ضريح الإمام علي رضي الله عنه، وهو المقصود هنا، وفي تراجم الأعيان: سيرى بدل سري.

(٢) الثدي: تصغير الثدي، وهو موضع بالشام، وقد ذكره جميل في شعر له، وهو قوله:

تحملن من مـــاء الثـــدي كأنمـــا تحملن من مرسى ثقـــال سفـــين

معجم البلدان ١/٩٣٠.

عَنِّي جنـــــابَ أخِي الوِدَا ... دِ الأبْهَرِيِّ الدّفْـــــتَرِيّ
أعـــــني محمـــــداً الأميـ ... ـنَ نَصِـــير أنصـــار النَّبِيّ
سَبَّـــاقَ غايـــاتِ العُـــلا ... ركنَ المعـــــالي السَّابِقِيّ
من معشر سَبَقُوا إلى الـ ... ـخَيْرات بالنَّـــــصِّ الجَلِيِّ
يـــــا صاحـــــبيَّ وُقِيتُما ... شَرَّا[1] حَسُودَكُما الغَوِيّ
وحَباكما[2] عَصْرُ الشَبـــــا ... بِ نشاطَـــه من غـــير غَيِّ
إن جئـــــتما لمخـــــيَّمِ الـ ... ـمَوْلى الشَّرِيـــــفِ المُوسَوِيّ
ووقفتُما بُسرَادِقٍ ... حَـــازَ السِّيَـــادة من قُصَيِّ
فتحمَّـــــــلا مِنّي السَّلَا ... مَ كمِسْكِ دَارِين الزَّكِيّ
لجنـــــاب مولانـــــا الوَزيـ ... ـر وَلِيِّ مولانـــــا عـــــلِيّ
وابن الأئمة من قُرَيْـ ... ـشَ وفي ذُرَى الشَّرَف العَلِيّ
فهو الشَّريـــــف بن الشريـ ... ـف ابن الشَّريـــــف الهَاشِمِيّ
ثم اذكُرَا مِنْ حَـــالِ مو ... لَاهُ المحـــــبِّ الطَّالَوِيِّ
جُمَـــلا فما تَفصيـــل حـــا ... ل العَبْـــدِ عَنْـــه بالخَفِيّ
ذَكَرَتكُما الأنواءُ ذكْـ ... ـرى بالغَـــــدَاةِ وبالعَشِيّ
وبَقِيتُما في ظـــــلِّ عَيْـ ... ـنِ وَارِفِ النُّعْمَـــــى سنِيّ

---

(١) في تراجم الأعيان: شرى.
(٢) في تراجم الأعيان: وهباكما.

قوله، وقد اغتصب منه أمير صيدا غلاماً[1]

ولما أن هلَّ جمادى الآخرة، أعملتُ ركائب سيري من دمشق المحمية، نحو الديار الرومية، واخترتُ المسير من طريق اليَمّ، لأمرٍ دعا إلى ذلك وأهمَّ، فاجتزتُ بثغر صَيْدا، فكاد لي أميرُها ذلك الفاجرُ كَيْدا[2]، واغتصب مني غُلاماً كان عندي كأحدَ وَلَدِي، فكتبتُ إلى حضرة الشريف وهو بالشام صدر مكاتبة أذكر فيها قِصَّة الغُلام، واخترتُ ديباجة الأبيات المتقدمة، وجعلتها لهذا العنوان مقدمة:

بـــــاللهِ يـــــا نَشْرَ العَبيـ ـرِ سَرَى بَرَوْضَـــــات الغَرِيِّ
طـــاف المشاهـــد وانْثَنَـــى نَشْوَان من كـــــأسٍ رَوِيّ
وأقـــــــام بالزَّوْراء منـ ـهـــا في ريـــاضِ الحَائِرِيّ
مُتَنَزِّلُ الآيِ الكريـ ـمـــة مَهْبِـــطَ الوَحْي السَّنِيّ
إن جئـــتَ رَبْـــع الشام فَاقْـ ـصِـــدْ سَاحَـــة الشَّرَفِ العَلِيّ
أعـــني الشَّريـــفَ بن الشَّرِيـ ـفِ ابن الشريـــف المُوسَويّ
متحمِّـــــــلا منِّي السَّلا م كمِسك دَارِين الزَّكي
لجنـــــاب مولانـــا الوزِيـ ـر وَلِيّ مولانـــا عـــليّ
ثم اشْرَحَنْ من حَـــال مَوْ لَاه المُحِـــــــبّ الطَّالَوِيْ
مـــــاذا لَقِي في ثَغْر صَيْـ ـدَا من دُرُوزِيٍّ غَوِيّ

---

(١) ذكر الخفاجي هذه القصة في ترجمة الطالوي من كتابه ريحانة الألباء ٦٣/١ أبيات القصيدة التالية.

(٢) هو فخر الدين بن قرقماس بن معن الدرزي؛ حاكم صيدا.

انظر خلاصة الأثر ٣/ ٢٦٦، وسوف يذكره المؤلف في قصيدة تالية.

دينُ التناسُخِ دِينُـــــــه لا بـــل يَـــدِينُ بكـــلِّ غَيِّ
ويرى الطَّبائِـــعَ أنَّهـــا فَعَّالـــةٌ في كـــلِّ شَيِّ
وافى بمكتوبِ الشَّريـ ـفِ إليـــه من بَلَـــدٍ قَصِيِّ
يُوصيـــه فيـــه كأنَّما أوصـــاه في أخْـــذ الصَّبِيِّ
فسَقَـــاه يَوم فِرَاقِـــه. لا كـــانَ بالكـــأسِ الرَّوِيِّ
وغَـــدَا الحشا من بُعْـــده يَصْلَـــى عـــلى الجَمْر الذَّكِي[1]
والعـــينُ بعـــد بِعَـــادِه تبكِي بَدَمْـــــع عَنْدَمِيِّ
في غُرْبـــــة لا يَشْتكي فيهـــا إلى خـــلٍّ وَفِيٍّ
لا جَـــار يَحْميـــه ولا يَـــأوى إلى رُكْنٍ قَوِيِّ
إلّا إلى ركن الشريـ ـف الطَّاهر الشِّيَمَ الزكيِّ
حامي حِمَـــى الشّام الشريـ ـف بكـلِّ ابيضَ مِخْذِ ميِّ[2]
مولاي سُمعـــا إن لي حقـــاً عليـــك بغـــير ليٍّ
بولاء حَيْـــدرة الوَصِيِّ أخـــي النَّبِـــيِّ الهاشمي
لا تهملنْ في أخْـــذِ ثـــأري من كَفُور بالنَّـــبِيِّ
وأبعـــثْ إليـــه مَقَانِبـــاً فيهـــا الكَمِيّ عـــلى الكَمِيِّ[3]
لو حَارَبَـــتْ جُنْـــد القضـــا ءِ ثَنَـــتْ سُرَاه عن مُضِيِّ

---

(١) الجمر الذكي: الملتهب.

(٢) المخذمي: السيف القاطع، واسم لسيف الحارث بن أبي شمر الغساني، وفي الريحانة: الشرع بدل الشام.

(٣) المقانب: جمع مقنب (بكسر الميم) وهو جماعة من الفرسان والخيل دون المائة تجتمع للغارة، والكمي: لابس السلاح، أو الشجاع المقدام الجريء كان عليه سلاح أم لم يكن.

جَرّافـــــة لم تُبْـــــقِ في أطْلالـــــه غَـــــير النُّؤيّ[1]
وأشَيْعِـــــثٍ يَنْعي الدِّيـــــا ر مَـعَ ابنِ دَايَـةَ في النَّعِيّ[2]

ومما كتبتُ إليه قبل قصة الغلام، في استدعاء بعض المرام، قولي:

قُلْ لَمجْرى الجيَاد قُبَّ البُطُون[3] وأمـــيرِ البـــلاد فَخْر الـــدِّينِ
من حَمـى مَجْدَ جَدِّهِ مَعْنِ قِدْما بـذوات الفرنـدْ رُقْشِ المنونِ
تحسب المِسْك صائكـاً ما عَلَاها[4] من دِمَـا الهَامِ أو دِمَاء الوَتِينِ
سيَّما يومُ دِجْلـــة البُرْج لَمَّـــا شَامَ منهـا العِـدَا بُرُوقَ المَنُون
فهي مثـلُ الكرَى وهَامُ الأعادِي جَفْنُهـا والكَرَى مَحَـلّ الجُفُونِ
سَلَّ منهـا سَيْفاً على نَجْل سِيفَا وعَلَاهُ بصـــــــارم مَسْنُونِ
إذ غَدا القَوْمُ حَوْل إغزير صرعى مُرْهَـفٍ[5] صارمٍ ورُمْحٍ شَطُونِ
فكأن العثيرَ تُرْبُ حَمَامٍ وهو يَنْقَـضُّ فيـه كالشاهِينِ[6]
يتفضل عن ابن حُرفوش مُوسى كَرَمـاً عن حِوالةٍ من ضَنِين[7]
قبل أن تَرْسُب المَرَاكِب في البَحْـ ـرِ ويَنْجَـاب عنـه سَيْر السَّفِينِ
دامَ فخرُ العُـلا أمـيرُ المَعـالي ولأهـــل العُلُوم خَيْرُ مُعِـــين

---

(١) النؤي: المجرى الذي يحفر حول الخيمة أو الخباء يقيها السيل.
(٢) ابن داية: كنية الغراب؛ والأشعيث تصغير الأشعث وهو الوتد لأنه يشعث إذا دق.
(٣) قبة البطون: القبب ضمور البطن ودقة الخصر.
(٤) صائكاً ما علاها: أي ملتصقاً به.
(٥) مرهف مجرورة بالإضافة، أي هم صرعى مرهف.
(٦) العثير: الغبار، وهو بكسر العين وسكون الثاء وفتح الياء، ولكن من الصعب نطقها هكذا دون أن يختل وزن البيت، ولهذا فهي تنطق عثير بزنة أمير. والشاهين: الصقر.
(٧) يتفضل: فعل مضارع مجزوم لأنه واقع في جواب الأمر الوارد في أول بيت في القصيدة وهو قوله: قل لمجري الجياد أي قل له يتفضل.

ومما كتبتُ بثغر صَيْدا لابن الحَرفوش مُوسى[1]، ذلك الأمير وابن الأمير، وهو يومئذ مالك لأغزير، سكن الأمير يوسف بن سيفا، مشيراً إلى الوقعة التي جرت بينهما وقتل أخيه الأمير علي بن سيفا، وبعثتُ بها إليه صدر مكاتبة وهو بها أواخر جمادى الآخرة، قولي:

يا نَسِيمَ الصَّبا ونَشْرَ العَبِيرِ ... شُمَّا سَاحَتَيْ حِمَى إغْزِيرِ
وانزِلا سَامِيَ المنازل مِنْها ... بين قَصْرٍ وَرَوْضَةٍ وغَدِير
وارْتعا في رُبُوعها يا سَقاها ... من ودَادِي سَحَابَ غيثٍ مَطِيرِ
واقصدا كَعْبَةَ الفضائل فيها ... هو مُوسى الأميرُ وابن الأميرِ
هو مُبكِي الفَوارسَ والشجعا ... نَ، والبيضُ باسماتُ الثغورِ
قد نمته من آل حرفوشَ غُرٌّ ... مُشْرِقاتُ الوُجوه مثلُ البُدُورِ
من قَوَالٍ سَمَتْ بهم للمعالي ... نُصْرَةُ الآلِ وهو خَيْر نَصِير
وأقْرآ زَاكِي السَّلَامَ عَلَيْه ... من مُحَبٍّ بادي الولاء، شَهِير
ثم بُثَّا من لَوْعَتِي وَغَرامي ... واشْتياقي ما ليس في مَقْدُورِي
لجنابٍ سَمَا العُلَا بعُلَاه ... يا لَهُ من عُلًا ومَجْدٍ خَطِيرِ
يا أميراً له وَقَائِعُ حَرْبٍ ... علمُها في الصغير قبل الكبير
ذكرُها سَارَ كالنُّجُومِ الدَّرَارِي ... أو كشمس النَّهار عند المسير
هي عِنْدي في يَوْمِ إغزير كانت ... مثل حَرْب الوَصِيِّ رَبِّ الغَدِيرِ[2]

---

(١) سبقت ترجمته، وكان أمير بعلبك، وقد حارب الأمير علي بن سيفا صاحب طرابلس، وقتله بأمر من الوزير محمد باشا السيد الشريف المنفصل عن نيابة مصر، حين كان نائباً بالشام سنة ١٠٠٧ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٤/٤٣٢.

(٢) يعني به غدير خم، وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة، به مسجد رسول الله صلى الله =

يوم صفّين والرماحُ شِراعٌ ... من دَم القاسِطين أهلِ الفُجُورِ
أو كيوم بالنَّهْروان[1] عَبُوس ... شُدَّ فيه على العِدَا قَمْطِريرِ
سَلْ نَواحي بَيْرُوتَ يوم أَتَاه ... في عشيرٍ كبحره المَسْجُورِ
والنواحي من دِجْلة البُرْجِ تَصْلَى ... بسعير الحروبِ مثلُ السَّعِيرِ
حين أَلْقَى له ابنُ سيفا جِهَاراً ... سيفَه مُسْلِماً إلى المقدور
لم تَقِهْ القَضَا قَضَاءُ دُروعٍ ... جَالَ في خَصْرها وشاح القتيرِ
نُثِرتْ كالغَدِير ما نال منها ... من وشَيجِ الرِمال غير الكَسِير
غير أنَّ الحِمام قد يُدْرِكُ المَرْ ... ءَ ولو كان في مشيد القُصُورِ
عَاقَني عن زيارتي لك دَهْرٌ ... مثل حَظِّي ما زال في تأْخِيرِ
كلَّما قمتُ أقعدتْنِيَ فاعجبْ ... فيه عن نيلها مَعَالي الأمورِ
دُمْت في ظِلِّ وارفاتِ عَوالٍ ... تنهلُ البيضَ من دماء النُّحورِ
غِمدُ أسْيَافِك الصَفائِح هام ... من أعَادِيكَ أو صِحَافُ الصُّدُورِ

يكتب من الجزيرة القبرصية إلى دمشق

ومما كتبتُ عام تسع بعد الألف، غزة رجب الفرد من الجزيرة القُبْرصِيّة، إلى الدِّيار الدِّمَشْقِيَّة، صَدْر مكاتبة، قولي:

على ساكني عُلْيا دمشقٍ تحيةً ... من المُغْرم المُشْتاق والوَاله الصَّبِّ

= عليه وسلم. وعند هذا الغدير خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخى بينه وبين علي رضى الله عنه.

(١) النهروان: مدينة بين بغداد وواسط، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج. انظر معجم البلدان ٨٤٦/٤.

تحيـةَ مُضْنَى فَارَقَ الدَّارَ والهَوَى وحُسَّانَ رَبْع فيه حُسَّانَةُ السِّرْبِ
إذا شامَ بَرْقُ الشَّامِ هَاجَتْ لوعةٌ ومن دونها طَامي الغَوارب كالشُّهْـبِ
رمتْهُ النَّوى وسط الجزيرة والهَوَى إلى منزل بالشام في الجانب الغربي
هي الدَّار لا الجَرْعاءُ من جانب الحمى ولا أثلاث القاع من أيْمُنِ الشِّعْبِ
سَقاها وحَيَاها الإله معاهداً عِهَادَ دَنُوِّ العهد موصولة السُّحْبِ
وخَصَّ بها دار الأمير وما حوتْ مَعَالِمُها من ذي لَمَى خَصِرٍ عَذْبِ[1]
أميرُ المعالي المنجكيُّ الذي له حَيَاتِي ونُصْحِي في البعاد وفي القُرْبِ
أحبَّتَنـا بالشَّامِ والـدارُ غُرْبَـةٌ وصَرْفُ النَّوى لا يُتَّقَى منه بالعَضْبِ
أقمتَمْ وسِرنـا والفؤادُ لديـكم وما حَالُ جسم في الهوى سَارَ عن قَلْبِ

لقاؤه في طرابلس بالشيخ عبد النافع الحموي

ولما أن عبرت بنا الجواري المُنْشآت في البحر كالأعلام، وألثمتْنا من ثغور تلك السواحل ثغر طرابلس الشام، ألقينا مرائر[2] الفلك برساها، وتلونا عليها بسم الله مَجْرَاهَا ومُرْسَاها، ألفيتُ بها شيخ العلوم، وإمام المنثور والمنظوم، وقُرَّة عين أصحاب أبي حنيفة، والرّاقي من مذهبه الذروة المنيفة، الذي بلغ الغاية فيه وهو يافع، مولانا الشيخ عبد النافع، الحموي[3] بلداً، والأنصاري محتداً، متع الله به قُطْره، كما أحيا به

---

(١) اللمى: الشجر تكاثف ظله، والخصر: البارد.

(٢) المرائر جمع مرير، وهو ما لطف وطال واشتد فتله من الحبال.

(٣) هو الشيخ عبد النافع بن عمر الحموي، الحنفي، نزيل طرابلس، كان في غاية الذكاء والفطنة، وقد نشأ بحماه، وخدم القاضي محمد بن الأعوج بإقراء أولاده القرآن، فعينه كاتباً =

ذكره، فلم يُخلنا مدة الإقامة من بدائع فَرَائِده، وروائع فوائده، فمما أنشدنا من حِفْظه للإمام الشافعيِّ رضي الله عنه، وقد جَرَتْ مناسبات جَرَتْ إلى ذلك أوائل ذي الحجة بالحرام عام تسع بعد الألف:

إنّ الذي رُزِق اليَسَار ولم يُصِبْ ... حَمْداً ولا أجْراً لَغَيْرُ مُوَفَّقِ
الجَدُّ يُدْني كلَّ أمْرٍ شَاسِعٍ ... والجَدُّ يفتح كلَّ بَاب مُغْلَقِ
وإذا سَمِعتَ بأن محروماً أتى ... ماءً ليَشْربه ففاضَ فَصَدِّقِ
وإذا سمعتَ بأن مَجْدوداً حوى ... عُوداً فأرْوَق في يديه فَحَقِّقِ
لو كان بالحِيَلِ الغِنَى لوجَدْتَني ... بنجوم آفاق السماء تَعَلُّقِي
لكنَّ من رُزِقَ الحِجَى حُرِمَ الغنى ... ضِدَّانِ مُفْترقان أيَّ تَفَرُّقِ
وأحقُّ خلق الله بالهَمِّ امرؤ ... ذُو هِمَّةٍ يُبْلَى برزقٍ ضَيِّق
ومن الدَّلِيلِ على القضاءِ وكَوْنُهُ ... بُؤْسُ اللبيب وطِيب عيشِ الأحمقِ

ومما أنشدنيه من محفوظه جواب رقعة كتبها بعض الأدباء، وهي من أبدع ما سمعتُه في هذا الباب:

أهْدَيتَ لي من روضِ فَضْلِك قِطعةً ... من زَهْرها مَاءُ البَلَاغَةِ يُقْطَرُ
فالطِّرْسُ كافورٌ وحِبْرُكَ فوقه ... مِسْكٌ ودُرُّ النَثْر فيه جَوْهَرُ
وحمائمُ الأسْجاع بين سُطورها ... ببيانها تَسْبِي العُقُولَ وتَسْحَرُ

= بحكمة المدينة المذكورة. ثم ترقى إلى أن أفتى على مذهب الإمام أبي حنيفة، وانفرد بالفتوى من حمص إلى معرة النعمان.

ولكنه كان مولعاً بالهجاء وبذاءة اللسان، حتى أنه هجا بني الأعوج وشيخهم ولي نعمته.

توفي سنة ١٠١٦ هـ.

انظر في ذلك خلاصة الأثر ٣/١٠، تراجم الأعيان ٢/٣٣٤ وفيه يكيل البوريني له السب والذم كيلاً، وانظر ريحانة الألبا ٢/٤٥.

بعثت معانيها إلَى أرْوَاحنا رَاحاً تمرُّ على العُقُولِ فَتُسكرُ
فَنَشَرْتُها وطويتُها كَلَفاً بها والشَّوْقُ يطويني إليك ويَنْشُرُ

ومما أنشدنيه من حفظه في آل البيت، وعَزَاه للإمام الشَّافعي رضي الله عنه وأرضاه، قوله:

يا آلَ بيتِ رسُول الله حُبُّكُمُ فَرْضٌ من الله في القرآن أنْزَلَهُ
يكفيكُمُ من عظيم الفَخْر أنكُمُ من لا يُصَلِّ عليكم لا صَلَاة لَهُ

الطالوي في القسطنطينية - بينه وبين مفتي الخلافة

ثم أخذت الفُلْكُ تمخُرُ في طامي العُباب، فودّعته وبقية الأصحاب، ولم تزل تطوي بها الأيام والليال، وهي تجري بنا في موج كالجبال، حتى أشرفنا على أعلام قسطنطينية، دار الخلافة السنية، رابع عيد الأضحى، وقد بلغت الآمال منا نُجْحا، فأخذت النفس في تهيئة أسباب الثَّوى، وألقت عصاها واستقر بها النَّوى، ورئيس العلماء الأعلام، بها يومئذ شيخ الإسلام المؤيد بألطاف الإله، المولى مفتي الفرق الإسلامية صُنْع الله[1]، وقد ملك زمام الأمور، وفوض إليه الجمهور، حتى أطاعه الدولة إطاعة المأمور لآمره، والمملوك لمالكه، بحيث ألقت إليه كبراء الدولة بالمقاليد وعولت على آرائه المنيرة بحسن التقليد فكتبت لرفيع جنابه ومنيع سُدَّة

---

(١) هو صنع الله بن جعفر، شيخ الإسلام ومفتي الخلافة في عهد السلطان محمد وولده السلطان أحمد، وقد ولي الإفتاء بعد وفاة المولى سعد الدين بن حسن جان، سنة عشر بعد الألف، توفي نحو سنة ١٠٢١ هـ.
انظر خلاصة الأثر ٢/٢٥٦ - ٢٥٩.

أعتابه، بهذه القصيدة البديعة، والخريدة المنيعة، فقلت مخاطباً ذلك المقام حسب ما هو متعارف، ومشاهد لدى الأنام:

بِكَ المُلْكُ صُنْعَ الله يُزْهَى ويَزْدَهي ... برأيـــك مِنْـــه مِنْبَرٌ وسَرِيرُ
فمـا هو إلاّ غـادةٌ أنـتَ حَلْيُها ... يُضيءُ عـــلى لَبَّـــاتِهـــا ويُنير
وإلاّ فبيـتُ المجـد أنتَ دعامُهُ ... ومن رأيـك الأسْنَى عليه سُتُورُ
أخذتِ بأطرافِ الفَخارِ فأصْبَحتْ ... إليـــك المَعَـالي بالبَنَـانِ تُشيرُ
ومـا زلتَ تَرْقى في عُلَا دون نَيْلها ... طوالُ العَوالي والمقـامُ خَطـيرُ
إلى أن رفعـتَ المجدَ أرْفَعَ هَضْبَةٍ ... تَقَاعَسَ عنهـا يَذْبُـلٌ وثبـيرُ
وخلّفتَ هذا الخلق بعضاً ببعضهم ... يموجُ فمنهم جـــازعٌ وصَبُورُ
وكاشفتَ من أسرارهم كُلَّ ما خَفِي ... فقـد كان لا يَخْفَى عليك ضَمِيرُ
فيـا عالمَ العَصْرِ الذي ما رأتْ لَهُ ... نظـيراً عُصُورٌ قد مضت ودهورُ
لـك العِزَّ مِلْءَ الخافقين سَرَتْ بها ... إلى كُـلِّ قُطْرٍ شَمْـأَلٌ ودَبُورُ
فتـاوى تَسَرُّ الناظرين سَوَافِراً ... إلى حُسْنها كُلُّ النواظِرِ صُورُ
عـلى صفحاتِ الدَّهرِ تَبْقى كأنها ... بيـاضُ طُرُوسٍ هُنّ فيه سُطُورُ
ويا قطبَ مصرٍ أنت واحِدُه الذي ... عليـه مَـدَارُ الكائنـات يَـدُورُ
شهـدت لقد أعطاك مولاك رُتْبَةً ... يَردُّ سَناها الطَّرفَ وهو حَسِيرُ
تقاصَرَ عن إدراكها القومُ فانتهتْ ... إليـك ولم يُسْنَـدْ إليـك قُصُورُ
فلو أن سَعـداً وابن بُسْتَان شَاهَدَا ... أوامَر صُنْـعِ اللهِ كيـف تَسِيرُ
لأصبـح كُـلٌّ مَعْ جَلالـةِ قَدْرِه ... وفيـــه البَهَـــا أنَـــةٌ وزَفِـــيرْ
أفـادك عِزُّ النَّفْس مولاي والتُّقَى ... مَقَـامَ غِنًـى كُـلٌّ إليـه فَقِيرُ
وبالبـابِ دَرْوِيشٌ وشافِعُ مِثلـه ... إليـك نَدًى في راحتيكِ غَزِيرُ

لبابك من عُلْيَا دمشقَ رَمَتْ به سَوَابحُ شُهْب في الظلام تَغُورُ
وتُصبح في لُجِّ السَّرَابِ طَوَالِعاً شُمُوسُ ضحى تَسْري بهنَّ بُدُورُ
لها من هلال الأفقِ نَعْلٌ مفضَّضٌ ومن نَجْمه عِقْد حَوَتْه نُحُورُ
من الشَّام يَنْحُو بحر جُودِك ظَامِئاً وكم طُوِيَتْ من دُونِهنّ سُجُورُ
بهنَّ الجوارِي المنشآتُ مَوَاخِراً بُلْتطم طَاوي العُبَاب يَمُورُ
تعانِقُ فيه الريحُ أعطافَ مَوْجَةٍ فيطْفُو على تَيّاره ويَفُورُ
كفيضك صُنْعَ الله والفَرْق ظاهِرٌ وما يَسْتَوي مِلْحٌ جرى ونَمِيرُ
ولا الطَّلْحُ في جَرْعاء يَبْرينَ دَاوِياً وشَحْرَاءُ فيها روضةٌ وغَدِيرُ
وما القصدُ إلاّ منصبُ الدرسَ عاجلاً تُقَلِّدُهُ مَنًّا وأنت قَدِيرُ
لِتُحْيِي دُروسَ العِلْم بعد مَمَاتِها بَعَصْرِكَ إذْ بعد المماتِ نشورُ

ومما أنشده بين يدي المولى محمد بن سعد الدين

ولما غدا جيدُ الفَتوى عاطلاً من المولى، وازدان بها صَدْرُ عَلّامة الموالي، وبدر سمائهم المشرق المتلالي، فخرِ علماء الإسلام والمسلمين، حضرة المولى محمد أفندي ابن سَعْد الدين[1]، كتبتُ لسامي أعتابه الرَّفِيعةِ

---

(١) هو محمد الملقب بأسعد بن سعد الدين بن حسن جان التبريزي الأصل، القسطنطيني المولد والوفاة، ولد سنة ٩٧٨ هـ، وكان عالماً محققاً متبحراً، اتفق أهل عصره على أنه لم يكن له نظير في الفضل والاتقان، وقد اشتغل بالتدريس في أرقى المدارس كالسليمانية، ثم تولى قضاء أدرنة وقضاء الروم، وحج وعاد فتولى منصب الإفتاء بعد أبيه وظل فيه حتى توفى سنة ١٠٣٤ هـ. انظر خلاصة الأثر ١/٣٩٦ - ٣٩٨. =

المقام، وعالي جنابه مقصد الخاص والعام، بهذه القصيدة التي هي في حُسَّان القريض كالغَادة اللَّميا، وجَلَوْتُها عليه بمنصب الإنشاد في مَعْرض الفُتْيا:

ما قولُ شيخِ الوَرَى عَلَّامة الأمَمِ ... مُفْتي الفَرِيقَيْن من عُرْب ومن عَجَمِ
فَخْرُ الزمان إمامُ العصر أفضلُ مَنْ ... أمَّت حِماهُ مطايا العَزْم من أُمَمِ
والباهرِ الفضل والآراء والنِّعَمِ ... والطَّاهر الأصْل والآباءِ والشِّيَمِ
والقائلِ الفَصْلِ لو شاءتْ رَوِيَّتُه ... نَظْمَ النجومِ الدَّرَاري موضع الكلمِ
والمُرْشِد الخلق سُبلَ الحَقِّ حيثُ غدا ... إمام حقّ لهم فافْطِنْ إلى كَلِمِي
فهو الإمام الذي نَرْجُوه منتظرٌ ... لقَتْلِ دَجَّالِ جَهْلٍ قد أباح دَمِي
مُحمد الاسْمِ مَوْلًى قد تخيَّرَهُ ... من دَوحة السَّعْدِ بَارِئُ النَّسَمِ
سَعْد البرايا سَقَى الرَّحْمنُ مَضْجَعَهُ ... سُحْبَ الحَيَا بَيْن مُنْهَلٍّ ومُنْسَجِمِ
حتى يرى رَوْضةً غنَاء مشرقةً ... أنوارها بشقيق الورد والعَنَمِ
وتُنبتُ الرَّوْحَ والرَّيحانَ حولَهُما ... سَحَابُ عَفْو سَرَتْ وكَّافَةُ الدِّيَمِ
فيمن غدا طالباً بالرُّوم مدرسةً ... يُحيى معالم منها صِرْن كالرِّمم
مُجدِّداً من زواياها التي دَرَسَتْ ... وفي الزوايا خبايا العِلْمِ والحِكَمِ
هل يستوي وجَهُولٌ بالدراسة لا ... تَرادُ يَفْرقُ بين البُهْم والبُهَمِ (١)

= وليلاحظ قول محقق رحلة الألبا ٢/٢٨٣ أنه تولى الإفتاء بعد أخيه محمد، والواقع أن ذلك سهو ولم يكن لأسعد أخ اسمه محمد بل هو نفسه الذي اسمه محمد وقد تولى بعد أبيه محمد وليس بعد أخيه.

(١) البهم بضم الباء وسكون الهاء جمع أبهم، وهو المصمت أو الأعجم. أو جمع بهيم وهو الأسود، وليل بهيم، لا ضوء فيه إلى الصباح، ومن الألوان ما كان لوناً واحداً لا شية فيه يتميز =

لا والذي حَاط هذا الدِّين منك لنا بأسْمَرِ عَامـلٍ كالأبيـض الخَذِمِ
يَمُـجُّ سُمَّ الأفاعي تـارةً ويُرَى طَوْراً بِرِيقَتِـه يَشْفِي من الألَمِ
مولاي أنـت الذي دَانَ الأنامُ له والكلُّ راضٍ بما ترضاه فاحْتكِمِ
لكنَّ شأنـك يا مولاي أرفعُ مِن أن ينتمي نحوه من للسَّوام نُمِي
مالي أرى مَنْصِب التدريس يُمْنَحهُ ذُو الجهل يَرْفُلُ في أثواب محتشِمِ
وفي يديـك زِمَامُ الفضل قائدهُ رأيٌ يُفَرِّقُ بـين النُّورِ والظُّـلَمِ
فاكشف برأيـك عَنَّا ظلمةً سَتَرَتْ وُجُوهَ آمالِنَـا لازلـتَ في نِعَمِ
واحكُمْ كحكم فتاة الحَيِّ إذ نظرتْ أو ابْنِ دَاودَ بين الحَرْثِ والغَنَمِ
والفَقْرُ في العِلْم داءٌ لا دَوَاءَ لـــــه
فاسمعْ فديتُـك فَصْلَ القول من حِكَمِ
فقرُ الجهولِ بـــلا عـلم لمدرسةٍ فَقْرُ الدَّوابَ بلا رأسٍ إلى اللَّحمِ
وهـذه نفثةُ المَصْدور قد صَدَرَتْ من صَدْر عبدٍ لصَدْرِ الناس كُلِّهِمِ
درويشُ سُدَّتِـكَ العُلْيـا فإنّ له بأهْلِهـا نسبـةً مَوْصُولَـة الرَّحِمِ
هـذا ونسبةُ عَبْد القوم مُلْحِقَةٌ لـه وإن هُمْ عَلَوْا يا سَيِّدي بِهِمِ
وشَاهِـدِي قولُ خير لخلق كلِهِمِ سَلْمانُ مِنَّـا لهذا سَادَ في الخَدَمِ
فَجُدْ له جَاد مَغْنَاك السَّحاب حَيا بمنصِب الدرس واغنم شكر مُغْتَنِمِ
أبقـاك رَبُّ العُلا حَلاَّلَ مُشكلةٍ كَشَّافَ مُعْضِلـةٍ عَلاَّمـة الأمَمِ
محمـد الفضلِ محروسُ الجناب إلى حِماك تُزْجَى مطايا العَزْم والهِمَمِ

= ها، ومن الأصوات: المتماثل: لا ترجيع فيه أما البهم بفتح الباء والهاء فجمع بهمة ويطلق على الصغير من ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى.

يطلب فتوى الشام

ولما طالت ملازمتي لشريف أعتابه، ومنيف أبوابه، وهو يتكرَّم بوعدِ المنصب والدهر لا يفي، وأنا أَلْحظ خَلْف الزمان بمن أوعد من طَرْفٍ خَفِي، كتبتُ إليه مُعرّضاً بفتوى دمشق الشام، وأنا الذي بها الآن في حكم سَوَامٌ الْعَوام، وعَوَامٌ السَّوام، أقول:

أنا من حَادَثٍ عَرَى في أَمَانِ ... ومَلاَذي جَنَابُ مُفْتِي الزَّمَانِ
حُجَّةُ العالمين غَيْثُ البرايا ... نُصْرةُ العالمين غَوْثُ الأَوَانِ
الإمامُ الجليلُ حَلَّ مَحَلاًّ ... لن يُدَانِيهِ في الأَنَام مُدَانِي
مُشْرِفُ الرأي والرَّوِيَّة فَيَّا ... ضُ أكفٍّ العَطاء بالإحسان
مُعْلِنُ الحَقّ والرِّماح شِراعٌ ... والمَوَاضي يَضْرِبنَ كُلّ بَنَان
بِسَنَا مَنْطِقٍ فَصَاحَةِ قَسٍّ ... عِنْده باقلٌ لَدَى سَحْبَانِ
وفَتَاوَى أبكارُها الغُرُّ تُجْلَى ... من سَنَا رأيه على الأذْهان
غَايةٌ في البيان والإتقان قد ... رُوي حُسْنَها عن الإتقان
صَمَّمَتْها أقوالُهُ بروايات ... عن الصَّاحِبَيْن عن نُعْمانِ
مَلأَ الخافِقَيْن صيت عُلاَها ... وسَرَى ذكرُها مع الرُّكْبَانِ
جئتُ أعتابَهُ الشريفةَ أشكُو ... من زماني وما به قد رَمَانِي
من مُمضَّات غُرْبَةٍ وشَتَاتٍ ... وتمادي عَزْلٍ بطُول زَمَاني
نَاهَزَ العَشْر من سنينٍ تَقَضَّتْ ... سَالِفَاتٍ كالطَّيف من وسْنان
فأغِثْه بمنصب الدَّرْسَ وأغنم ... شُكْرَه والدُّعاءَ في كلِّ آنِ
فهو عَبْدٌ لآلِ سَعْدٍ وشَيْخٌ ... لعلومٍ وليس مثل جُوَانِي
شيخٌ مالَهُ مِثالٌ وشكلٌ ... مُضْحِكٌ فيه سَلْوَةُ الأحزانِ

قـــلَّـدُوه فتوى الشَّام ودَرْساً دَرَسَتْ منـــه آيـــةُ العِرْفـــانِ
فرسُومُ العُلُوم منهـــــا طُلُولٌ قـد دَهَاها من شَجْوها ما دَهَانِي
درسَ العـــلم فالمـدارسُ تبكي من ذَوِي جَهْلِهـا بِدَمْعٍ قـانِ
ويح فَتْوى دِمَشْق بعـد رِجَالٍ كيـف أفضَتْ حتى إلى النّسْوانِ
كيـف بعد البُزاةِ تُصْبح مَأوَى بُومَـــةٍ رأسُهـــا بـــلا آذانِ
فاستمِـعْ قِصَّـةَ الشكايـة منهـا وانْتَقِذْهـا من جَاهِـل مُتَوَانِي
وأغِثْهـــا بفاضِـــل يَنْشُرُ العِلْـ ـمَ ويَدْعُو لـــكم بكـــلِّ لسانِ
دُمْتَ رُكنَ الهَوى رفيـعَ مقامٍ قـد سَمَـا قـدرُه عـلى كيوانِ
شَامِـخَ المجـد والعُـلاَ والمَعَالِي بَاهِرَ الفضـل سَاطِع السُّلْطانِ
بشفيـعِ الأنـام خَيْرِ البَرَايـا مُنْقِـذِ الخَلْقِ من لظى النّيرَانِ

كتاب للقاضي إبن أخي زادة وتقريظ المؤلف له

حضرتُ يوماً مجلس المولى علامة الروم، أوحدُها المبرَّز في فنون العلوم، بدر سماء المكارم، صَدْر العُلماء الأعاظم، القاضي يومئذ بعساكر روم أيلي المنصورة، لازالتْ بعدله مَعْمُورة، وبفضله مَغْمُورة، المُتَّصف بصفاتِ الكمال وكرم الخيم، مولانا وسيِّدُنا العلامةُ عبد الحليم، الشهير نسبة الخطير بإبن أخي، لابرح في بلهنيَّةٍ من العيش وبالٍ رَخي، فأقبل عليَّ بمؤانسته، وقَرَّبني منه في مجالسته، ولم يزل ينثرُ على سمعي من لآلىء فِقَرِه، ويجلُو عليَّ من أبكار فِكْرِه، ما يَحَارُ اللبيبُ في وصفه، ويغارُ الأديبُ من نَسَقِهِ ووصْفِه، فمن جُملة ما شَنَّف به سمعي، وجعلتهُ سميرَ ضمير جمعي، ما قَرَّظ به كتاب بعض الكُتّاب، من حُسْن سجع تَغَار منه

ألحانُ السَّواجع، ويودُّ البادِي لو كان فيه المُرَاجع، إلى زواهر فِقَرٍ تُخْجل دُرَّ الأسْلاك، وتُزْري بدُرِّيِّ الأفلاك، لو رآها صاحبُ اليتيمة[1]، اتخذها لكتابه تميمة، أو العماد الكاتب[2]، تسلى عن خريدته الكاعب، أدام اللهُ البقاءَ لمنشىء سُطوره، ومُوشي ديباجه وحبيره، وها أنا أُورد ذلك، وأُقَرِّظ بقصيدة بعد ذلك، وهي:

نظرتُ في هذا الكتاب، المنطوي على بدائع صنائع الكُتَّاب، المحتوي على لطائف الإيجاز والإطناب، الخَوَالي عن معايب الإخلال والإسْهَاب، المَسبُوك على قالَبِ بديع تميل إليه القلوب، المنسوج على أحسن منوال وأبهى أُسْلُوب، فوجدته بحراً زاخراً متلاطم الأمواج، ودُرًّا زاهراً سَلَبَ الشمس عن رُتبة الابتهاج، فياله من كتاب طَوى منشُور الخطباء بإيجازه، وكوى صُدُور البلغاء بمحاسن حقيقته ومجازه، حقيق لأن تسير بذكره الركبان، وخليقٌ لأن يُرسل هدية إلى فصحاء قَحْطان، إذ وقف فرسان البلاغة عن الجَرْي في مضماره، ووقف شُجعان البَرَاعة على أنه لا يُصطلى بناره، تضمَّنَ دُرَر عباراتٍ ما استُودعتْ أصْدافَ الآذانِ إلى الآن، أمثال تلك اللآلي، في الأزمنة الخوالي، وما طَلَعَ في أفْقِ سَوَادِ العَيْن مُذْ أمَدَّت بالنور مثل ذلك هلال، واحْتَوى جوهرُ ألفاظ، أخلَبَ للقلوب من غَمَزَات الألحاظ، وأسْحَر للعقول من فتراتِ مراضِ الأجْفان، مع مَعانٍ هي أحسنُ من أيَّامِ مُحْسِنِ مَعان، وأبهج من

---

(١) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ من أئمة اللغة والأدب، وكتابه اليتيمة ويسمى يتيمة الدهر هو في تراجم شعراء عصره، وقد طبع أكثر من مرة.

(٢) يعني به عماد الدين الكاتب (محمد بن محمد بن نفيس الدين) المتوفى سنة ٥٩٧ هـ مؤرخ، عالم بالأدب من أكابر الكتاب، وكتابه خريدة القصر على نمط اليتيمة إذ هو في ذكر شعراء عصره في مصر والشام والعراق. وقد طبع معظمه الآن.

نَيْل أمان، في ظِلِّ صِحَّةٍ وأمان، ولَعَمْري أن هذا الكتاب أضْحَى لما فيه من الفَضَائِل، مِصْدَاقَ قول القائل:

وخَرِيدةٍ بَرَزَتْ لنا من خِدْرِهَا ... كالبَدْرِ يَبْدُو من رَقِيق غَمَامِ
عَرَضَتْ على كلِّ الأنامِ جَمَالَها ... كَيْ تَسْتَمِيل قُلُوبَهُم بِتَمامِ
تَسْبِي من العَرَب العُقُولَ بأسْرِها ... وتُطِيرَ لُبَّ الرومِ والأعْجَامِ

فللَّهِ دَرُّ الأديب الأريب، المُتَعَاطِي لهذا الجَمْع والتَّرتيب، الآتي بهذا الإنشاد والاختراع، الذي لا يمكن الخروج من عُهْدة مَدْحِهِ وإطْرَائِهِ اللِّسانَ واليَرَاع، بَلَّغَهُ اللهُ تعالى وَطَرَه، وجَزَاه الحُسْنَى وزِيَادة بما سَطَّره، حيثُ أدْرَج فيه لَطَائِفَ تَتَجلَّى لِخُطَّابها كالعَرُوس، وأدمج نَفَائِسَ تَتَبادرُ إليها الأرْواح والنُّفُوس، وضع فيه مآدب تَغْذُو الروح، وأشار إلى نِكَاتٍ سَرِيَّةٍ كالوَرْدِ الطَرِيِّ يَفُوح، فأتى بما لم يَسْتَطِعْه الأوائل، وعَجَزَ عن الإتْيَانِ به سَحْبَانُ وَائِل، حَرَّرَهُ محمدُ عبد الحليم القاضي بالعساكر المنصورة، بولاية رُومِ إيلِّي المَعْمورة.

والقَصِيدةُ الموعُودة بها هي هذه الفَرِيدة:

في عام عَشْرٍ بعد الألف في صَفَر ... رأيتُ بالرُّومِ مَرْأى رَاقَ للنَّظَرِ
كاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ إلاَّ أنَّه فِقَرٌ ... غَيْرُ الأديب إليها غَيْرُ مُفْتَقِرِ
بياضُ طِرْسٍ جرى ذوب النُّضَار عَلَى
لُجَيْنِه بِلآل حَيَّرتْ فِكَري
مثل الغواني توشَّحتْ الصَّبَا حُلَلاً ... والخَدُّ ضَرَّجنه من وردة الخَفَرِ
تَعَلَّم السِّحْر هَارُوتاً وبَابِلَهُ ... أَلْحَاظُها ليس حُسْنُ الدَّلِ والحَوَرِ
بدائعٌ تَنْفُثُ السِّحْر الحلالَ فَمِنْ ... سُلاَفِها سَكْرَةُ الألباب والفِكَرِ

في نُطْقِها العَذْبِ من سِرِّ البلاغة ما ... قد يُخرس اللُّسْنَ من قحطانَ أو مُضَرِ
للّـهِ ما فِقَرٌ في الطِّرْسِ تَحْسَبُها ... وسْط البياضِ سوادُ العين والبَصَرِ
أو الرياضُ كَسَتْها السُّحْبُ سَارِيةً ... مطارفَ الوَشْيِ أو مَوشِيةَ الحِبَرِ
فيالها من لآلٍ كالنُّجُومِ غَدَتْ ... سَيَّارةً فيه حيثُ النَّجْمُ لم يَسِرِ
مثلُ الكواكبِ ليلاً قد طَلَعْنَ على ... نَهْرِ المَجَرَّةِ أو كالرَّوْضِ ذي الزَّهَرِ
تودُّ لو حَلَّتَا الجَوْزَاءَ من شَغَفٍ ... فيه النِطَاقُ ولو أمْسَتْ على خَطَرِ
كـأنَّ دُرَّ يواقيتِ الجِسَانِ بها ... قد رُصِّعَتْ في الحواشي موضع الفِقَرِ
أستغفرُ اللهَ لا ما عِقْدُ غانية ... يُزْهَى بها الجِيدُ مثلُ الأنْجُم الزُّهُرِ
لِمْ لاَ ومُنْشِئُه رَبُّ الفضل مَنْ خَضَعَتْ ... لَهُ بلاَغَةُ أهل البدو والحَضَرِ
العالِمُ العَامِلُ الفَرْدُ الذي جُمعَتْ ... فيـه فضَائِلُ ما جُمِّعْنَ في بَشَرِ
علاّمـةُ الرُّومِ قاضي العسكرَيْن بها ... مَنْ حُكْمُهُ في القضايا تَابِعُ القَدَرِ
عبدُ الحليم أخِي زَادَة الذي تُلِيَتْ ... فينـا مَدَائِحُـهُ كالآي والسُّوَرِ
القائِلُ الفَصْلَ لم تُخْطِئْ رَوِيَّتُهُ ... والبَاهِرُ الفَضلَ والحامِيهِ من غِيَرِ
عَزْمٌ يَقُـدُّ المَوَاضِي البيضَ مُرْهفةً ... والبيـضُ خَطِّيَّةٌ في يوم مُعْتكَرِ
من أصْبَحَـتْ للورى أعْتَابُ سُدَّتِهِ ... مَلْجَا العُفَاةِ ومَنْجَا الخائِفِ الحَذِرِ
مُحَمَّـد الإسْمِ مَيْمون النَّقِيبَةِ في ... أسِرَّةِ الوَجْـهِ منـه طلعة القَمَرِ
يلقـاك طَلْقَ المُحَيّا وهو مُبْتَسِمٌ ... بمنطـقٍ وِرْدُه أحْلى من الصَّدَرِ
مُفَوَّهٌ لو وَعَـى سَحْبَـانُ مَنْطِقَهُ ... لراح يَسْحَبُ ذَيْل العِيِّ والحَصَرِ
لـه سجايا كنَشْرِ الرَّوْضِ عَاطِرَةً ... صَفَتْ لنا منه صَفْوَ الماء من كَدَرِ
مولاي سَمْعاً لَحَاشَا أن أُضَاعَ وَلِي ... حَقُّ الجوارِ على مَا صَحَّ في الخَبَرِ
وقـد رَمَتْ بيَ مِن عَلْيَا دِمَشْقٍ إلى ... حِمَـاك سَيَّـارَة الآصَالِ والبُكَرِ

ركائبٌ ليسَ تَرْضَى بالجُذَيْل أباً ... لكنَّها من بَنَاتِ الماءِ والشَّجَرِ
من الجواري الحِسَان المُنْشآتِ بها ... وُشِّحْن كالرَّيْط مَجْدُولا من المِرَرِ
شُمُّ العَرَانِين دُهْمٌ ما بها وَضَحٌ ... إلاَّ نُجُومُ الدَّيَاجي موضع الغُرَرِ
تَجْرِي مع الرِّيحِ في طَامِي العُبَاب بِنَا ... من فَوْقِ مُصْطَحَبِ الآذِيِّ من ذَفَرِ (١)
يَنْشُرنَ فيه لطير الماءِ أَجْنِحَةً ... منها كواسِرُ طَيْر البَرِّ في حَذَرِ
لها قَوَادِمُ من أطرافها شُعَلٌ ... تَرمي غَوَارِبَ مَوْج المَاءِ بالشَّرَرِ
إذا هَوَتْ من هِضَابِ المَوْج تَحسَبُها ... كواسِرَ الفُتْخِ (٢) أو سَيْلا بِمُنْحَدِرِ
مازلتُ أقذفُ طوفان الخطوب بها ... واتَّقي حادث الأيام والضَّرَرِ
حتى استوتْ بي على جُودِيِّ جَوْفِ نَدَى ... عَبْدِ الحليمِ أَخِي زَادَه أبي الظَّفَرِ
فراحَ يَغْبِطُنِي كُلُّ الأنام عَلَى ... جَوَارِ بَحْرٍ حَبَاني منه بالدُّرَرِ
مولاي أرْجُوك والإحسانُ منك إذا ... ما شِئتَ واللهِ أدْنَاني إلى وَطَرِي
توجيهَ مدرسةٍ أُحْيِي الدروسَ بها ... بعد المماتِ فَعَنْها قَلَّ مُصْطَبَري
وتلك منك يَدٌ عندي سأشكُرها ... ما دمتُ حَيًّا إلى أن يَنْقضي عُمُرِي
فجُدْ بها عاجلاً فالدَّهْرُ في عَجَلٍ ... وفُرْصَةَ الوقتِ مثلُ الصَّارِمِ الذكرِ
خُذْها فَدَتْها نفوسُ الشِّعر قاطبةً ... فقد عَلَتْه بمدحٍ فيك مُبْتَكَرِ
طائِيَّةَ الأَصْل إلاّ أنَّها نَشَأَتْ ... بَرَبْوةِ الشَّام في رَوْضٍ على نَهَرِ
لو شَامَ بَرْق ثناياها الشريفُ سَلاَ ... عن ظَبْيَةِ البان عن ظَبْية الخَمْرِ
ودُمْ لنا رُكْن مجدٍ ما وَشَى قَلَمٌ ... رياضَ طِرْسٍ بمدح فيك كالزَّهَرِ
يَسْقي رُبوعَكَ سُحْبَ الفضلِ هاميةً ... نَوءُ السِّماك بمنهلٍّ ومُنْهَمِرِ

---

(١) الآذي: الموج الشديد، والذفر: ما اشتدت رائحته خبيثة كانت أو طيبة.

(٢) الفتخ: جمع أفتخ، والمؤنث فتخاء وهي العقاب اللينة الجناحين.

وكتب إليه وقد أبلّ من مرض في أذنه يطلب منصب التدريس

ومما كتبتُ أيضاً إليه، ضاعف الله نعمه عليه، وهو بالقضاء المَزْبُور، دام له البهجة والسَّرور، عام عشرة بعد الألف، أوائل ذي القعدة الحرام، وقد أبَلّ من مرضٍ أوجب انقطاعه عن الحركة بعض أيام، وشكاةٍ أذنٍ تَخَرّص عنها الحديثَ بعضُ اللئام، قولي:

بحمدِ اللهِ قد زال السِّقَامْ ... وجاءت صِحَّةٌ فيها دَوَامْ
تَبُثُّ بجسْمكَ المُضْنَى حياةً ... لها بدفاع آلام لِمَامِ
وما كانت شَكاةُ الأذْنِ إلاّ ... حديثا قد تَخَرَّصَهُ طِغَامِ
مَقَالَةُ زُخْرف وحديثُ زُورٍ ... تَقَوَّلَهُ حواسِدُكَ اللِّئَامْ
فصان اللهُ سَمْعَك عنه حَتّى ... مَضَى وانْجَاب عن سَمْعِ المَلاَمْ
وأرْدَف ذلك القبضَ انبساطٌ ... وعاودَ ذلك الثَّغْرَ ابتسامْ
وأشْرَق نُورُ وَجهٍ عن مُحَيّا ... يَغَارُ لحسنه بَدْرُ التَّمامْ
وإن يَكُ حَلَّ بعض الجسم ضَنْكٌ ... فلا بِدْعٌ فقد يَصْدَا الحُسَامْ
ويَعْرُو البَدْرَ في مَسْرَاهُ خَسْفٌ ... ويَعْرَى ثم يَعْقُبُه تَمَامْ
وبعدُ فأنت مَوْلَى الفَضْلِ حَقًّا ... وأنت هو المُقَدَّمُ والإمامْ
وفَضْلُكَ شاع في الأقطار حَتّى ... رَوَتْ أخبارُه سَامٌ وحَامْ
ورأيُكَ كالنجوم الزُّهْر يُهدَى ... بها السَّارِي إذا اعتكرَ الظلامْ
فما لي في جوارك ضَلَّ سَعْيِ ... ولي منك المَوَدَّةِ والذِّمَامْ
أَبِيتُ وفي الحَشَا نيرانُ وَقْدٍ ... وَدَمْعُ العَيْن في خَدِّي سِجَامْ

لمن أشكُو الزمانَ فلستُ أشكو ... فـإنّ القومَ أكثَرُهُمْ نِيـامْ
كأن مَنَاصِبَ التَّدريسِ حَلَّتْ ... لغـيري وهي لي أبـداً حَرَامْ
فَتُمْنَعُهـا الأفاضـلُ والأَهَـالي ... وتُمْنَحُهـا الأسَافِـلُ والعَوَامْ
وما بالرُّوم أشْقَى من أديبٍ ... لـه فضـلٌ رفيـعٌ لا يُرَامْ
تـلاحظُه عيونُ القوم شَزْراً ... كما نظرتْ لبازيهـا الحمامْ
ومـا أنـا مِنْهُمُ بالعيش فيهمْ ... ولكِنْ مَعْدِنُ الذَّهبِ الرِّغَامْ[1]
عسى قاضِي العساكر وهو مَوْلىً ... لَـهُ كَرَمٌ إذا نَبَـتْ الكِرامْ
وخُلْـقٌ زانَـه حُسْنُ السَّجَايَـا ... كزَهْرِ الرَّوْضِ باكرَهُ الغَمَـامْ
يَمُنُّ بمنصِـب التَّدْرِيس يومًـا ... فيَحيى منـه أعْظُمَـهُ الرِّمَامْ
وأنـتَ ملاَكُ هذا الأمْرِ حَقًّا[2] ... فـلا تَبْخَـلْ وفي يـدك الزِّمَامْ
فـلا زالـتْ مطايا العَزْم تَنْحُو ... جنابـك كَعْبَـةً فيهـا مَقَـامْ
فما لي مَنْ أُرَجِّيـهِ لِـدَرْسٍ ... سوى مَوْعُودِ لُطْفِـكَ والسَّلاَمْ

ومما اقتضته الحرفة الأدبية

ومما كتبتُ إلى جنابه الأسْمى، وبعثتُ بها إلى أعْتَابه العُلْيا، وقد اقتضتْ ذلك الحِرْفةُ الأدبيّة، ودَعَتْ إليه الصِّناعة الشِّعْرية:

قُـلْ لقَاضِي العَسَاكِرِ المَنْصُورهْ ... في جميـع المَمَالِـك المَعْمُورَه

---

(١) هذا البيت فيه تضمين لبيت المتنبي الشهير:
ومـا أنـا فيهم بالعيش فيهم ... ولكن معـدن الذهـب الرغـام
ديوانه ٨٣.

(٢) ملاك الأمر: بفتح الميم وكسرها: قوامه وخلاصته وعنصره الجوهري.

أوْحَـدِيُّ العُلوم فَيَّـاضُ جُودٍ ... في القضايـا أحكامُـهُ مَشْهُورَهْ
ذُو السجايا كالرَّوْضِ غبَّ سَمَاءٍ ... باسِمَـاتٍ أزهـارُه مَمْطُورَهْ
وأيَـاد تُرْوَى عن إبن عَطَـاءٍ ... فأحاديـثُ بِرِّهَـا مَأْثُورَهْ
رَشْحُها في الأنامِ رَشْحُ المَبَادِي ... فالبَرَايـا من بِرِّهـا مَغْمُورَهْ
يَتَفَضَّـلْ مِن ثُلْثِ مَالِ الوصايا ... لفقـيرٍ قـد ألجأتْـهُ الضَّرُورَهْ
ويبـاحُ الحَرَام في نَـصٍّ إلاّ ... ما اضْطُرِرْتُمْ إليه فاغْنَمْ أُجُورَهْ
وابْق لا تُغْبِبِ السَّحَائِب دَاراً ... بـك مولاي لم تَزَلْ مَعْمُورَهْ
في بَنِـينِ إنْ غاب في الأُفْق بَدْرٌ ... أو عَرَاه الكُسُوف كَانُوا بُـدُورَهْ

عود للكتابة إلى المفتي الأكبر في طلب التدريس

ومما كتبتُ به من القصائدِ المُلَمَّعة، والفرائدِ الحسان الممنعة، عام عشرة بعد الألف، أواخر شهر رمضان المعظم، لشيخ الإسلام المولى الأعظم، مفتي الفرق الإسلاميَّة، بدار الخلافة السنيَّة، خواجه زاده محمد أفندي بن المولى سَعد المِلّة والدِّين، أسبغ اللهُ تعالى ظلالهَ على كَافَّة المسلمين، مستميلاً فيها طبعه الشريفَ النَّفيس، في حُصُول المرام من منصب التدريس، قولي:

برأيٍ منـيرٍ كَشُهْـبٍ ثَوَاقِـبْ ... وسُمْرٍ يَرَاعٍ كبيـضٍ قَوَاضِبْ
وبالحزْمِ والعَزْمِ لا بالهُوَيْنَـى ... كما قـد رُوِينَـا تُنَـالُ المَرَاتِـبْ
ومـا نـال منهـا وكم جَدَّ فيها ... من الناسِ سَاعٍ وقد حَارَ خَائِبْ
سِوَى آل سَعْـدٍ نُجُوم الدَّراري ... بُـدُورُ الدَّيَاجِي كِرَامُ المَنَاسِبْ
فُرُوعٌ نماهـا إلى السَّعْـد مَجْـدٌ ... سَمَوْا في عُـلاَه الذُّرَا والغَوَارِبْ

ولاسيَّما شَمْسُ أفْـقِ المعـالي طرازُ الموالي سِرَاجُ المَذَاهِـبْ
إمـــامٌ تَقيٌّ نَقيٌّ تَرَاهُ لمولاه سِرًّا وجَهْراً مُرَاقِـبْ
يُرَجّي رِضَـاهُ ويَخْشَى سَطَـاهُ وفي ذَيْن للمرء حُسْن العَوَاقِـبْ
هو الباهرُ الفَضْـلِ أخْفَى سَنَاهُ شموسَ المشارق بـدورَ المَغـاربْ
هو المُشرقُ الرأي تَلْقـى لَدَيْـه عُلُومَ المَبَـادِي كأجْلَـى المَطَالِـبْ
بـه آلُ سَعْـدٍ سَمَـتْ في البرايا وبالمصطفـى الفخر في آل طَالِبْ
كريمُ السَّجايـا عظـيمُ المزايـا له العِلمُ والفضلُ خِدْنٌ وصَاحبْ
لـــه همـةٌ في سَماء المعـالي سَمَـتْ رتبةً فوق هام الكواكبْ
بها يُحْفـظُ الدِّينُ والمُلْكُ مِمّن نَوَى فيها السُّوء من كـلِّ جَانبْ
أمـا قد حَمَى المُلْك منه بسُمْر وبيـضٍ يَقُدَّان بيضَ القَوَاضِبْ
وأعـلى مَنَـار الهُدَى فاستنارتْ بـه جُنح ليل كصُدْغِ الكَوَاعِبْ
فَمَـا المجـدُ إلاَّ يَراعٌ وطِرْسٌ وشَّاهُ كوشي الرَّوْض السَّحائِـبْ
بزَهْر كزُهْر الـدَّرَارِي جَلاَهـا علينـا بأُفْقِ ظَـلاَمِ الغَيَاهِـبْ
فتـاوَى سَرَتْ تقطعُ البيد أرْضاً فأرضـاً مسير الصَّبَـا والجَنَائِـبْ
فلو أنَّ نعمانَ يَوْمـاً رآهـا فَدَاها بعين كذاك إبنُ حَاجِبْ[1]
فيـا شيخَ الاسْلاَم يا مَنْ لديه تُشَدُّ المطايا وتُنْضَى الركائـبْ

---

(١) يعني بالنعمان الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان صاحب المذهب المعروف، وبابن الحاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين بن الحاجب، وهو فقيه مالكي ومن كبار العلماء بالعربية، من كتبه الشهيرة في الفقه المختصر وقد طبع وشرح مراراً، وجامع الأمهات، وقد طبع أيضاً، هذا غير كتابيه الشهيرين في العربية وهما الكافية والشافية، وقد ولد بمصر وتوفى بها عام ٦٤٦ هـ.

انظر غاية النهاية ٥٠٨/١، وفيات الأعيان ٣١٤/١.

ويا كعبةَ الفضل مازال حَجِّي لبطحائِها فَوقٌ مَتْن النَّجائِبْ
من الشَّام تَسْري سُرَى البَدْر ليلاً تجوبُ الفَيَافي وتطوي السَّبَاسِبْ
إلى أن رَمَتْني بأعْتَاب مولىً بحارُ العطايا لديه مَذَانِبْ(١)
لقد جئتُ مولايَ أشكُوكَ دهراً رَمَاني بسَهْمٍ من البَيْن صَائِب
فسَمْعاً لعبد على باب مَوْلىً له دَمْعُ عين على الخَدِّ سَاكِبْ
رأى نَظْمَ سَلْمَان فاختارَ منه وفي النظم قَوْلٌ بحال مُنَاسِبْ
وقد قيل سَلْمَان مِنَّا لهذا أتَيْنَا به في قَواف تُناسِبْ
وما زال حَالي مع الدَّهْر هَذَا وفي كلِّ سِلْمٍ أراهُ مُحَارِبْ
إلى أن هَدَتْنِي المقاديرُ يَوْماً لأعتابِ مَوْلىً له الرَّأْيُ صَائِبْ
تَلَفَّتْ لدرويش مولاك حَقًّا أما رَعْيُ مولىً مواليه وَاجِبْ
أتى العَبْد والناسُ فيهم سرورٌ وكلٌّ له فَرْحَةٌ بالمناصِبْ
ولي حُزْنُ يعقوب في كَسْرِ بَيْتٍ هو الخِدنُ لي فيه وَهُوْ المُصَاحِبْ
فيا شَيْخ الاسلام يا مَنْ لديه تُنَال المَطالِب وتُقْضى المآرِبْ
أتَرْضى وحاشاك أن سُرَّ غيري بِعيدٍ وفيه دُمُوعِي سَوَاكِبْ
وعَبْد المَوَالي إذا كان عِيدٌ أفَاضُوا عليه سَنِيَّ المَوَاهِبْ
وهذا زَمَانٌ تَرَجَّى العَطَايا به منك فامْنُنْ أيا خيرَ وَاهِبْ
وقَلِّد رجائي حُلَى الدَّرس مَنًّا ليَبْقى لك الذكر فالكُلُّ ذاهِبْ
ودُمْ مُشْرِقَ الرأي فياضَ جُودٍ جَميلَ المواهبِ جَلِيلَ المَنَاقِبْ
مَدَى الدَّهرِ ما عَادَ عِيدٌ وعِيدٌ وما ذَرَّ شارقٌ ومالاح غَارِبْ

---

(١) المذانب جمع مذنب، وهو مسيل الماء إلى الأرض.

قصيدة للمفتي وقد برأ من الحمى

ومما كتبتُ به في التاريخ المزبُور لجنابه، وقد أبلَّ من عارضِ الحُمّى، وأنشدتُها في مجلسه الرفيع العالي، وناديه المنيع المحفوف بالمعالي، بحضور بعض الموالي، قولي:

دعوتُ تَضَرُّعـاً ومَعِي الأَنَـامْ ... وأمَّنَـتِ الملائكـةُ الكِرَامْ
وسُكَّـان الأثـيرِ وهُمْ ذَوَاتٌ ... مُقَدَّسَةٌ وأرواحٌ كِرَامْ
ونجمُ الأُفْقِ والشُّهبُ الدَّرارِي ... لهـا شُعَلٌ إذا اعتكر الظَّلاَمْ
ومَنْ في الأرض حتى كاد تَدْعُو ... مَعِي الأحْجَارُ والبيتُ الحَرَامْ
ومَكَّةُ والحَجُونُ وهضب رضوى ... كـذا الرُّكْنُ المُعَظَّمُ والمُقَـامْ
ونُعْمانُ الأرَاكِ ورُكْنُ سَلْمـى ... كـذا أَجَـا سَقَـى أَجأً غَمَامْ
ورَنْـدُ مَتَالِـع وذُرَى أبـانٍ ... وسَفْحُ ثَبير فيـهِ زَكيُّ البَشَامْ
وأضْوَاحُ الأجَـارِعِ من أَلاَلٍ ... وخيـفِ مِنىً وهاتيـك الرِّجَامْ
وأحْنَـاءُ الثَّنِيَّـةِ من كَـدَاءٍ ... وأعـلامُ المُحَصَّـبِ والآكَـامْ
إلـهُ العَرْشِ سَامِعُ مَنْ دَعَاهُ ... ونَاجَـاه وقـد هَجَـعَ النِّيَـامْ
إزالـةُ عـارضٍ عن ذاتِ مَوْلىً ... بحُمَّـى جِسْمِـه حُمَّ الأنـامْ
ومـا زارتْـه حُمَّى اليوم قَصْداً ... لتُؤْلِمـه كما زَعَم اللِّئَـامْ
ولكن كي تُريـكَ عَـدُوَّ قَوْمٍ ... يُريـكَ صَداقـةً وهوِ الحِمَـامْ
عَرَتْـه فاعْتَرى الإسْلاَم وَهْنٌ ... وحاشاه وقـد يَصْـدَا الحُسَامْ
ويَعْرُو البَـدْرَ في مَسْرَاهُ خَسْفٌ ... ويَعْرَى ثم يَعْقُبُـه التَّمَـامْ
فحمـداً ثم حَمْـداً ثم حَمْـداً ... عـلى نِعَم دقائقهـا جِسَامْ

إعـــادةُ صِحَّـــةٍ وَزَوال سُقمٍ وَعَوْدُ نَقَاهـــــة فيهـــا دَوَامْ
فسَمْعـــاً أيُّهـــا المَوْلَـى لِعَبْـدٍ لـــه في بـاب كعبتـكم مَقَـامْ
لشكرانِ السَّلاَمـــة إنْ يَرُمْـــهُ فقـيرُ زكـاةِ جَاهـك لا يُلاَمْ
فكيـف بَمَنْ لـه في آلِ سَعْـدٍ شُمُوسِ العصر إلٌّ[1] أو ذِمَـامْ
فمُنَّ بمنصِب التَّدْريسِ يَا مَنْ يُبَـارى جُودَ راحتـه الغَمَـامْ
عـلى درويشِ بَابـك دَامَ مَلْجَا بـــه للـــدِّين عزٌّ واحْتِشَامْ
وأنـتَ مَـلاَكُ هـذا الأمْر حَقًّا فـلا تَبْخَـل وفي يـدِك الزِّمَـامْ
وطَوِّقْ جيـــد آمـــالي بأيْـــدٍ هي الأطْواقُ والنَّـاسُ الحَمَـامْ
فمالي شافـــعٌ فـــيما أُرَجِّي سِوى إنجـازِ وَعْـدِكَ والسَّلاَمْ

وإشادة به حينما فَرّق شغباً

ومما كتبتُ به أيضاً لذلك المقام، لا برحتْ أعتابه ملاذ الأنام، في التاريخ المزبور، وقد تحرك من طائفة الجند جمهور، فأسرفوا في التعدِّي، والوزير يومئذ لا يُعيد ولا يُبدي، فجمع عليهم العُلماء فتفرقوا لذلك الجمع أيادي سَبَا، وخرجوا من دار السَّلْطنة وجواد عَزْمهم قد كَبَا، فقلتُ مشيراً لتفريق جَمْعهم وتمزيق شملهم مخاطباً إياه، دَام عُلاَه، قولي:

يراعُك أمْضَى من شِفَارِ الصَّوَارِم ورأيُك أجْلَى من بُرُوق البَوَاسِمِ
وأنـت الإمامُ الحَقُّ والقائمُ الّذي يُرَجّى لدفـع الظُّلْم من كُلِّ ظَالِم

---

(١) الإل: العهد أو الحرمة.

مَضاءٌ يَقُدُّ المُرْهَفَات وعَزْمَةٌ ... لها في ضِرَامِ الخَطْبِ فِعْل الضَّراغِمِ
حميتَ بها الإسلامَ والمُلْكَ فاغْتَدَى ... وكلٌّ رفيعُ القدر عَالِي الدَّعائِمِ
ومن دُون مَرْماهُ ضَرَبتَ سُرَادِقاً ... مُخَيَّمُهُ فوق السُّهَا والنَّعَائِمِ
وقُمْت لدين الله بالحَقِّ نَاصِراً ... وقد كَثُرَتْ في الخَلْق طُرْقَ المظالِمِ
وكنتَ له سَدًّا ليأجوج فِتْنَةً ... تَراءَتْ لنا كالعَارضِ المتراكِمِ
ثنيتَ لها عِطْف اليَرَاعة فانثنتْ ... ووَلَّتْ على أدْبارها فِعْل وَاجِمِ
وكانت لَعَمْري مثل طامٍ عُبَابُه ... يكظُّ[1] على تياره المتلاَطِمِ
وشَتَّتَ شَمْلَ المُلْحدين فَفُرِّقَتْ ... جُمُوعُهم أيدي سَبا في العَوالِمِ
ولما رَأوا ألاّ نَجَاة ولاَ وَقَى ... ولا وَزَرٌ يوم الفرار بعَاصِمِ
أنَابُوا فكانت توبة قبل أخْذِهِمْ ... وكنتَ لهم بالعفو أعْدَلَ حاكِمِ
وصُنْتَ حمى مُلْكِ الخليفة شاهراً ... ظُبَاة سُيُوف اللهِ من كُلِّ عَالِمِ
فقيهٌ له طبع الأديب لَطَافَةً ... وفي اللهِ لم تَأخُذْه لومةَ لاَئِمِ
إذا قال لم يترك مقالاً لقائل ... وإن صَال لم يَتْرك مجالاً لحَائِمِ
فقرَّتْ به عَيْن الخليفةِ مثل ما ... به سَخُنَتْ عينُ العَدُوِّ المُخَاصِمِ[2]
وكنتَ وكانوا هَالَةً أنت بَدْرُها ... أَضَاءَ سَنَاهُ في العُلاَ والمكارمِ
فبالله بالسَّعْد الذي بضريحِهِ ... نُغَاثُ ونُسْقَى لا بغُرِّ الغَمَائِمِ[3]
سَقاه إلهُ العَرْشِ صَيِّبَ عَفْوه ... وغُفْرانُه ما بين هَامٍ وسَاجِمِ
وأسكنه الفِرْدَوْسَ دَارَ مُقَامة ... مع الملأ الأعلى جوار الأكَارِمِ

---

(١) يكظ: يملؤه حتى يضيق به.

(٢) سخنت به: حزنت وغضبت، وسخنة العين ضد قرتها.

(٣) يعني بالسعد الشيخ سعد الدين بن حسن جان التبريزي شيخ الإسلام ومفتي التخت السلطاني، وكان من أعلام الرجال في الدولة، وهو والد الممدوح.

تَعَطَّفْ على درويش عبدك راحماً بمنصِب دَرْس العلم يا خَيْر رَاحِمِ
فما اجتابَ قُطْرَ الرُّوم إلَّا لنَشْرِه مَدِيحك فيها مِثْلَ نَشْر اللَّطائِمِ
بسَيَّارةٍ مثلَ النُّجوم طَوَالع قوافٍ لَعَمْري أفحمتْ كُلَّ ناظِمِ
تَسَاقطَ في الأسماع لُؤْلؤ لفظها تَسَاقُطَ طَلٍّ فوق زَهْر الكمائِمِ
فَدُونَك من وَصّافِ مَدْحِك ما أتى به عن إمام الوقت لا وهْمَ واهِمِ
وقَرَّ بها عَيْناً وطبْ فيه مُهْجَةً فقد عُقد الإجماع من كُلِّ عَالِمِ
بأنك من يأتي على الألْف قائماً يُجَدِّدُ هذا الدِّينَ يا خَيْر قائِمِ
بقيتَ لهذا المُلْكِ تحمي ذِمَارَهُ بسَم يراع الخَطِّ لا بالصَّوارِمِ
جَنَابُك مَحْرُوسٌ وبابك كعبةٌ لبطحائها حَجِّي وفيها مَوَاسِمِي

وقصيدة إليه في شرح حال المدارس ومدرسيها

ومما كتبتُ به أيضاً أواخر جمادى الآخرة عام عشرة بعد الألف لأفضل العلماء العظام، وأسعد الفضلاء الفخام، ابن المولى سعد الملة والدين، أعلى الله تعالى درجاته في عِلِّيِّين، وهو قاضي العساكر المنصورة، بولاية أَنَاضُولي المعمورة، مشيراً فيها لسِلْسلة في المَدَارِس حصلت، ولم يكن في أفْرادها ذو فضلٍ عليه اشْتَمَلَت، قولي:

حِمَاك يا كَعْبَة الآمَالِ لِي حَرَمٌ ورُكْنُه كَحِطيم الرُّكْن مُلْتَزَمُ
وفي ذُرَاه مَقَامٌ كالمقام غَدَتْ بحُجْرتيه وُفُود النَّاسِ تَزْدَحِمُ
كأنَّ ساحتَها البَطْحاءُ حَلَّ بها وقد أناخ ووفْدٌ راح يَسْتَلِمُ
هي المُنَى لذوي الحاجاتِ تَحملُها إلى مواقِفِه الوَخَّادَةُ الرُّسُمُ
بها تُقَسَّم أرزاقُ العِبَاد فما أرَى بها غيرَ مَرْزُوق لَهُ قَسَمُ

وليس يُحْرم منها غير ذِي أدَبٍ ... ومن له قَدَمٌ في الفَضْل بل قدمُ
سَحابُ فضلٍ سَقَى الأقْوَامَ بَارِقُهُ ... وبات منه الحَشَا والقَلْب مُضْطَرِمُ
عجبتُ كيف تخطَّاني أيَحْسَبُني ... تَجاهُلاً انَّني بالفضلِ أُتَّهَمُ
مالي أرى مَنْصِبَ التدريس يُمْنَحُه ... غَيْري وأُمْنَعُه هل حَلَّ ذا لَهُمُ
إن كان من شَرْطه جَهْلٌ وكَوْذَنَةٌ[1] ... فإنني فيهما العَلَّامَةُ العَلَمُ
إذنْ فتقديم غيري كالمُحرّم لاَ ... يَجُوزُ قطعاً لما قَالُوه والتَزَمُوا
وإن يكنْ غير هذا فالمَعَادُ غَدَاً ... بين العِبَاد وعند الله يَخْتَصِمُ
والحمد لله لا بؤسٌ ولا نِعَمٌ ... تَدُوم ما دامتْ الأيَّام تَنْصرمُ
لكنّ لي حُسْن ظَنٍّ كاليقين سَمَا ... بأسْعَد الفُضَلا مَنْ شَأنُهُ الكَرَمُ
قاضي العساكر فَيَّاضُ الأكفّ نَدىً ... عَلَّامة العَصْر من تسْمُو به الهِمَمُ
فَخْر الزَّمَان إمامُ العِلْمِ من سَعِدَتْ ... به الفضائلُ والآدابُ والحِكَمُ
زاهِي الجبين إذا ما جئتَ تسْأَلُهُ ... يَلْقاك طَلْقَ المُحَيّا وهو مُبْتَسِمُ
بمنطق لوْ وَعَى قُسٌّ فصاحته ... عَرَاه وسْط عُكَاظٍ خَاطِباً بَكَمُ
مَوْلاي عَطْفاً على عَبْدٍ سَما بكم ... بَيْن الأنامِ وكُلُّ الناس قد عَلِمُوا
وكيف يخفى ولاءُ الطَّالَوِيّ لكم ... والعُرْبُ تعرف منه ذاك والعَجَمُ
من عهد سَعْد البَرايا جادَ مَرْقَدُه ... سَحابُ عَفْو غَفُوق البَرْقِ مُنْسَجِمُ[2]
حتى يُرَى رَوْضة غَنَّاء يَنْبتُ في ... أرْجَائها الوَرْدُ والجَوْذَانُ طِلَّسَمُ
هذا ونسبَتُه للقوم مُلْحقةٌ ... لَهُ بِهِمْ وهُمْ في المكْرُمَاتِ هُمُ
وشَاهِدِي قَوْلُ خَيْر الخلق سَيِّدنا ... سَلْمَانُ مِنَّا ومنه سَادَتِ الخَدَمُ

---

(١) الكوذنة: طول الجسم وضخامته.

(٢) الغفوق: الذي يهجم فجأة مرة بعد أخرى.

فكيف من قد غدا حسّانُ مَدْحكُمُ ... يا آلَ سَعْد وفيكم قد سَرَى الكَرَمُ
لِي فيكُمُ كَدَرَارِي الأُفق سَارِيَةً ... هي اللآلِئُ إلا أنَّهـا كَلِمُ
سارتْ مَسِيرَ الصَّبَا في الخافقين فقد ... أسْمَعْت في كلِّ حَيٍّ من به صَمَمُ
من كلِّ شامخةِ العِرْنين تَحْسَبُها ... في الشِّعْر لَيْثاً لَهُ من نَفْسِهِ أجَمُ[1]
أو غادةً حُسْنُها قَيْدُ النَّواظر في الـ ... ألْحَاظِ سُقْمٌ وفي عِرْنِينها شَمَمُ
تَبْقَى على صَفَحاتِ الدَّهْر خَالِدَةً ... كَالأنْجُم عِقْداً ليس يَنْفَصِمُ
أبْقَاكَ رَبُّ العُلا حَلَّالَ مشكلةٍ ... كَشَّافُ مُعْضِلَةٍ في وَجْهها غَمَمُ
سامِي الجنابِ رفيعُ القَدْرِ تَخْدُمُهُ ... كواكبُ السَّعْدِ والأنوار والظُّلَمُ

قصيدة بالفارسية في مدحه[2]

وكتبت بعيد ذلك لجنابه الرفيع، وبابه السامي المنيع، بهذه القصيدة الغراء الملمعة، والخريدة العذراء الممنعة، سيما في مثل هذه القوافي والروي المعجز كل شاعر، ولو أنه الوأواء الدمشقي[3]:

أي براه خدايكان خوش رو ... وي بفضل وكمال جون خسرو[5]

---

(١) الأجم: الشجر الكثيف الملتف، وما يتخذه الأسد عريناً له منه.
(٢) ترجم لنا هذه القصيدة وكل ما جاء بالفارسية بعدها، الأستاذ محمد عمر فائق الذي يعد رسالة للدكتوراه في كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر.
(٣) هو محمد بن أحمد الغساني الدمشقي، أبو الفرج، المعروف بالوأواء، شاعر مطبوع، حلو الألفاظ، في معانيه رقة، وله ديوان شعر مطبوع، توفي نحو سنة ٣٨٥ هـ.
انظر يتيمة الدهر ١/ ٢٠٥.

بيشواي همـــه أفاضـــل روم فخرهم در علوم أو بـيرو[1]
يعـــــني قاضِي عساكر إسلام مقتـدَى أنـامَ ركن الـدَّو لـه
مَفْخَرُ سعـــدِ أسعـــدُ فُضَـــلاَ يـــا وَقَى اللهُ ذَاتَـــهُ من سَوْ
إن خديوي كـه نور عقل نخست بيئ رايسن جو لمعه اندرضو[2]
وانجـه درلوح بستـه كلك قضا همه درخاطـرش جوابجدوهوزو[3]
وان حكيمي كه حكمت الاشراف أز فروغ ضيـاش يـك برتو[4]
انكـه درجنـت خرمن كرمش خر من ماكهكشار يـك جو[5]
أفضـلُ خَانْـدَان سَعْدُ الـدين وارثُ كَشْف سِرّ صَاحِـبْ لَوْ
جـــادَ مثواه صوبُ ساريـــةٍ كَرْكَرَتْهـا الصَّبـا بأعـلى الجو
فَهَمَـــتْ تَرَّةً عـــلى جَـدَثٍ فيـــه سارٍ سقـــى ثَرَاه النّو
أي سبهر عطـــا كرم فرمـــا قصـه ما حراي من بشنو[6]
جوز جنـــب مشام يعـــني شام كرده ام قصـد روم باتك وبو[7]
أزميـان همـه رفيـق وطريـق اسبكى داشتم بـى خوش رو[8]

---

(١) أيها الإنسان الذي ينهج سوياً، وفضلك وكمالك بفوق خصال الملوك.
(٢) والرائد لكل فضلاء الروم، وفخرهم في العلوم والسلوك والأخلاق الفاضلة.
(٣) ذلك الملك الذي يكون العقل الأول، تجاه عقله مثل الشمس أمام نور.
(٤) ما سجلته في اللوح يد القضاء جميعه مسجل على خاطره وذهنه.
(٥) هو ذلك الحكيم الذي تعد حكمة الإشراق بريقاً من ضوء نوره الفياض.
(٦) وذلك الذي كرم المجرة إلى جنب كرمه لا يعد شيئاً.
(٧) أيها الكريم العالي اسمح لي، لكي أقص ما حدث لي لكي تسمع.
(٨) من جنة الدنيا (أعني الشام) قصدت السفر إلى الروم مسرعاً.
(٩) ومن بين جميع الأصحاب والطريق كنت أملك حصاناً جيلاً جداً.

اسمان جنس وسيـــاده روش جو جوان عرب أصيل وبدو[١]
همجو بـاد صباكـه رفتـار خوش‌رو وخوش‌خرام وزم‌جلو[٢]
درجنبيء ضيا جو بدر منير أشهب صبح أزوستاند ضو[٣]
أشك داس هـلال همـه لس غـيرت توسن سهـبر بـدو[٤]
لو يجاري الرياح لانتبذت عنـه حسرى سواقـط بالـدو
أينجذين أسب كي روابا شد همجو كلكت شود زحسرت جو[٥]
لا غرو زرد دوميـان باريك قـد خميـده بزدر جومـه نو[٦]
نـه درم دارم ازبراي جوش نـه متاعى كه تادهم بگيرو[٧]
جزا ميـدولاي ولا قـدر[٨] أسعـد العصر ملجـأٌ من جَوْر
جَوْرُ دَهرٍ لم يُبْـقِ لي نسبـاً غـيرَ شِعْرٍ لو كـان يَنْفَـقُ لَوْ
لنظمـــــتُ النجومَ زاهرةً فيـه عِقداً على نطاقِ الجَوْ زاء
بقوافٍ كالزُّهْز مُخْجِلَـــــةٍ في سَماءِ القريـض شُهبـاً لجَوْ
لو تراءتْ لمُسْلِمٍ[٩] لَسَلَا عن غوانيـه مُخْجِـلاَت الجَوْر
أو رأى حُسْنَهَا الوليدُ رَمَى[١٠] حُسْنَ ديبـــاجِ شِعْره بالسُّوْ

---

(١) وكان لونه أزرق في لون السماء، وكان سريعاً مثل شاب عربي بدوي أصيل.
(٢) وكان في سرعته مثل ريح الصباح، وكان سيره مريحاً ومرضياً وسهل القياد.
(٣) وفي جوانبه الضياء ينبعث مثل البدر المنير، وشفق الفجر يستمد منه النور.
(٤) ولكن الذي في عينه الدموع يشبه الهلال بالمنجل.
(٥) ومثل هذا الحصان لا يجوز أن يتعذب وتنهك قواه فعليك أن تهتم به اهتماماً كبيراً.
(٦) هزيل وأصفر الوجه، ورقيق الوسط، وقصير القامة، ولكنه مع ذلك يتلألأ مثل القمر.
(٧) لا أمتلك درهماً لأشتري له شعيراً، وليس لي متاع لأرهنه من أجل شراء الشعير له.
(٨) والرجاء كل الرجاء معقود إليك يا سيدي.
(٩) هو مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني الشاعر العباسي المعروف.
(١٠) يعني به الوليد بن عبادة الطائي المعروف بالبحتري وهو أشهر من أن يعرف به.

داورا سيـــدا خـــدا ونـــدا أزبراي خـــدا نعـــيم شو[١]
آتـن فقر بافلاكـــت عن لم زده برجـــانم آتشين علو[٢]
درزمـــان عوالـــت توكـــه ديـد أي بعدلـت جهان يان بيرو[٣]
اسبـى تازى زو درس جو محروم كلـه خـير بدرس شكر كو[٤]
أي جوان بخت بردرت بيري الفاتـــت أزو دريـــغ شـو[٥]
يـــا ردوسال مـــدت عـزلش واي برعم كشتـه بـاين طو[٦]
فرصـت وقـت راغنيمـة دان إنمـــا العمر بعـض يوم أو[٧]
وهو عصر الصبـا سقـى غدقـا عهـــده الطرف لا أريـد النو
جون وليـل شباب صبح مشيب بدورمـــان زنـدان وبشرتو[٨]
جوشه شوى داس أجـــــل متعطف ميشو دكه وقت درو[٩]
تاجهـــان وجهـــان هستنـــد تاد رافواه هـت گفت رشنو[١٠]
بـــاد درسايـــه توفضـــل ومن جوجهـان زبرسايـه خسرو[١١]

---

(١) أيها العادل أيها السيد أيها المدبر، أسبغ علي فضائلك على الدوام.
(٢) نار الفقر أنهكتني، وأحرقت جسدي.
(٣) وعم عدلك جميع أرجاء العالم، ذلك العدل الذي لم تر الدنيا نظيره.
(٤) الحصان قفز وحرم نفسه من الشعير، وقطيع الحمر انتفع وأظهر الشكر.
(٥) أيها الشاب جاء إليك شيخ عجوز عليك أن تلبي حاجته.
(٦) وانعزل الصديق مدة عشر سنين، وانقضي عمره بهذا الشكل بعيداً مني.
(٧) وعليك أن تنتهز فرصة العمر...
(٨) إن الشباب بحيويته وإن الشيخ بعجزه وضعفه أمام قدر الله سيان.
(٩) لأنه إذا اقترب الأجل لا يمكن أن يهرب منه أي فرد.
(١٠) إلى أن يدوم العالم ويبقى الناس، وإلى أن تتفوه الألسنة.
(١١) يتمتع العالم بفضلك ويستظل بظلك.

وكتب يتشفع ببعض الوزراء

ولما كثُر من الجناب المولى شيخ الإسلام، محمد أفندي نجل المولى سعد الأنام، وعن الكريم بمنصب الدرَّس والطّالع لا يَسْمَح بالوفَا، والأيَّامُ لا تَزدَاد إلَّا قسوة وجَفَا، أشار عَلَيَّ بعض الكُبَرا، أن أتَشَفَّعَ عنده ببعض الوُزَرَا، ممن يُظَنّ أنه مُطاع، لما بينهما من أُلْفَةِ الاجْتِماع، فكتبتُ إليه بهذه القصيدة المُلَمَّعة، والأبيات المُتَمَنِّعَة، وهي قولي:

بُشْرَاك ثَغر العُـــلاَ تَبَسَّمْ ... وعَرْفُ رَوْض المُنَـــى تَنَسَّمْ
ورَقَّ وَجْـهُ الزمـانِ حُسْنـاً ... ونورُه اجتـاب ظُلْمَـة الهَمّ
وراق في الجِيـد مِنـه عِقْـدٌ ... جَوهره الفَرْدُ لم يُقَسَّمْ
وطائر السَّعْـد فوق بـانٍ ... بصوتِ ألْحَانِـه تَرَنَّمْ
جَاوَبَتْـه الوُرْق في غُصُونٍ ... بَاتَـتْ بنوء السِّمَـاك تُرْهِمْ
من كُـلِّ خطْبَـاءَ قد كساها ... دعاء نُوح لمـا طَغَـى اليَمّ
طوقـاً يَغَـارُ النُّضَـارُ منـه ... فوق بيـاض اللُّجـين أسْحَمْ
يُريـك قَوْسَ السماء فيـه ... إذ صاغَـهُ قَـادِرٌ وأحْكَمْ
فيهنّ ورقـاءُ ذاتُ شجْوٍ ... تجعـلُ قَلْـبَ الخَلِيّ مُغْرَمْ
في لَحظِهـا والجُفُون سَقْـط ... رَمَتْـه بـين الحَشا وأضْرَمْ
غَنّـت عـلى عُودِهـا بلَحْن ... منـه الغِنَـا مَعْبَـدٌ تَعَلَّمْ
طَارَحَهـا الشَّجْو عَنْدَلِيـبٌ ... في عَسْجَـدِيِّ الطِّرازِ مُعْلَمْ
كَسَتْـه كَفَّـا الريـاض وَشْيـاً ... حاكـى بـه وَشْيُهـا المَنَمْنَمْ
قـام خطيبـاً عـلى أرَاكٍ ... في مِنْبَر الـدَّوْح إذْ تَكَلَّمْ
بحُسْن سَجْـعٍ كَـدُرِّ عِقْـدٍ ... في جيـد حَسْنَـاءَ قـد تَنَظَّمْ

كأنَّـــــه وهو ذُو بَهَـــــاءٍ مَـــدْح وزير خَـلاَ عن الـذَّمْ
إن نور جشم شير ولايـــت[1] عـــلى أمـــير بطحـــاء وزمزم
حسن خصـــال در يـا نوالى[2] وكن معـــالي صـــدر مكرمْ
دستور منظور شهريـــــاري بنـــاه ملـــت نظـــام عـــالمْ[3]
نصير ملك وظهير ملكت[4] بـــــه أمور البـــلاد تنظمْ
وزير كشور كشـاكـه عـــالم از عـدل ودادش بهشتي خرم[5]
غوث البرايـا غيـث الرعايـا ليـث السرايـا والحرب تضرمْ
روش ضميري كتاب خورشيد درجنب رايش يك براتوكم[6]
صـافي السـجايا وافي المزايـا ضـــافي العطايـــا لمن لـــه أمْ
بحر عطايش كرموج خـــيزو غرق آب ميكر دصد كونه جانم[7]
استغفر الله صـــد بحر قلزم نسبت بجودش يك قطره يم[8]
أي شهسواري كـــه ش جرخ درزير يايـت أسبـي معـلم[9]
وزمهر وماهش ركـــاب زرين وز عقد بروين بوكر دنش خم[10]

---

(١) هو ضياء البصر وباسل شجاع...
(٢) خصاله ممتازة لا تضاهيها خصال أخرى...
(٣) أمره مطاع ونافذ، ملجأ الأمة ومرجع العالم.
(٤) نصير الملك وظهير الشعب...
(٥) الوزير المنتصر الذي ينتفع العالم بعدله، ويصير بفضله جنة.
(٦) هو صاحب الضمير الوضاء الذي تخجل الشمس بجانبه لشدة نوره.
(٧) إذا فاض عطاء من بحر جوده، اختفى مائة حاتم إزاء هذا الجود والكرم
(٨) أستغفر الله بل مائة بحر قلزم بجانب جوده تعد قطرة ماء.
(٩) أيها الملك الذي سخر الفلك له، وعلمت الأفلاك السلوك العادل كالحصان المدرب.
(١٠) وزينت الركاب منه بلون ذهبي، وزين اللجام بعقد اللؤلؤ.

ستارهـــا فلـــك بيـــاده در خدمت جون قضاي مبرم[١]
أي باركـــاه جـلال وقـدرش براوج أفـــلاك زده مخـــيم[٢]
درازميانـــــه جون شاه أنجم برجـار طارم بيش جون جم[٣]
بر راي عـــالي خفني ثمانـد جون خاص شاهان شوند ملهم[٤]
أربـاب عرفان از عزل كريان وز نصب ذونان شادان خرم[٥]
واين طرفـه حـال جشم زمانه هركز نديـــده فـيما تقـدم[٦]
حجلـة أفاضل أز درس محروم جملـة أراذل بـادرس محرم[٧]
اين فرقـة تاكي معزول مانـد درويش شامي دركوشه غم[٨]
أو عندليـب بـاغ كي يعـني نغمـة سراي مـدح توهردم[٩]
نـه سال وشش ماه جند وايام أزمان عزلـش أي صدر اكرم[١٠]
فاشفـع لـــه عاجـلاً بـدرس من لطـف مفـتي الأنـام واسلمْ
ودم نظامـــاً للملـــك حـتى عقـد الثريـا في الأفـق يفصمْ
في عصـير ملـك الملوك أعـني محمـــــد الفاتـــــح المعظمْ

---

(١) كواكب الفلك تمشي في خدمتك، بقضاء مبرم أو حاسم.
(٢) وعظم قدره وجلاله، وخيم على الأفلاك.
(٣) وفي وسط تلك الكواكب جلست، مثل ملك النجم وهي تغرك وتجلك على الدوام.
(٤) وهو لا يخفى عليه أي شيء، لأنه ملهم وذو بصيرة نفاذة.
(٥) أرباب المعرفة مقربون إليه، لأنهم يجدون عنده ما يرفع شأنهم.
(٦) ولم تر عين الزمان مثله فيما تقدم من العصور.
(٧) كل أفاضل العلماء محرومون من وظيفة الدروس، وجميع الأراذل يقتربون من مكانها.
(٨) ومن هنا ينعزل الفقير الشامي مهموماً في زاوية من الزوايا.
(٩) والبلبل في الحديقة يصدح يذكرني صادحاً لك كل لحظة.
(١٠) وأنا من عشرة سنين أعاني من العزل أيها الصدر المكرم.

من آل عـــثمان من تـــلاه نصر من الله حيـــــث يمْ
تاطـــاق كردون بود مقرنس تاعقـــد بروين باشد منظمْ [1]
در ظـل عدلـت آسوده بـادا أربـــاب دانش والله أعـلم [2]

كتبتُ للجناب المولويِّ عَلَّامة الزمان، فَهّامة العصر والأوان، صَدْر عُلماء الروم علماً وحلماً، وبدر سمائهم نعمى، صاحبُ الكَرَم العميم، والفضلُ الجسيم، قاضي العساكر المولى عبد الحليم، الشهير نسبه الخطير بأخي زاده، أجْزل اللهُ من التُّقى والعلم زَادَه، وقد انفصل عن قضاء روم ايلِي، وأنشدتُها له في مجلسه العَلِي، قولي:

الغَيْر يرفعُ من عُـلاه المنصبُ وسواك يرفعـه الزمان وينْصِبُ
ولغـير مجدك في الحوادث رَوْعَةٌ ممـــا عرا وتَزَلْزُلٌ وتَغَلُّـــبُ
ولغـير قَدْرِك خَافِضٌ وسواك مَنْ يجنـي عليـه الدهرُ فيما يَجْلبُ
إذ كنـتَ للإسلام طوداً ربـده أمنٌ لنـا مما نَخـافُ ونَرْهَـبُ
فَحِمَـاكَ من غِيَرِ الليالي مَعْقِلٌ وإليـه من نُوَبِ الزَّمَانِ المَهْرَبُ
مولاي أنـت المُجْتَـبى من فِتْيَةٍ مـــا فِيهمُ واللهِ إلاّ مُنْجِـــبُ
بيـتٌ سُرَادق مَجْده فوق السُّهَا وقبابُـه حيـث المَجَرَّة تُضْرَبُ
ولأنـــت أفضـــلُ عَالِمٍ آرَاؤُه كالشُّهْـــب إلَّا أنهـــا لا تَغْرُبُ
بـك أشرقتْ شمسُ المعالي وانجلى عن وجهها من نُورِ رأيك غَيْهَبُ
لـك هضبةُ العِلْم التي لو زَاحَمَتْ أركـانَ رَضْوَى زال منه المنكَبُ
ولـك الشواردُ في البـلاد بمثلها مَوْلاي يعتـذرُ الزَّمـان المُذْنِـبُ

---

(١) وصل أثر عدلك إلى آفاق الأفلاك، حتى انتفعت به الكواكب في السماء.
(٢) وفي ظل عدلك يعيش ذوو العلم مرتاحين والله أعلم.

فِقَرٌ فَقِيرُ كُلِّ رَبٍّ بَلاَغَةٍ ... يوماً لها لَو أنّ ذلك يُعْرِبُ
لو مازجتْ خُلْق الزمان الصَّعْبَ لم ... يَحْنِفْ عَلَيَّ ولان منه الأَصْعَبُ
فُقْتَ الأُلَى فبلغت غايات العُلاَ ... وتركتَ غيرك في الحضيض يُؤَنَّبُ
لو أدرك النعمان عَصْرك أو رَأى ... أحكامَ فَضْلِك والقضايا مُصعَبُ
وبلغتَ في عِلم الشرائع رتبةً ... ما زال كلٌّ دونها يَتَذَبْذَبُ
لأقام عُذْر الصَّاحِبَيْن لديك فِي ... مَا أصَّلاَهُ وقال هذا المَذْهَبُ
أو لو رآك الفَخْرُ في أيَّامه ... وهو الإمام أفَدْتَهُ ما يَطْلُبُ
أسَرَتْ لك الأفواهَ أخلاقٌ زكتْ ... نطقتْ بمدحك والجميلُ مَحَبَّبُ
لما سلكْتَ بهم طريقاً لم يكُنْ ... لسوَاك من طُرُق المَكارم تُنْسَبُ
تُعطي ولا منٌّ كأنك آخِذٌ ... وتجودُ معتذراً كأنكِ مُذْنبُ
مولاي إنِّي في ولائك صَادِقٌ ... واللهُ يَشْهَدُ أنَّني لا أكذبُ
فاسْمَع مقالاً صادقاً من صَادِقٍ ... والحَقُّ لا يُقْلَى ولا يُتَجَنَّبُ
ما كان مَنصِبُك الذي بك فخرهُ ... يَهْوَى مفارقةَ الحَيَاةِ ويَحْسَبُ
لكنّه لما تَوَهّم أنَّ في ... جسم العُلَا من حَمْله ما يُنْصِبُ
ألْقَى على جَسَد شَواشِر ثُقْلِهِ ... ليخفَّ عن مَولاه يوماً مِنكَبُ
ويعود مَسْروراً إلى أعْتابِهِ ... مأوى العُفَاةِ سَقَى ثراها الصَّيِّبُ
إيهٍ فدتْكَ نفوسُ قومٍ بَرْقُهُمْ ... في المكرُمَاتِ وفي المَعَالي خُلَّبُ
ظنّوا عُلَاك بمنصب فتشبَّهُوا ... هَيْهات يُخْلِفُ عن ذُكاءٍ كوكبُ
أو تُخْلِفُ الظلماتُ أنوارَ الهُدى ... أو يَستوي ليلٌ وصُبْحٌ أشهبُ
أو يستوي البحران هذا مَاؤُهُ ... مِلْحٌ وذا عَذْبٌ فُراتٌ طَيِّبُ
لو كان باستحقاقِ ذاتِ مَنْصِبٌ ... ما فات قَدْرُكَ في البَرِّيَّةِ مَنْصِبُ

لكنهـا الأقـدارُ تجري هكـذا طَوْراً تُجيـبُ وتـارةً تتجَنّـبُ
مولاي إني في المعـالي رَاغِـبٌ شَغَفاً ومثلي في المعالي يَرْغَبُ
وهي المدائحُ فيك فلينطقْ بها عَنّي الرُّواةُ مُشَرِّقٌ ومُغَرِّبُ
أنـا في مديحـك سَيِّدي حَسَّانُهُ فاعطف على حَسَّانِ مَدْحك يَنْجُبُ
لا زالـت الأقدار وهي جليلةٌ تجري بمـا تختـارُ أو تتحبَّـبُ
في أنْعُمٍ دوريَّـةٍ لا تَنْقضي فيهـا عـلى طَول المدى تَتَقَلَّبُ
وبنوك أقمارُ المنـازل والـذي يحويـه مجلسُك الفَسِيحُ الأرْحَبُ
مـا إنْ رَقَتْ خَطْبَاءُ مِنبَر أيكةٍ رَأدَ الضُّحَى تُثْنِي عليك وتَخْطُبُ
فتهيـجُ مِنّي لَوْعَـةٌ وصبَابَـةٌ نحو الدِّيَار سَقَى حماها صَيِّبُ

بينه وبين المولى فيض الله

كتبتُ في أواخر جمادى الأولى عام عشرة بعد الألف، للمولى فيض الله[1]، حرس جنابه الإله، مداعباً في ليلة شاتِيَة، أثَّر بردُها في بعض الحاشية:

قـل لفيـض اللهِ مَوْلَانـا أدَام الله أُنْسَهْ

---

(١) هو فيض الله بن أحمد المعروف بابن القاف الرومي، فاضل من القضاة، أصله من الترك، وكان فصيحاً بالعربية عارفاً بأدبها، وله نظم.
ولي قضاء حلب، ثم قضاء الشام، فقضاء غلطة ثم استامبول.
ولد سنة ٩٥٠ وتوفي سنة ١٠٢٠ هـ.
انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٣/ ٢٨٨ - ٢٩٢، وقد أورد مؤلفها كل ما ذكره المؤلف هاهنا مما بينه وبين القاضي فيض الله.

إنَّ نوع البرد هذا ما رأينا قطُّ جنسَهْ
هَجَم الدار وفيها عَقَلَ الظَّالِم عَنْسَهْ
وَجد المنزلَ خالٍ قد أجاد العَبْدُ كَنْسَهْ
فَثَوى بين ضُلُوعٍ لقيتْ ما لَسْتُ أنْسَهْ
سمعتْ بالروم منه أنَّني أهل بَلَنْسَهْ
فاغِثْني يا غِيَاثِي من يَدَيْه بِوَلَنْسَهْ

وكنت أغْشى زمان عَزْله، في كلِّ وقتٍ داره وحماه، وأجعلُ سَمِيري في ليل ذلك العَزْل قَمَر مُحَيّاه، وهو يَعِدُ ويُمَنّي بحُصُول بعض المطالب والمآرب، إذا ولي مَنْصِباً من بعض المناصب، فلما وَلِي قضاء الغَلْطَة، صارت تلك المواعيد كأنها مُغْلَطة، وأما توليتُهُ قضاءَ إسْلَام بُول، فقد خاب الأملُ وخُيِّب المأمول، فكتبتُ إليه ولم أُعوِّل عليه، وذلك أوائل رجب عام أثني عشر بعد الألف:

لي صَاحبٌ في العَزْل يبصرُ دَائماً ما لَيْس في الأجْسَام يُدْرك بالبَصَرْ
فيكاد يحكمُ عند رؤيته عَلَى طَوْقِ الحَمَامَةِ ثَمَّ ألوان أُخَرْ
ولرُبَّما نَظر النجومَ لَوامِعاً وقتَ الضُّحى ورأى السُّها قَبْل القَمَرْ
بَصَرٌ حديدٌ في الحديد نُفُوذُه كنفوذ أضْواءِ الأشِعَّة في الأكَرْ
فكأنّ زَرْقاءَ اليمامةِ كَحّلَتْ جَفْنيه من كحل لديها مُدَّخَرْ
ما زلتُ أنْهِلُهُ مياه مَوَدَّتِي وأعَلُّ منه الصَّفْو خالٍ من كَدَرْ
لا صبر لي عَنْه نهاراً كاملاً وكذاك عني ليس فيه مُصْطَبرْ
وإذا جَرى ذكرٌ له في مَجْلسٍ جَادَلْتُ عنه بالخُصومة من حَضَرْ
أما الصَّداقة والعلاقة بيننا فحديثُها بين الأنام قد اشْتَهَرْ

حتى إذا وَلِيَ القضاءَ رأيتَه أعْمَى البصيرة فيه مكفوفَ البَصَرْ
لا يهتدي سُبُلَ الرَّشاد لِقائدٍ كَمْ حَذّرُوه منه لو نَفَع الحَذَرْ
لو شام بـــارقَ دْرهم لجَهَنّمٍ أهْوَى ليأخذَه ولو كانت سَقَرْ
فغدوتُ منه مثلَ هَمْزَة واصلٍ أورَا واصِلٍ حين لفظتْها هجرْ
لكن أقمتُ على التَّبَاعد عُذره والدَّهْرُ فيـــه عِبْرَةٌ لمن اعْتَبَر
ورأيتُ أحسن ما يُقال لمثله يوماً «إذا جاء القضَا عَمِيَ البَصَرْ»

تعرفه بالشهاب الخفاجي

ولما أن رست بنا جواري الفُلْك، بمرسى الخلافة العظمى ودار الملك، وأزلت عني وَعْثاء السَّفَر، شَرَّفني بالحُضُور فيمن حضر، الشَّابُّ الفاضل، اللوذعيُّ الكامل، أديب عصره، وأريب مِصْره، شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري[1]، فسألتُه عن مولده ومنشأه، وقد أتْحفَني بشيءٍ مما حَبَّره ووشاه فقال: أمّا المولد فالقاهرة المعزِّية، وأما

---

(١) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في اللغة والأدب، ولد سنة ٩٧٧ هـ ونشأ بمصر ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك ثم قضاء مصر، ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولوه قضاء يعيش منه فاستقر فيه إلى أن توفى سنة ١٠٦٩ هـ، من أشهر كتبه: «ريحانة الألبا» ترجم به معاصريه على نسق كتاب اليتيمة للثعالبي، و «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل»، وطراز المجالس وشرح درة الغواص للحريري، ونسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض وكلها طبعت، وله غير ذلك من الكتب التي تنتظر النشر.

انظر خلاصة الأثر ١/ ٣٣١، ومقدمة كتابة الريحانة.

المنشأ فالأكثر بالدِّيار الحجازية، ولم يزل يُشَنِّفَ الآذان، ما لم نسمع بمثله إلى الآن، من رائق شعره، وفائق نظمه، ونثره، بما يهزأُ من الرَّوْضِ بخميلته الرَّيَّا، ويُزْري بعُقُود نظام الثُّرَيا، فمن ذلك ما كتب به إلي بهذه القصيدة السِّينيّة، المُخْجلة الأشعار بطلعتها السَّنِيَّة، قوله[1]:

قَبَّلْتُ مُصْطَبحاً شِفَاهَ الأكْؤُسِ ... والصُّبْحُ يَبْسَمُ لي بثَغْر ألْعَسِ
حتّى بدا أثر الغَزَالة[2] واخْتَفَى ... مِسكُ الدجى عند الجواري الكُنَّس
والنهرُ سيفٌ من لُجَيْنٍ ذَائبٍ[3] ... ولـه حَمَائِلُ من خَمَائِلِ سُنْدُسِ
أو صَدْرُ أغْيَد فاتِحٌ أطْوَاقَهُ ... وله من الأزْهار حُلَّة أطْلَسِ[4]
والطيرُ تَشْدُو والغُصون رَوَاقِصٌ ... طَرَباً بثَوْبٍ من نَباتٍ سُنْدُسِ[5]
وسَنا الكُئُوسِ حُلِيُّ راحَاتِي وَقَدْ ... أمْسَت طرازاً في ثياب الحِنْدسِ[6]
وعلى الخَلَاعةِ ليْس جيدي عَاطِلًا ... من حِلْيَةِ الفَضْلِ العَزيز الأنْفَس[7]
وإذا بَدا هَيَفُ القُدُودِ فإنَّني ... وَقْفٌ على شَجَنِي المُذيب الأتْفَسِ

---

(١) أورد الخفاجي القصيدة التالية في كتابه الريحانة ١/ ٥٥، مقدماً لها بقوله: فمما كتبته إليه لأستمطر سحائب طبعه الغر، وأستجدي كرماً من رقيق خلقه الحر، وأستمري منها ماء الحياة على غلة، قطرات لو وقعت في بحور الأشعار لم يكن بها علة، قولي: وكذلك أورد المحبي في خلاصة الأثر ٢/ ١٥٣ مفتح هذه القصيدة ومفتتح قصيدة الطالوي التي أجاب بها.

(٢) في الريحانة: حتى غدت منه الغزالة

(٣) في الريحانة: والنهر سيف والنسيم فرنده.

(٤) في الريحانة:

أو صدر خود فتحت أطواقها ... أو شققت للوجد...

(٥) في الريحانة: في وشي ديباج الربيع السندسي.

(٦) لم يرد هذا البيت في الريحانة:

(٧) وكذلك هذا.

ولواحظٌ مَرْضَى بها اغتَلَّ الصِّبَا والصَّبُّ بالسُّقْمِ المُبَرح مُكْتَسِي
فتنتْ بأنفسها ففيها عِلَّةٌ من وَجْدِها وفُتورُ مَهجور نُسِي
ولكُمْ قطفتُ ثمارَ لَهْو أينَعَتْ وغَفَلْتُ عما قد جَنَى الزَّمَنُ المُسِي
وطَرَدْتُ آمالِي براحة عِفّتِي إن التَمَنِّي رأسُ مَال المُفْلِسِ
شَانَ التَلَمُّسُ وَجْهَ[1] شِعْرِي بُرْهَةً فطرحْتُه كصَحِيفة المُتَلَمِّسِ
وكحلتُ طَرْفِي بالسُّهَادِ صَبَابَةً ووهبْتُ نَومي للعُيُون النُّعَّسِ
ونظرتُ خَدّ الوَرْد لما احْمَرَّ من خَجَل وقد بُهِتَتْ عُيُونُ النَّرْجِس
وأظنُّ خَجْلَتَه لخدِّ الطِّرْس إذْ أمْسَى بوَشْيِ غِدار شعرك يَكْتَسِي
يا عقدَ جيد الدَّهْرِ غُرَّةَ مَجْده[2] وطراز ما زان[3] العُلَى من مَلْبَس
بل كعبةٌ حَجَّتْ لها آمالُنا فدَنَتْ إلى حَرَم الكَمَالِ الأقْدَسِ
من آل طَالُو والأُلى[4] طالوا لوَرَى بذُرَى أشَمَّ من المعالي أقْعَسِ
بمناقب تُلِيَتْ لنا آياتِها عنها يكادُ يَبِينُ نُطْقُ الأخْرَسِ
ورياضِ طبع بالفضائل أثمرتْ وغَدَتْ تحدثنا بطيب المغرسِ
أسْكَرْتَنَا بسُلَافِ شعر لفظُهُ كاسٌ لها سمعي وفكري يَحْتَسِي[5]
وسَرَت له نَسَمات سِحْر رقَّصَتْ طرباً لها عَقْلَ اللبيب الأكْيَسِ
فاعجبْ لها من أكْؤُس ما أبْرَزَتْ إلّا رآها اليَوْمَ نقلُ المَجْلِسِ[6]

---

(١) في الريحانة: رام التلمس بذل...
(٢) في الريحانة: فجره... ما حال.
(٣) في الريحانة: فتية.
(٤) في الريحانة: كاس له فكري بسمعي محتس.
(٥) في الريحانة: الذوق بدل اليوم، والنقل: ما يتنقل به على الشراب من فواكه وكوامخ وغيرها.

وسِهام أقلام له تُصْحِي العِدَا وتظلُّ بين مُسَدَّد ومُقَرْطَس
نَاجَيْتُهُ وشهابُ فِكْرِيَ قد دَجَا وصَبَاحُ صَفْوِي عنه لم يَتَنَفَّس
فجلا السُّرورُ له بثغرٍ باسِمٍ طَلْق الجَبين بوجه يوم مُشْمِس
فإليكَها مِنّي قَوَافٍ رَوْضُها[1] زَاه بغير يَد النُّهى لم تُمْسَس
بكراً إلى كُفءٍ تُزَفُّ ومَهْرُها نَقْدُ الجواب براحة المُسْتَأْنِس
لا زلتَ في حُللِ المَسَرَّة رافِلًا ما حَدَّقَتْ ليلًا عُيُونُ الخُنَّس

ولما أبت أنوار ذلك الشهاب، إلا استدعاء رفع الحجاب، عن وجه الجواب، على حين خط المشيب، وتزوّى رداء الشباب القشيب، لم أجد من الإجابةُ بُدًّا، فنظمت بهذه اللآلىء عقداً:

خَدٌّ تَوَرَّدَ من لهيب تَنَفُّسي أم قَدُّ مَعْسُولِ المَرَاشِفِ ألْعَس
من ريم وَجْرَةَ أو جآذرِ حَاسِمٍ لَبس الشَّبَابَ الرَّوقُ أحْسَن مَلْبَس
متوشِّحاً خَطِّيَّ قَامَتِهِ فإنْ ماسَتْ فيا خَجَلَ الغُصُونِ المُيَّس
وإذا رنا فاللَّحْظُ منه بَابلٌ هاروتُ فيه نُطْقَهُ كالأخرس
أم عِقْدُ غانية الحسان زَهَتْ به تِيهاً على زُهرِ الجَوارِي الكُنَّس
أم لؤلؤٌ رطبُ تؤامٌ زانه حُسْنُ النظام بجيد ظَبْيَة مَكنس
أم رَوْضة غناءُ غَنَّت في ذُرا أغصانها وُرْقٌ بلحن مُؤْنِس
حاكت لها أيْدي الجَنُوب مطارفاً وكستْ معاطفها غَلَائل سُنْدُس
ما بين أصفرَ فاقعٍ أو أحمرٍ قانٍ وأبيض ناصع ومُورَس
أم غادةٌ هيفاءُ أذكَرَتِ الصِّبا صَبًّا تناسَى العَهْدَ منه وما نَسِي

---

(١) في الريحانة: فإليكها مني قوافي دوحها.

وأتتْ وأفراسُ الصّبا قد عُرِّيتْ ... والقلبُ أقصَر عن هواه وما أُسِي[1]
وافتْ وفيَّ بقيةٌ ألْهُو بها ... من شَرْخِيَ الماضي تَعِلَّةَ مُفْلِسِ
من ماجدٍ وشهاب فضْل ثاقِب ... حُلْوُ الشمائِلِ بالفَضائِلِ مُكْتَسِي
فظننتُ ريعانَ الشباب أُعيدَ لي ... حتى الوِصَالُ من الحبيب المُؤْيِسِ[2]
فطفقتُ أهْصِرُ بانةً من قَدِّها ... والقَلْبُ بين تَوَجُّسٍ وتَهَجُّسِ
حتى اطمأنَّتْ فاجتليتُ بوجهها ... قَمَرَ السَّماءِ بليل شَعْر حِنْدِسِي[3]
لَمّا بدا خفيتْ له شمسُ الضحى ... في ثَوب غَيْم ترتديه وتكتسِي
نطقتْ مناطقُها فأخْرِسَ دونَها ... نُطقُ الفصيح وحارَ فكر الكَيِّسِ
لِمْ لَا وناظِمُها الشهابُ من اعْتَلى ... شُهْبَ العلا بكمال فَضْل أقعَسِ
فرعٌ نماه إلى خَفَاجَةَ مَحْتِدٌ ... والفَرْع ينبِئُ عنه طيبُ المَغْرَسِ
وأنت لنا منه حَديقةُ روضةٍ ... فجلتْ لبهجتها عيونُ النَّرْجِس
طِرسٌ به زُهْر النجوم كأنَّه ... صُبْح وَهُنّ بقايا حِنْدس
لثمتْ شِفاهُ الغِيد قِدْماً نِقْسَهُ ... فَغَدا لَمى فيه شِفاء الأنفس[4]
إني لأعجبُ من شهاب قد سَمَا ... مُتَبوِّءَ العَلْياءِ أرفعَ مَجْلِسِ
والشُّهْبُ تطلُعُ في السماء وَخِدْرها[5] ... فَلَكُ الثوابت وهو فوق الأطْلَسِ
لا زال في حُلل الفضائل رافلا ... متوشِّحاً بُرْدَ الشَّباب الأنْفَس

---

(١) وما أسى: أي ما عولج من مرضه.
(٢) في الريحانة: المؤنس.
(٣) الحندسي: نسبة إلى الحندس وهو شدة الظلام ويعني به السواد.
(٤) النقس بكسر النون: المداد، واللمى: سواد محبب في الشفة، وفي الريحانة: فغدا له فيه حياة الأنفس.
(٥) في الريحانة: وحدها.

خُذْها وإن كانت مُقَصِّرة فَمِن شأن الكرام قَبُولُ عُذْرٍ مِنْ مُسِي
شامِيَّةً يعنُو لباهر حُسْنِها وجهُ الغزالة والغزال الألْعَسِ
وانعَمْ بها لا زلتَ تُرْشِفُ سمعنا من راح نَظْمك مُترعاتِ الأكْؤُسِ

ومما نظمتُه بأواسط جمادى الآخرة، وأنا بدار الخلافة السنية قسطنطينية المحرّمة، لسُلْطانِ المغرب مولاي أحمد المنصور، مُفتتحاً فيها بذكر رسوله الشيخ الفقيه عبد العزيز بن الثعالبي[1]، فسَّح الله في مُدَّته، قولي[2]:

لعبدِ العزيز الأوْحدِّي الثَّعَالبي بدائعُ فاقتْ مُبْدِعاتِ الثَّعَالِبِي
فما بَعْدها في الدهر تُلْفَى يتيمةٌ ولا قبلها وَشَّتْهُ أقلامُ كاتبِ
سَوادُ سُطور في بَياضِ مَهَارِقٍ وشَامٌ عَلى خَدٍّ لحسناءَ كاعبِ
وإلاَّ لَمَى وَسْطَ الشِّفاهِ يُعَلُّ من جَنَى النحلِ مَمْزُوجاً بماء المَذَانِبِ[3]
وإلاَّ رياضٌ قد كسَتْها يدُ الصَّبا طرائفَ وَشْيٍ من نسيج السَّحائِبِ
كأنَّ عليها عَبْقَرِيَّ مَطَارِفٍ ومن حُلَلِ الدِّيباج وَشْيَ عَصَائِبِ
فكيف ترى عينٌ يتيمةَ دهرها وأمُّ سَجَاياه ولودُ الغَرَائِبِ
فللّهِ مَوْلًى قد شَهِدْنا بما وَشَى مكاتبةَ الصَّادَيْنِ صَابٍ وصَاحِبِ[4]

---

(١) هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي، أبو فارس، وزير السلطان المنصور، وقد تقدمت ترجمته.

(٢) أورد البوريني في تراجم الأعيان ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩ بعض أبيات القصيدة التالية.

(٣) المذانب: جمع مذنب بكسر الميم وهو مسيل الماء إلى الأرض.

(٤) يقصد بها الكاتبين الشهيرين أبا إسحاق الصابىء نابغة كتاب جيله والذي كان رئيساً لدواوين الرسائل والمظالم والمعاون في أيام المطيع لله العباسي، ثم لمعز الدولة البويهي وابنه عز الدولة، وقد توفى عام ٣٨٤ هـ. =

حَوَى المجدَ طِفْلاً والسِّيَادة يافِعاً وحازَ المعالي في كِرامِ المناسِبِ
وأحْرَزَ فَضْلَ السَّبْقِ في حَلْبَة العُلَا جَوَاداً كريماً يا لها من مَنَاقِبِ
وطال سَماءَ الفضل فاقْتَعَد السُّهَا وحَلَّ من الجَوْزَا نِطَاقَ الكواكبِ
وحكّم في نظم القَريض خَواطِراً أبَتْ غير نظم النَّيِّرات الثَّوَاقِبِ
فما يَشْكُرِيُّ القوم[1] يوماً وإن شدا بنظم القوافي عنده غَيْرُ ناعبِ
فكم بنتُ فكر قد جَلَاها بَيَانُه علينا وما غيرُ الأديب بَخَاطِبِ
عرائسُ تُجْلَى في منصة منطقٍ هو السِّحْر إلَّا أنه غير كاذبِ
شُمُوسٌ تبدّت في مطالع مَغْرب جلا ضَوؤُها عنا ظلام الغَيَاهِبِ
عَجِبْنا لها من مطلع الغرب أشْرَقَتْ ولم نر شمساً أشرقت من مغارب
أضياء سَنَاها الخافقَيْن وقد سَرَتْ شَوَارِدُها مَسْرى الصَّبا والجنائبِ[2]

= أما الصاحب فهو إسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب، وكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً، وقد استوزره مؤيد الدولة به بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة، ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه فكان يدعوه بذلك، وكان صديقاً للصابىءكثير المودة له على البعد، وقد اختلف في التفضيل بين الرجلين أيهما أحسن كتابة وإنشاء. توفى سنة ٣٨٥ هـ.

(١) يشكري القوم: يعني به المنخل بن مسعود بن عامر اليشكري، شاعر جاهلي غزل، كان ينادم النعمان بن المنذر، ومن أشهر شعر المنخل رائيته التي مطلعها:

إن كنت عاذلتي فيري نحو العراق فهلا تحوري

قالها في هند بنت عمرو بن هند، وكان من أجمل الناس صورة حتى ليقال إن زوجة الملك النعمان عمدت ذات مرة إلى قيد فجعلت رجلها في إحدى حلقتيه ورجل المنخل في الأخرى شغفاً به، وجاء النعمان فرآها على حالها فأمر بالمنخل فقتل، ويقال إن عمرو بن هند هو الذي قتله لتشبيبه بابنته، وعلى كل فقد ضربت به العرب المثل في الغائب الذي لا يرجى إيابه، يقولون: لا أفعله حتى يؤوب المنخل.

انظر الأغاني ٩/ ١٥٨، ١٨/ ١٥٢، والشعر والشعراء ١٥٠.

(٢) الجنائب: جمع جنوب وهي ريح لَيِّنة تهب من الجنوب، ويقال: ريحها جنوب، إذا كانا متصافيين.

وفي ثَنْيِ بُرديهـا ثنـاءٌ تَبَثُّـه لَطَائِمُ مَدْحٍ فاق عِطْر الكَوَاعِبِ
كـأنَّ صَبَـا دارين فَضَّتْ عشيَّةً على عِطفها المَيّاسِ مِسْكَ الحقائب
ومَرَّتْ[1] بوادي الشِّحْرِ مجتـازةَ اللِّوَى
لِوَى الرَّمـل فيه البان مُرْخَى الذَّوَائِبِ
تجاذَبُ من نجدٍ شَمِيمِ عَرَارِه فيرنُو لها الحُوذَان عن لَحْظِ غاضِبِ
ووافتْ حِمَى الزَّوْرَاء لَيْلاً فسَاجَلَتْ على الكَرْخِ داراً بالدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ
وطافَتْ[2] رياضَ الحائِرَية وانثنتْ تُبَاري الصَّبَا واللَّيل في مِسْحِ رَاهِبِ
وللمغرب الأقْصى ثَنَت من عِنَانها تَؤُمُّ حِمَى البيضاءِ عَزَّتْ لِطَالِبِ
بحيثُ ترى البيتَ الامامِيَّ مُعْقَلاً تُطِيفُ به الأملاكُ من كُلِّ جانبِ
مَجرُّ العَوالي السَّمْهَرِيَّة والقَنَا ومَجْرى الجياد المُقْرَبَاتِ لسَّلاَهِبِ[3]
عليهـا أُسُودٌ أنَّسٌ يوم سِلْمها وفي الحرب تُلْفَى داميات المخالبِ
توشَّحت الغُدْرانُ تحت جداول إذا انْتُضِيتْ فالهَامُ غمدٌ لِضَارِبِ
بها يكلأُ الله الكنانةَ في حِمَى مليكٍ قَصِيَّ العَزْم دَانِي المَوَاهِبِ
حِمَى الملك المنصور مولاي أحمد إمام الهدى رَامي العِدا بالمقانبِ
أسود على متن السَّراجين غابها من الأسَلِ الخَطِّيِّ دامي الثَّعالِبِ[4]

---

(١) من هنا وحتى سبعة عشر بيتاً تالية هي ما ورد في تراجم الأعيان.
(٢) في تراجم الأعيان: وطابت.
(٣) المقربات جمع مقربة بضم الميم وفتح الراء: الفرس أو الناقة القريبة المعدة للركوب. والفرس تكرم فيقرب مربطها ومعلفها، والسلاهب جمع سلهب وهو الطويلة من الناس والخيل.
(٤) الثعالب جمع ثعلب وهو طرف الرمح في أسفل السنان، وفي تراجم الأعيان دامي المخالب بدل الثعالب.

تُلَوَّى بأيـدي الدَّارعـين كأنَّهـا ... صِلَال نَقـاً مَذْعُورة عن مَـارِبِ
ترى السَّرْدَ نَهْباً والقَتير حُبَابُه ... فتكرَعُ في حَوْضٍ من الدم رَاعِـبِ
مؤيـد شَرْع اللهِ مُشْتَجر القَنَـا ... ومُعْترك الهَيْجَا بماضِي المَضَارِبِ
سليلُ القضا إن يُنْتَضى يوم مَعْرَكٍ ... وفيـه المنايا مزقت في الكتائبِ
ومجري الجواري المنشآت إلى العِـدا ... بموج من الأبطال طامي الغواربِ
من الجانب الغَرْبي ناداه ذو العلى ... وفي لقـب المنصور نُصْرة غالِبِ
سميُّ رسول اللهِ وابنُ وصِيِّـه ... ووالـدِ سِبْطيـه عـليُّ المناقِـبِ
ومن رُدَّت الشَّمس احتراماً لَهُ كما ... ليُوشع رُدَّتْ غـير أنْ لم يُحَارِبِ
بلى كان رأسُ المُصْطفى وَسْطَ حِجْره ... وجبريلُ مُلَقِي الوَحْيَ في زِيِّ صاحبِ
وفي خيـبرٍ إعطاؤُه الرايةَ التي ... تَطَـاوَلَ كـلٌّ نحوها بالمناكِـبِ
فكـان بها أولى وكانَتْ به حَرَى ... كما كـان منه الفَتْحُ ضَرْبَةَ لَازِبِ
وإياك أن تَنْسى الغَديرَ وقد جَرَى ... لمن كـان مولاه وَدَعْ قولَ ناصِبِ
فيـا رتبةً قد أرغمتْ دون نيلها ... مَعَاطِسَ قَوْم وهي شُمُّ الأرَانِـبِ
وقـد أتبعوها نظرةً مثل وَامِقٍ ... لـه نظرٌ اثْرَ النُجُوم الغَوَارِبِ
فيا ابن الأُلى هَذِي مَنَاقِبُ فَخْرهم ... وهل بَعْدَ هذا الفَخْر شَأْوٌ لطالبِ
لَعِنْـدِي على نَأيِ الدِّيار وبُعْدها ... قلائـدُ نَظْمٍ كالنُّجُوم الثَّوَاقِـبِ
ولكنْ قوافي الشِّعر كيـف أُجِيُدها ... وفيكم أتى التَّنزيلُ يا آلَ طَالِبِ
وإنّي وإن شَطَّ المَزَار لَراجِـعٌ ... إلى وُدِّ ذي القُرْبى مَوَدَّة رَاغِبِ
ولولا عجوزٌ في دمشق وصِبْيَـةٌ ... كزُغْب القَطَا يَرْقُبْن من وُدِّ قَارِبِ
لزُرْتُ حِمَى البَيْضاء يَسْطَعُ نُورها ... بهَدي إمامَ العَصْرِ من سَدِّ مَأرِبِ
ولو أنَّ عُمْرَ المَرْءِ وافٍ بهمَّـةٍ ... شَقَقْنا إليك البَحْر فوق نَجَائب

أبَتْ آنفاً تُعْزَى لِشَدْقَمَ أو تَرَى ... بمهرة من شكل لها أو مُناسب(٣)
ولكنّها الأعْمار تجري لِغَايَـــةٍ ... ومَعْرفةُ الغاياتِ بعد المَذَاهِبِ
وإنّي لأهْوَى أن أكونَ مع الصَّبَا ... رَسُولاً إلى البيضا لتُقْضَى المآرِبِ
لـدى مَلِـكٍ دَانِي النَّوالِ وكَفُّه ... لِرَاجِيهِ أنْدَى من عُيُونٍ سَوَاكِبِ
عـلى كل خَطٍّ من أسِرَّة وَجْهه ... دليـلٌ على أن الرَّجا غيرُ خَائِبِ
لِسُدَّتِـهِ مـأوى العُفَـاةِ بعثتُها ... قوافٍ عـى عَنّي تقوم بواجِبِ
عليهـا من المَدْح الإمامِيِّ جوهرٌ ... تَرَقْرَق مـاءً من مُتُونِ العَوَاقِبِ
عـلى صَفَحَات الدهر بَاقٍ فِرِنْدُه ... بَقَاء سَنَا الإشْراق ليس بذاهِبِ
نظامـاً بَدِيعـاً طَالَوِيًّا نِجَـارُهُ ... نَشَا في رياض الشام مَغْنى الحَبايِـبِ
بربوتهـا ذاتِ القرار مَعِينهـا ... جرى كوثراً ينسابُ لَـذَّ لشارِبِ
بـلادٌ بهـا الحصبـاءُ دُرٌّ وتُرْبُهـا ... عَبيرٌ وأنفاسُ الصَّبا نَشْرُ كاعِبِ
سقاهـا وحَيّاهـا الإلـهُ مَعَاهِداً ... سَحـابَ دُنُوٍّ من خَليل وصَاحِبِ
تُقَبِّـلُ عَنّيَ سُدَّة المَلِـكِ الـتي ... بهـا قد سَمَا فَخْراً لُؤَيُّ بن غَالِبِ
عليهـا سلامُ الله مـا ذرَّ شَارِقٌ ... ومـا طلعـتْ سَيَّارةٌ إثر غائِبِ

(٣) شدقم كجعفر: فحل للنعمان بن المنذر ومنه الشدقميات من الإبل، ومهرة: قبيلة من قضاعة تنسب إليهم الإبل المهرية، ولهم باليمن مخلاف بينه وبين عمان نحو شهر، وبينه وبين حضرموت كذلك. معجم البلدان ٤/ ٧٠٠.

في مدح مصطفى أفندي صاري كرز المفتي

ومما كتبتُ به من القصائد الملمّعة، والأبيات المتمنّعة، وأنا بالروم أوائل جمادى الأولى عام اثني عشر وألف، إلى الجناب الأحْمى، والمحل الأسمى خير الأنام مصطفى أفندي[1] شيخ الإسلام مُفتي الفرق الإسلامية بالديار الرومية، علّامة العلماء الأمجد الأغر، الشهير نسبه الكريم بصاري كرز، قولي:

لَمنزلٌ بِرُبَى الشَّامِ معهدِ الأحْبَاب
مُراد ليست جوبنياد مكرمات خراب[2]

تبيت تخفق بالروم من تذكره
بسان ماهي برسنك تفته در طبطاب[3]

غريب طرز لسان وليس له سوى الحنين إلى الشام مطعم وشراب
موكل بسري النجم طرفة أبداً وإن ينم فلمسري خيالها المنتاب

---

(١) أشهر متأخري العلماء بالروم وأغزرهم مادة في المنطوق والمفهوم، اشتغل بالتدريس في مدارس كثيرة حتى وصل إلى السليمانية، ثم ولي قضاء الشام ثم قضاء بروسة فأدرنة ثم قضاء دمشق، وفي دمشق مدحه شعراؤها بقصائد كثيرة، ثم كان في آخر الأمر قاضياً لقسطنطينية والعسكرين.

له مؤلفات منها: حاشية على الدرر والغرر، في الفقه الحنفي، وحاشية على إبن مالك، توفي نحو سنة ١٠٤٠ هـ وقيل ١٠٣٠.

انظر خلاصة الأثر ٤ - ٣٩٠ - ٣٩٢، نفحة الريحانة ٣/ ١٠٥، الأعلام ٨/ ١٤٣.

(٢) أي: ولي قلب مكسور قد مر من الهموم والكروب.

(٣) مثل السمك على الحجر الساخن يضطرب.

ولي رميـــده جـــه كفتم ولي جـــه كويـــة دلي[1]

مروع بعتـــــاب مهـــــدد بعقـــــاب

ولي ياقت منتهاي شرح أسير[2] وليس بين مقيم وراحل منساب

دلي نـه نيست نـه ست نـه هوشيـارونـه مست[3]

يظـــل يصـــدف حـــيران مـــالـــه أصحـــاب

ثوى بحظـــــه روم حليـــــف أهويـــــة

نـــه منزجر رعـــاب ونـــه مستحـــق ثواب[4]

لـه إذا ذكر الشام عبرة وضنى جوجشم پاجور حسار مردم لي آب[5]

سقى الله الإله ثراها وجاد معلمهـــا كمدمع ورعى من بها من الأحباب

فبعدهـــا لي حـــالان مضطربـــان هما

كهى زنالة رباب وكهي زانك شراب[6]

وهكـذا أنا بالروم أو تلاحظني عنايـة لإمـام العلوم والآداب

سمي صاحب لولاك مصطفاه ومن سري بـه لسماه وخصـه بخطاب

مـــلاذ شرع مبـــين دنيـــاه ملـــت ودين

كـــه بـــاد دركـــه عـــاليش منتهي الطـــلاب[7]

---

(١) لا أدري ماذا قلت ولا ماذا يدور في خلدي.

(٢) قلب يكون أسيراً بحبه في النهاية.

(٣) قلب مضطرب دائماً وليست له وجهة محددة.

(٤) ليس منزجراً بالعقاب ولا مستحقاً للثواب.

(٥) مثل العين أو مثل خد الناس لي أب.

(٦) حيناً من نغمة رباب، وتارة من دمعة الشراب.

(٧) ملاذ الشراع المبين، ومرشد الملة والدين، وبلاطه العالي مرجع للطلاب.

شده براي همه بأس طاف زرش
جوركن كعبة بيت الحرام فيه مثاب[1]
إمام علم وعمل مقتداي دين ودول[2]
برآيه ظُلَمُ الظُّلم عنها تنجاب
إمام وقت وليكن بجشم أهل حجاب بصدر مسند فتوى نتشه درسياب[3]
جهانيان همه درزير سايه اش كشته
كه أوست مصدر أفعال كوهر ناياب[4]
إمام وقت كه گفتم جراته كويم غوث
جوشده بيرون محيط دوائر ناب[5]
بگوش هوش اگر صفاكني بگويم باز
حديث غوث زمانه أذو راي حجاب[6]

هو الإمام وقد نص في فتوحات على إمامته الشيخ آخر الأبواب
وقال فيه: ولله في خليقته بكل عصر بشير ومنذر أواب
هو السراج سناه الظهور مؤتلقاً ونوره نظر العين يبهر الألباب
هو الشخيص بأنفاسه تدور رحى الدهور فاضغ إلى الحق لا تكن مرتاب
وكن فديتك من عارفي زمانك في إمام عصرك حتى تفوز يوم حساب

---

(١) يلتجىء إليه جميع الناس، كما يلتجئون إلى ركن الكعبة.
(٢) إمام العلم والعمل رائد الدين والدول.
(٣) مريد عصره ولكن الجاهلين لا يرونه وهو فوق كرسي الفتوى.
(٤) العالم كله مستظل بظله، لأنه منبع الأفعال النافعة كالجوهر النادر.
(٥) وصفته بإمام الزمان، لماذا لا أقول إنه غوث لأنه يعتلي الدرجات العلا ويختص بخطاه الأقطاب.
(٦) إذا أصغيت بجد وحزم، أقول لك مرة أخرى حديث غوث الزمان المتواري بالحجاب.

كسي نـدانـد ومـيرد إمـام عصر خودش
بجهل مير دوان جهل وذو حسب وعذاب[1]

وثَمَّ غامِـــضُ سِرٍّ في كَشْفِـــهِ حَرَجٌ
وفي الإشارة معنًى وفي السكوت جواب

كـذاك كنتُ فلما عَرَفْتُ قَرَّبَني من حضرةٍ لي زُلْفَى وحُسْن مآب
في سُدَّةٍ أنـا فيها وَصَّافُ حضرتها وماءُ شعري رِيٌّ وما سواه سراب
أدامهـا لي رب العبـاد وارفـة ظلالها وسقاها ختم الرحيق مذاب
وزاد بهجتهـا من شهود وحدته فإن من شهد العين عن سواها غاب

ومما كتبت به أيضاً وأنا بالروم لجناب الوزير الأعظم، والدستور الأكرم الأفخم، علي باشا - يسَّر الله له ما يَشَا - وقد ورد من الديار المصرية، ومنازل القاهرة المعزية، بعد أن ساق منها من العدل ما شاع وذاع، وملأ الآذان الأسماع، وقد حصل عند قدومه جلوس السلطان أحمد بن السلطان محمد، ثامن رجب الفرد، عام إثني عشر بعد الألف، اللهم خلّد سلطنته إلى آخر الزمان، وأيّد مُلكه إلى منتهى الدَّوَران، مُلَمِّحاً فيها لما ذكره الشيخ الأكبر[2] في حَلِّ جَفْره، خلال نظمه ونَثْره، وأنشدتُها له في مَجْلِس حُكْمه، مُشيراً في آخرها بطلب فتوى الشام، قولي:

---

(١) إذا لم يعرف أحد إمام عصره ومات جاهلاً به، سيلقى عذاباً شديداً.

(٢)

(٣) يعني به الشيخ محيى الدين بن عربي إمام المتصوفة القائلين بوحدة الوجود، وكان المؤلف من المعجبين به القارئين لكتبه.

بُشْراك ثَغْرُ العُلَا تَبَسَّمْ وَعُرْفُ رَوْض المُنـــى تَنَسَّمْ
وغُرَّة الدَّهرِ قـد أضَـاءَتْ بشمس عَدْلٍ جَلَت دُجَى الهَمّ
وأنجم العِزِّ مُشْرِقَـــاتٌ طوالـــعُ سَعْدِهـــا مُحَكَّمْ
في بُرج سَعْـد لـه ثبـاتٌ والضـد في العكس منه خَيَّمْ
ورَقّ وجْـهُ الزمـان حُسْنـاً فهو بمـاء النَّعـيم يُرْهَم
وطائرُ السَّعـد فوق بَـانٍ بصوتِ ألحانـه ترنّمْ
والدَّهر رَقّـتْ لـه حَوَاسٍ طرازهـا بالشَّبَـاب مُعْلَمْ
وعـاود الرُّومَ من سُرُورٍ ومن حُبُور مـا أذهـب الغَمّ
ما ذاك إلّا من أجل بُشْرى بمقـدم الآصِـفِ المُقَـدّمِ
فلـك معـالي شهير رفعـت بلندهمـت وزير أعظم[1]
عـلي سمي شه ولايـت أمـير بطحـا خديو زمزم[2]
دستور منظم شهريـاري بنـاه ملـت نظـام عـالم[3]
فخرُ السلاطـين خـير ملـكٍ قائـده النصر حيـث يمم
أحمدُ ظِـلُّ الإلـه فِينَـا سَبَّـاقُ غايـاتِ مَنْ تَقَـدَّمْ
من آل عـثمان في صَمِـيم صَمْصَامُـهُ في العِـدَا مُحَكَّمْ
أحمدٌ خـيرُ الأنـام طُرًّا أحَمَدُهـا سيرةً وأحْكَمْ
جُلُوسُه كـان في قِران وطالـعُ السَّعْـدِ قـد تحكّم
لـه الوزيرُ الـذي عليـه نَـصٌّ إمـام العُلُوم فاعْلَمْ

---

(١) أي عالي الهمة الوزير الأعظم.
(٢) الملك العالي الكعبة أمير البطحاء، سادن أو راعي زمزم.
(٣) أمره متبع وملكه متسع في العالم.

إذ قـــال فيـــه عَلَا عـــليٌّ فـإن تكن قـد عَرَفْتَ فالْزَمْ
وانظرْ إليـــه إذْ قـــام يَبْـني من جانـب المُلْـكِ مـا تَهدَّمْ
بحسن رأي لـــــه منـــــير أضـاء منـه مـا كـان أظلم
روشن ضمير كه تاب خورشيد در جنب رايش بك برتوكم[1]
شده جهـــات جهانيـــان هم أزعـدل وداوش بهشت خرم[2]
ألا ترى مصر كيـــف كانـت من قبـــل والجور أهلهـــا عم
فـاق فيهـــا مساق عـــدل عم البرايـــا وقطرهـــا طم
حـــتى لعمري لقـــد شهدنـــا ذيـب فلاها يرعـى مع البهم
لمـــا انتهـــى عدلـــه بمصر عـــاد إلى الروم وهو ملهم
ليصلـــــح الروم وهو فرد والجوهر الفرد لا يقسم
آزجوهر قدسي ذات باكش يرى نقصـان در صمت دم[3]
أي آصـــف وهو ملـك برور أي نوريزدان شده بجسم[4]
أي صـــدر عـــالي كـــه بـــاركـــاهش
برجرح افـــــــلاك زده مخـــــــيم[5]
جملـــة أهـــالي ورسايـــة أو باعيش خرم بايـــار همدم[6]

---

(١) صاحب الضمير الوضاء الذي يخجل الشمس بجانبه لشدة نوره.
(٢) وذاع عدله في جميع أنحاء العالم، فأصبح العالم من عدله مزدهراً.
(٣) بجوهر ذاته الطيبة المقدسة، اختفى الظلام وهرب النقصان.
(٤) وانتشر العدل في ظل ملكه الذي استمد نوره من نور الله.
(٥) وهو الذي صعدت آثار عدله إلى الأفلاك وعمت العالم.
(٦) والناس يعيشون في ظل عدله مرفهين يحصلون على ما تصبو إليه نفوسهم.

درويش شامي زين جملة تاكي ماندر دوزولي كوتنة غم[1]
بالشام أهل والروم جم والقلب حيث الغرام خيم
لعل لحظ الوزير يرنو إليه يوماً عطفاً ويرحم
بداخل يعده لفتوى شآم هي القصد وابق واسلم
نظام ملك في الدهر حتى عقد الثريا في الأفق يفصم
تا طاق كردون بود مقدنس تا عقد يردين باشد منظم[2]
در عدل أسوده بادا أرباب دانس والله أعلم[3]

---

(١) ذهب بهموم الفقراء كلية وأصبحت حياتهم كريمة عزيزة.
(٢) وصل أثر عدله إلى آفاق الأفلاك حتى انتفعت به الكواكب في السماء.
(٣) في ظل عدلك يعيش ذوو العلم مرتاحين هادئي البال، والله أعلم.